

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، رضي من عباده بالقليل من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، دعا خلقه إلى دار السلام؛ فعمهم بالدعوة حكمة منه وعدلاً، واختص من شاء بالهدایة والتوفيق نعمة منه وفضلاً، فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم، وذلك فضل الله يؤتى به من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء.

وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدَه ورسولَه، وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصر الأمة وكشف لها الغمة، وجاحد في الله حقَّ جهاده، فهَدَى الله تعالى به من الضلاله وعلَّمَ به من الجهلة وبَصَرَ به من العمى، وفَتَحَ الله به أعيناً عمياً وأذاناً صمماً وقلوباً غلفاً، فجزاه الله عَنَّا خيراً ما جزى به نِيَّاً عن أمته، وَرَسُولاً عن دعوته.

وبعد فهذا شرح لطيف لحديث عظيم من أحاديث نَبِيِّنَا الْكَرِيمِ ﷺ وهذا الحديث وصية من وصاياته لأحد أصحابه الكرام رضي الله عنه وهو عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا النَّجَاةُ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسْعُكَ بَيْتُكَ وَابْنُكَ عَلَى حَطِيَّتِكَ». وكان شرح هذا الحديث عبارة عن دروس ألقاها في بعض مساجد الدوحة، ثم عَنَّ لي أنَّ أجمع هذه الدروس؛ ليعم بها النفع، وتكتمل بها الفائدة، فأسأله الله الكريم أن يجعل عملي لوجهه خالصاً، وأن ينفع بها كتابها وقارئها، وأنَّ خير مسئول وأكرم مأمول، وما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على بنيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

سعيد مصطفى محمد دياب

الدوحة في: ٢٥ من ذي الحجة / ١٤٣١ هـ

الموافق: ١٢ / ١٠ / ٢٠١٠ م

من أسباب النجاة

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة قال: «أمسك عاليك لسانك وليس لك
بيشك وابنك على خطيبتك». ^١

ترجمة عقبة بن عامر رضي الله عنه:

هو الإمام، المقرئ، أبو حماد، عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن رفاعة بن مودوعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجعفري، المصري، صاحب النبي صلوات الله عليه وسلم قال: بلعني قدوم النبي صلوات الله عليه وسلم وأنا في عنديه لي، فرفضتها، ثم أتيته، فقلت: يا رسول الله جئت أبا يعل، فقال: «بيعة عربية تريد أو بيعة هجرة؟» قال: فباعته، وأقمت، فقال يوماً: «من كان هنا من معدٍ فليقم»، فقام رجال، وقامت معهم، فقال لي: «اجلس». قال: فجعل ذاتي مرتين أو ثلاثة. فقلت: يا رسول الله ألسنا من معد؟، قال: «لا»، قلت: من نحن؟، قال: «أنتم من فضاعة بن مالك بن حمير». ^٢

كان عقبة بن عامر رضي الله عنه عالماً، مقرئاً، فصيحاً، فقيها، فرضياً، شاعراً، كبيراً الشأن.

وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، فقال له عمر رضي الله عنه يوماً: اعرض على يعني القرآن، فلما قرأ
عقبة، بكى عمر رضي الله عنه.

وكان عقبة من أصحاب الصفة، فعنده رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلوات الله عليه وسلم ونحن في الصفة، فقال: «أيكم
يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان، أو إلى العقيق، فيأتي منه بناتين كوماين في غير إثم، ولا قطع
رحم؟»، فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: «أفالا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم، أو يقرأ آياتين من
كتاب الله عز وجل، حير له من نافتين، وثلاث حير له من ثلاث، وأربع حير له من أربع، ومن
أعدادهن من الإيل». ^٣

١ - رواه أحمد - حديث: ٢١٦٧٥، والترمذى - أبواب الرهد عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم، باب ما جاء في حفظ اللسان، حديث: ٢٣٨٨

بسند صحيح

٢ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٨٣٩، والأوسط - حديث رقم: ٣٤٥

٣ - رواه مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، حديث رقم: ١٣٧٧

وَكَانَ عُقْبَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنَ الرُّمَامَةِ الْمَذْكُورِينَ.

حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو الْخَيْرِ مَرْثَدُ الْيَزِينِيُّ، وَجُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ، وَأَبُو إِدْرِيسَ الْخَوَلَائِيُّ، وَعُلَيُّ بْنُ رَبَاحٍ، وَأَبُو عِمْرَانَ أَسْلَمَ التُّجِيْنِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَمَاسَةَ، وَمِشْرُخُ بْنُ هَاعَانَ، وَأَبُو عُشَّانَةَ حَيُّ بْنُ يُؤْمِنَ، وَأَبُو قَبِيلٍ الْمَعَافِرِيُّ، وَسَعِيدُ الْمَقْبُرِيُّ، وَبَعْجَةُ الْجَهَنِيُّ، وَحَلْقُ سَوَاهُمْ.

وَكَانَ عُقْبَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَرِيدَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِفَتْحِ دِمْشَقَ.

وَلَمَّا قِبَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَدَبَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ إِلَى الشَّامِ حَرَجَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَشَهَدَ فُتُوحَ الشَّامِ وَمِصْرَ، وَشَهَدَ مَعَ مُعاوِيَةَ صِفَيْنَ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى مِصْرَ، فَنَزَّلَهَا، وَابْتَنَى لِهَا دَارًا، وَتُوفِيَ لِهَا فِي آخِرِ خِلَافَةِ مُعاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَدُفِنَ بِالْمُقْطَمِ مَقْبَرَةً أَهْلِ مِصْرَ.

قَالَ عُقْبَةُ: بَأَيَّعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَى الْمِهْجَرَةِ، وَأَقْمَتُ مَعَهُ.

وَكَانَ عُقْبَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ رُفَاعَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَلِيَ إِمْرَةَ مِصْرَ، وَكَانَ يَحْضُبُ بِالسَّوَادِ.

وَكَانَ يَنْشُدُ فِي ذَلِكَ:

أَسَوِّدُ أَعْلَاهَا وَتَأْبَيْ أَصْوُلُ **** وَلَا حَيْرَ فِي الْأَعْلَى إِذَا فَسَدَ الْأَصْلُ

وَجَمَلَةُ مَا رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ: خَمْسَةُ وَحُمْسُونَ حَدِيثًا، لَهُ مِنْهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ سَبْعَةُ عَشَرَ.

وفاته:

عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ رُفَاعَاءِ سَنَةَ ثَمَانِ وَحُمْسِينَ لِلْهِجَرَةِ.^١

١ - انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢ / ٤٦٩)، وأسد الغابة (٣ / ٥٥١)

(حفظ اللسان)

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاهُ؟

سؤال ينبغي على كل عاقل أن يسأل، ما النجاة؟ كيف أنجو غداً بين يدي الله تعالى؟

إن طلب النجاة هو ما أقض مضاجع الصالحين، وأقلق قلوب العابدين، ولهجت به ألسنة الذاكرين، فيارب نسألك النجاة في الدنيا والآخرة.

أولى فوائد هذا الحديث العظيم حرص أصحاب النبي ﷺ على طلب النجاة خصوصاً، وعلى تحصيل الخير عموماً، نعم كان أصحاب النبي ﷺ أحرص الناس على الخير، وأسرع الناس في تحصيله، كانوا يسألون النبي ﷺ على سبله وطرق تحصيله فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: سأله النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله قال: «الصلوة على وقتها قال ثم أي قال ثم بروالدين قال ثم أي قال الجهاد في سبيل الله قال حذثني هنؤ وله استرداده لزادي». ^١

وهذا سائل يسائل النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله فقال النبي ﷺ: «أدومه وإن قل». ^٢

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال ذلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الركبة المفروضة وتصوم رمضان قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا فلما ولّ قال النبي ﷺ من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فلينظر إلى هذا». ^٣

١ - رواه البخاري - كتاب مواقف الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها - حديث: ٥١٣، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، حديث: ١٤٧

٢ - رواه مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، حديث: ١٣٤٣، عن عائشة رضي الله عنها.

٣ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، حديث: ٤١٣٤٤، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، حديث: ٤١

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلوات الله عليه في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه وتحن نسيرو فقلت يا نبي الله أخربني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتصوم الرغوة وتحجج البيت...».^١

وعن سهل بن سعد الساعدي، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً، فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وارهض فيما في أيدي الناس يحبك الناس».^٢

بل كان أصحاب النبي صلوات الله عليه يسألونه عن الشر مخافة أن يقعوا فيه فعن حذيفة بن الإمام رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله صلوات الله عليه عن الحب و كنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنما كنا في جاهيلية وشر فجاءنا الله بهذا الحب فهل بعد هذا الحب من شر قال: «نعم» قلت وهل بعد ذلك الشر من حب قال: «نعم وفيه دحناً» قلت: وما دحنه قال: «قوم يهدون بغير هدبي تعرف منهم وتنكر» قلت: فهل بعد ذلك الحب من شر قال: «نعم دعاء إلى أبواب جهنم من أجاهم إليها قدفوا فيها»، قلت: يا رسول الله صفهم لنا فقال «هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا»، قلت: فما تأمري إنا أدركنا ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال: «فاعتنل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدرك الموت وأنت على ذلك».^٣

وهذا عقبة بن عامر رضي الله عنه يسأل النبي صلوات الله عليه عن النجاة ويخبره النبي صلوات الله عليه عن ثلاثة من سبل النجاة أولها حفظ اللسان وقد يقول قائل هل اللسان على هذه الدرجة من الخطورة حتى يجعله النبي صلوات الله عليه أول أسباب النجاة؟ نقول نعم فاللسان أخطر أعضاء ابن آدم، ولم لا وهو إما أن يكون سبباً في نجاة العبد وسعادته

١ - رواه أحمد - حديث: ٢٤٧٢ ، والترمذى كتاب الإيمان - أبواب الإيمان عن رسول الله صلوات الله عليه، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث: ٣٩٧١ ، وابن ماجه - كتاب الفتنة، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم: ٢٦٠٤

٢ - رواه ابن ماجه - كتاب الرهبة، باب الرهبة في الدنيا، حديث رقم: ٤١٠٢ ، والحاكم في المستدرك - كتاب الرقاقي، حديث رقم: ٧٨٧٣ ، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ٥٩٧٢ ، بسنده صحيح

٣ - رواه البخاري - كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث: ٣٤٣٠ رواه مسلم - كتاب الإمارة، باب الأمر بنزوم الجماعة عند ظهور الفتنة وتحذير الدعاة إلى الكفر، حديث: ٣٥٢٣

سعادة لا شقاء بعدها وإنما أن يكون سبباً في شقاء العبد شقاء لا سعادة بعده أبداً، لذا حذر النبي ﷺ أصحابه منه، فهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلَا أُحْبِرُكُ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ أَلَا أُحْبِرُكُ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ فَقُلْتُ لَهُ بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَأَخَذَ بِسَانِهِ فَقَالَ كُفَّ عَيْنِكَ هَذَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤْخَذُونَ إِمَّا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ ثَكِلَتَكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يُكْبُثُ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ الْسِنَتِهِمْ».^١

فاللسان سلاح ذو حدين إذا حفظه صاحبه كان من أعظم أسباب النجاة، ومن أسباب دخول الجنة، وهو أيضاً من أسباب الهالك فمن أطلق له العنان يرتع به فيما حرم الله؛ كان من أعظم أسباب دخول النار.

حفظ اللسان من أعظم أسباب النجاة:

فمن حفظ لسانه وكبح جماحه، وحفظ فرجه فقد ضمن له النبي ﷺ الجنة ودليل ذلك ما ورد عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحِيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ».^٢

وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر اطلع على أبي بكير رضي الله عنه وهو يمد لسانه فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ فقال: إن هذا أوردني الموارد، إن رسول الله ﷺ قال: «ليس شيء من الجندي إلا وهو يشكو ذرابة اللسان».^٣

١ - رواه أحمد - حديث: ٢٤٧٤ ، والترمذى - كتاب الإيمان، أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة حديث: ٢٦٠٧ ، وابن ماجه - كتاب كفت اللسان في الفتنة رقم: ٣٩٧٢ ، والحاكم في المستدرك - كتاب التفسير، تفسير سورة السجدة، رقم: ٣٥٤٨ ، تفسير سورة السجدة، حديث: ٣٤٨٣ ، والنمسائي - كتاب قصر الصلاة في السفر، سورة السجدة قوله تعالى: ﴿تَحْاجَفُ جنوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾، رقم: ١٠٩٥٢ ، وابن ماجه - كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث: ٣٩٧١ ،
بسند صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب الرفاق، باب حفظ اللسان، حديث: ٦١١٩

٣ - رواه أبو يعلى - حديث: ٥ ، والبيهقي في الشعب، فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٢٦

ومعنى ذرب اللسان: حدته وشره وفحشه، وإذا كان الصديق صلوات الله عليه يقول هذا وي فعل هذا بلسانه فما بالنا نحن. وهذا عبد الله بن مسعود صلوات الله عليه يقول والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

وصدق والله القائل:

فَالْمَرْءُ يَسْلُمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطُبُ **** وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ

ثُرَاثَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ **** وزَنِ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ

حِفْظُ الْلِّسَانِ وَصِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ:

كما أوصى النبي صلوات الله عليه عقبة بن عامر صلوات الله عليه أوصى غيره من أصحابه صلوات الله عليه; فعن أسود بن أصرم المُحَارِبِيُّ، قال: قلت: يا رسول الله، أوصيني، قال: تملك يدك؟ قلت: فماذا أملك إذا لم أملك يدي؟ قال: تملك لسانك؟ قال: فماذا أملك إذا لم أملك لسانين؟ قال: لا تبسط يدك إلا إلى خير، ولا تقول بِلِسَانِكَ إِلا مَعْرُوفًا.^١

وقال معاذ صلوات الله عليه: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِذَلِكَ كُلِّهِ فَقُلْتُ لَهُ بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». ^٢

وقال الصاحب بن عباد:

حِفْظُ الْلِّسَانِ رَاحَةُ الْإِنْسَانِ **** فَاحْفَظْهُ حِفْظَ الشُّكْرِ لِلْإِحْسَانِ

وقال طاوس: لساني سبع إن أرسلته أكلني.

١ - رواه الطبراني في الكبير - حديث: ٨١٧، والبيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧١٣

٢ - رواه أحمد - حديث: ٢١٤٧٤، والترمذى - باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث: ٢٦٠٧، والنمسائى - كتاب قصر الصلاة في السفر، سورة السجدة، قوله تعالى: ﴿تَنْجَافِي جَنَوْهُمْ عَنِ الْمُضَاجِع﴾، حديث: ١٠٩٥٢، ابن ماجه - كتاب الفتنة، باب كف اللسان في الفتنة، حديث: ٣٩٧١، وصححه الألبانى

وقال وهب بن منبه: في حكمة آل داود: (حق على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه).

وقال الحسن: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه.

وقال الأوزاعي: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رَحْمَةُ اللَّهِ: أما بعد فإن من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنده.

وقيل: الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه.

وقال يونس بن عبيد: لَيْسَ حَلَّةً مِنْ خَلَالِ الْخَيْرِ تَكُونُ فِي الرَّجُلِ هِيَ أَخْرَى أَنْ تَكُونَ جَامِعَةً لِأَنْوَاعِ الْخَيْرِ كُلُّهَا فِيهِ مِنْ حِفْظِ اللِّسَانِ.

وقال محمد بن واسع مالك بن دينار: يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم.

وقال يونس بن عبيد: ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله.

وعن يحيى بن سعيد أن عيسى ابن مريم عليه السلام لقي خنزيراً في طريق فقال له: أنفذ بسلام فقيل له: تقول هذا لخنزير! فقال عيسى ابن مريم عليه السلام: إني أخاف أن أعود لساني المنطق السوء.^١

وعن سفيان قال: قالوا لعيسى بن مريم عليه السلام: دلنا على عمل ندخل به الجنة؟ قال: لا تنطقوا أبداً قالوا: لا نستطيع ذلك! قال: فلا تنطقوا إلا بخيار.

صاحب اللسان البديء من أبغض الناس لقلب النبي ﷺ ومن أبعدهم عن مجلسه:

إذا كان اللسان معوجاً، كثير الزلل، شأنه الخطأ، ودأبه الخطل، كان صاحبه من أبغض الناس عند النبي ﷺ وكفى بذلك خزيًا، وكفى بصاحبته خيبةً وخساراً.

١ - رواه مالك - كتاب الكلام باب ما يكره من الكلام، حدث: ١٧٩٤ ، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت - باب ما أمر به الناس أن يستعملوا فيه أنفسهم من القول، حدث رقم: ٣٥

فَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامًا قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَدِكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَحْلَاقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ التَّرَاثُرُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيَّهُونَ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا التَّرَاثُرُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيَّهُونَ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ».^١

استقامةُ اللسان استقامةُ للجوارح:

وأول دلائل الاستقامة وأعظم مظاهرها وأبهى صورها؛ استقامة اللسان ولم لا؟ واستقامته استقامة للجوارح فعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرَيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامًا: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فِي الْأَعْضَاءِ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانُ فَتَقُولُ أَتَقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّا نَحْنُ بِكَ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجْجَتْ اعْوَجْجَنَا».^٢

فإن قيل فكيف نجمع بين هذا الحديث وما ورد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشْبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبَرَ لِدِينِهِ وَعِزْرِيهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحَمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعِ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حَمَى أَلَا وَإِنَّ حَمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».^٣

قلت: لا تعارض بين الحديثين؛ فإن القلب هو ملك الجوارح واللسان رسوله وترجمانه، وبكلامه يستدل على ما في القلب من خير وشر، وإيمان وكفر، وكما قيل المرء مخبوء تحت لسانه.

قال الطيب: وهذا لا تناقض بينه وبين خبر: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ...». إلى آخره لأن اللسان ترجمان القلب وخليفته في ظاهر البدن فإذا أنسد إليه الأمر فهو مجاز في الحكم كقولك سقى الطبيب المريض الدواء قال الميداني: المرء بأصغر فيه قلبه ولسانه أي تقوم معانيه بهما. قال الشاعر:

١ - رواه أحمد حدث: ١٧٤١٧، والترمذى كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في معالى الأخلاق، حدث:

١٩٩١، بسنده صحيح

٢ - رواه الترمذى - كتاب الزهد بباب حفظ اللسان، حدث: ٢٣٨٩، ورواه البيهقي - في الشعب، فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حدث: ٤٧٢٥، بسنده حسن

٣ - رواه البخارى - كتاب الإيمان، بباب فضل من استبراً لدینه، حدث: ٥٢، ورواه مسلم - كتاب المسافة، بباب أخذ الحلال وترك الشبهات، حدث: ٣٠٨١

لسان الفتى نصف فؤاده **** فلم يبق إلا صورة اللحم والدم^١

قال ابن رجب: فأصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد، كما فسر أبو بكر الصديق وغيره قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾، بأئمَّهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلب على معرفة الله، وعلى خشيته، وإجلاله، ومحبته، وإرادته، ورجائه، ودعائه، والتوكُّل عليه، والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلُّها على طاعته، فإنَّ القلب هو ملكُ الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك، استقامت جنوده ورعاياه، وكذلك فسر قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا﴾، بإخلاص القصد لله وإرادته وحده لا شريك له. وأعظم ما يُراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان، فإنه ترجمانُ القلب والمعبر عنده، وهذا لما أمر النَّبِي ﷺ بالاستقامة، وصَاهَ بعده ذلك بحفظ لسانه، وفي "مسند الإمام أحمد" عن أنس بن مالك قال: «لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم لسانه».^٢

ومعنى تُكَفِّرُ اللسان تذلل وتخضع له من قولهم كُفَّر اليهودي إذا خضع وطأطأ رأسه وانحنى لتعظيم صاحبه.

قال الغزالي: المعنى فيه أن نطق اللسان يؤثر في أعضاء الإنسان بالتوفيق والخذلان فاللسان أشد الأعضاء جماحاً وطغياناً وأكثرها فساداً وعدواناً ويؤكد هذا المعنى قول مالك بن دينار رض إذا رأيت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم أنه تكلمت فيما لا يعنيك.^٣

١ - فيض القدير (٢٨٦ / ١)

٢ - جامع العلوم والحكم (٢٠٥ / ١)، والحديث رواه أحمد - حديث: ١٢٨١٩ ، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت، باب حفظ اللسان وفضل الصمت حديث: ٩ ، والبيهقي في الشعب - باب الدليل على أن التصديق بالقلب، حديث: ٨ ، بسنده حسن

٣ - فيض القدير (٢٨٦ / ١)، بتصرف يسير

اللسان من أعظم أسباب دخول الجنة:

اللسان قد يكون من أعظم أسباب دخول الجنة، إذا حفظه صاحبه من السوء، وجعله رطباً من ذكر الله تعالى؛ فعن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ».^١

اللسان سبب حبوط الأعمال:

واللسان من أعظم أسباب حبوط الأعمال إذا تكلم به صاحبه بشيء ما يحيط العمل الصالح ومن ذلك الشرك بالله تعالى والمن بالعطيه قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتُكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^٢.

ومن ذلك التألي على الله فعن جندبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَى أَنْ لَا أَعْفِرَ لِفُلَانٍ فَإِنِّي قَدْ عَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ».^٣

وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «كَانَ رَجُلًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَآخِيْنَ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُدْنِبُ وَالآخَرُ يُجْتَهِدُ فِي الْعِبَادَةِ فَكَانَ لَا يَرَأُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الدَّنْبِ فَيَقُولُ أَفَصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى دَنْبٍ فَقَالَ لَهُ أَفَصِرْ فَقَالَ خَلَّنِي وَرَبِّي أَبْعَثْتَ عَلَيَّ رِقَبَيَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أُوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقُبِضَ أَرْوَاهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهِمَا الْمُجْتَهِدُ أَكُنْتَ بِي عَالِمًا أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا وَقَالَ لِلْمُدْنِبِ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي وَقَالَ لِآخَرِ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقَتْ ذُنْيَا وَآخِرَةٌ.

وسياطي لذلك مزيد بيان إن شاء الله عند الحديث عن التألي على الله تعالى.

١ - رواه البخاري-كتاب الرفاق، باب حفظ اللسان، حديث: ٦١٩

٢ - سورة البقرة: الآية / ٢٦٤

٣ - رواه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى، حديث: ٤٨٦٠

٤ - رواه أحمد حديث: ٤٢٧٦، رواه أبو داود-كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، حديث: ٤٢٧٦، وابن حبان-كتاب الحظر والإباحة باب ما يكره من الكلام وما لا يكره، حديث: ٥٧٩٠

اللسان من أعظم أسباب دخول النار:

وكما أن اللسان من أعظم أسباب دخول الجنة إذا حفظه صاحبه، فإنه كذلك من أعظم أسباب دخول النار إذا لم يقيده صاحبه بأحكام الشرع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناسَ الجنةَ فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهُ وَحْسِنَ الْخُلُقِ». وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: «الْفَمُ وَالْفَرْجُ».^١

وقد يكون سبب دخول النار كلمة يقولها الإنسان ولا يهتم لها، بل ربما ينساها بعد دقائق، وقد جلبت له شقاء الأبد، وما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، وهذا يبين لنا أهمية الكلمة، ومدى خطر اللسان.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَنْكَلِمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَبَيِّنُ مَا فِيهَا يَهْوِي إِلَيْهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».^٢

لذلك كان أخوف ما يخافه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللسان، ولم لا وهو الذي يكتب الناس في النار على وجوههم.

فعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال: «قل رب الله ثم استقم». قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف على فأخذ بسان نفسه ثم قال: «هذا».^٣

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبخت يوماً قريباً منه وتحن نسيير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. قال: «لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان وتحجج البيت».

١ - رواه أحمد - حديث: ٧٧٢٣، ورواه ابن ماجه - كتاب الزهد، باب ذكر الذنب، حديث: ٤٢٤٤، والبخاري في الأدب المفرد - باب حسنخلق إذا فقهوا، حديث: ٣٠٤

٢ - رواه البخاري، كتاب الرفاق، باب حفظ اللسان، حديث: ٦١٢٢، ورواه مسلم - كتاب الزهد والرفاق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، حديث: ٥٤١٤

٣ - رواه أحمد - حديث: ١٥١٤٦، والترمذى - أبواب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، حديث: ٢٣٩٢، وابن ماجه - كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث: ٣٩٧٠

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدْلُكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمُ جُنَاحُهُ وَالصَّدَقَةُ ثُطْفُهُ الْخَطِيئَةُ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ وَصَلَاتُهُ الرَّجُلُ مِنْ جَوْفِ اللَّيلِ». قَالَ ثُمَّ تَلَاهُ: ﴿تَتَحَاجَفَ جُنُونُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَحْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ». قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ». ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَحْبِرُكَ إِمَلاَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ». قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ فَأَخَذَ لِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكِ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَابِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ الْسَّيْنَةِ».^١

جنائية اللسان على صاحبه:

كثير من الناس لا يقدرون اللسان حق قدره، ولا يدركون مدى خطره، حتى يصيبهم من بأسه، وينالهم من شره، فيصبح أحدهم عبرة للمعتبرين، وأثراً في الغابرين، وما جال بخلده طرفة عينٍ أن يكون قتيلاً لسانِهِ، أو أسيئَ بيانيهِ، أو ذليلاً بسبب كلمة خرجت من فمه لم يلق لها بالاً، ولم يعرها التفاتاً، لذا قالوا: (آفةُ الإِنْسَانِ فِي الْلِسَانِ)، وقالوا أيضاً: (اللسانُ أَجْرَحُ جَوَارِحَ الْإِنْسَانِ) ، وقالوا: (القولُ يَنْفَدُ مَا لَا تَنْفَدُ الْإِبْرُ).

وقال الشاعر:

وَقَدْ يُرْجَحِي لُجُوحِ السَّيْفِ بُرْءَةُ
وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ الْلِسَانُ ****

وقيل:

جَرَاحَاتُ السِّنَانِ لَهَا التِّئَامُ ****
وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ الْلِسَانُ

وبروى:

وَجُرْحُ السَّيْفِ تَدْمِلُهُ فَيَبْرَا^{*}
وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ الْلِسَانُ ****

١ - رواه أحمد - حديث: ٢٠١٦ ، والترمذى - أَبْوَابُ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بابُ مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ، حديث: ٣٩٧١ ، وابن ماجه - كتاب الفتنة، باب كف اللسان في الفتنة، حديث: ٢٦١٦

ومن جنایة اللسان على صاحبه ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوذ قال: و كان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوذ قال لا بأس طهور إن شاء الله فقال له لا بأس طهور إن شاء الله قال: قلت طهور كلام هى تفه أو تثور على شيخ كبير ثرية القبور ف قال النبي ﷺ فَعَمْ إِذَا»^١.

وفي رواية: ف قال النبي ﷺ: «نعم فهو كذلك فمات الرجل»^٢.

وصدق رسول الله ﷺ عندما علق البلاء بالمنطق فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البلاء موكلاً بالمنطق»^٣.

ومن جنایة اللسان على صاحبه ما حدث ليعقوب بن السكريت، جلس أبو يوسف يعقوب بن السكريت يوماً مع الم وكل، وكان يؤدب أولاده، فجاءه المعتز والمؤيد ولدا الم وكل فقال له: يا يعقوب أينما أحب إليك ابني هذان أم الحسن والحسين؟ فقال: والله إن قنبرا خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ابنيك. فقال الم وكل للأتراء: سلوا لسانه من فقه، ففعلوا به ذلك، فمات. ومن العجب أنه كان قبل ذلك بيسير أنسد لولي الم وكل وهو يعلمهمما:

* * * * *

يصاب الفتى من عشرة بسانه وليس يصاب المرء من عشرة الرجل
 فعشرته بالقول تذهب رأسه وعشرته بالرجل تبرا على مهل

وقيل في المثل: (المكتار كحاطب ليل). وهو مثل يضرب للذى يتكلم بكل ما يهمنى في خاطره.
 قال أبو عبيد: وإنما شبه بحاطب الليل لأنه ربما نهشته الحياة ولدغته العقرب في احتطابه ليلاً، فذلك المكتار ربما يتكلم بما فيه هلاكه.

١ - رواه البخاري- كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث: ٣٤٤٠

٢ - رواه عمر بن راشد في جامعه- المرض وما يصيب الرجل، حديث: ٩١٩

٣ - رواه البيهقي في شعب الإيمان- فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه حديث: ٤٧٢٧ ، والشهاب في مسنده- البلاء موكلاً بالمنطق، حديث: ٢١٩

٤ - حياة الحيوان الكبرى (٢ / ٩٩)

٥ - مجمع الأمثال (٢ / ٣٠٤)

وقال الشافعي:

احفظ لسانك أيها الإنسان **** لا يقتلنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه لقاءه الأقران **** كانت تخاف لقاءه

ومن جنایة اللسان على صاحبه ما ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلِّلَ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلَقَ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُفْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ حَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمٍ، فَجَعَلُوهُ بَيْتَهُمْ، فَقَالَ: قَيْسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضِيْنِ، فَإِلَيْتُهُمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ »، قَالَ فَتَادَهُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ». ^١

ومن جنایة اللسان على صاحبه ما حکاه أبو بكر الخطيب البغدادي عن صالح بن عبد المددوس الأزدي، وكان يعلن في البصرة مذهبـه في الشنوية. ويقال: إن أبا الهذيل العلاف المتـكلـمـ ناظـرهـ فقطـعـهـ، ثم قال له: على أي شيء تعزم يا صالح؟

فقال: أستخـير الله وأؤمن بالاثـنينـ. ولـما عـلمـ بـأنـ دـيوـانـ الرـنـادـقةـ يـرصـدـهـ هـربـ إـلـىـ دـمـشـقـ؛ـ فـطـلـبـهـ المـهـديـ وزـجـ بهـ فيـ سـجـنـ تـلـكـ الفـئـةـ الـبـاغـيـةـ،ـ حتـىـ يـحاـكـمـ،ـ فـقـالـ فيـ سـجـنـهـ:

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها **** فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

١ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حدث: ٣٣٠١، ومسلم - كتاب التوبة، باب قبول توبـةـ القـاتـلـ وإنـ كـثـرـ قـتـلهـ،ـ حدـثـ:ـ ٥٠٧٤ـ

فِيْرَنَا وَلَمْ نَدْفُنْ فَنْحَنْ بَعْزِلْ **** من النَّاسِ لَا تُخْشَى فَنْعَشِي وَلَا تَعْشِي

وقيل: إنه صلى صلاة تامة الركوع والسجود؛ فقيل له: ما هذا ومذهبك معروف: قال سُنّة البلد وعادة الجسد وسلامة الأهل والولد. وأحضر للمحاكمة بحضور المهدى الخليفة فنظر فيما أهتم به من الزندقة؛ فأظهر التوبة، فقال له المهدى ألسنت القائل في حفظك ما أنت عليه:

رُبَّ سِرِّ كَتْمَتُهُ فَكَانَيْ **** أَخْرَسْ أَوْ ثَنَى لَسَانِي حَبْلَ

وَلَوْ أَنِي أَبْدِيَتُ لِلنَّاسِ عِلْمِي **** لَمْ يَكُنْ لِي فِي غَيْرِ حَبْسِي أَكْلُ

قال: فإني أتوب وأرجع، فقال له المهدى: هيهات! ألسنت القائل:

وَالشَّيْخُ لَا يَرْتُكُ أَخْلَاقَهُ **** حَتَّى يُوَارَى فِي شَرِي رَمْسِهِ

إِذَا ارْعَوْيَ عَادَ إِلَى جَهَلِهِ **** كَذِي الْضَّيْ عَادَ إِلَى نَكْسِهِ

ثم قُدِّمَ، فقتل وصلب على الجسر ببغداد.^١

وعن جابر^{رض} قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلاً مينا حجر فشجه في رأسه، ثم احتم فسأل أصحابه فقال: هل تحدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما تحد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتنسل فمات، فلما قدمنا على النبي^ص أخبر بذلك فقال: «قتلوا قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكتفي أن يتيمم ويغمر - أو يعصب - على جرحه خرقاً، ثم يمسح عليهما ويغسل سائر جسده». ^٢

ومن جنائية اللسان على صاحبه، ما حكى عن أبي الطيب المتنبي أنه لما وفد على عاصي الدولة، وصله بثلاثة آلاف دينار، وثلاثة أفراس مسرجات محلة، وثياب مفتخرة، ثم دس عليه من سأله: أين هذا العطاء

١ - انظر في أخبار صالح أمالي المرتضى (١٤٤ / ١)، وما بعدها، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣٠٣ / ٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٤٧ / ٢٣)

٢ - رواه أبو داود - كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم، حديث: ٣٣٦، وابن ماجه - كتاب الطهارة وسننها، باب في المجروح تسبيبة الجنابة، فيحاف على نفسه إن اغتنسل، حديث: ٥٧٢، بسنده حسن

من عطاء سيف الدولة؟ فقال: هذا أجزل إلا أنه عطاء متكلفٌ، وسيف الدولة كان يعطي طبعاً، فغضب عضد الدولة، فلما انصرف جهز عليه قوماً من بني ضبة، فقتلواه بعد أن قاتل قتالاً شديداً، ثم أخزه، فقال له غلامه: أين قولك:

الْحَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي * * * * *

قال: قلتني قاتلك الله، ثم قاتل حتى قُتل.^١

ومن جنایة اللسان على صاحبه ما حکاه أبو عبيد من سبب قوله: (مَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعًا).

وبسبب هذا المثل أن سالم بن دارة - أحد بنى عبد الله بن غطفان - كان قد هجا رجلاً من بنى فزار، يقال له: زميل^٢، وبالغ في هجائه، فاغتاله الفزارى حتى ضربه بالسيف.

ثم قال القاتل:

أَنَا زُمِيلُ مِنْ بَنِي فَزارَه * * * * *
..... * * * * * الْبَكَارَهُ عَقْلَهُ جَعَلْتُ ثُمَّ

ولما عותب في فتكه به وقتلته قال:

فَلَا تُكْثِرُوا فِيهِ الضِّجَاجَ إِنَّهُ مَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعًا

ولما قيل له ويحك يا زميل لم قتلت سالماً؟

قال أحرقني بالهجاء.

* * * * *

١ - تاريخ الإسلام للذهبي (٢٦ / ١٠٥)

من آفات اللسان

(القول على الله تعالى بغير علم)

من أعظم آفات اللسان خطراً على صاحبها آفة القول على الله تعالى بغير علم، ومن كانت فيه هذه الآفة لا يفلح أبداً ومن كانت فيه هذه الآفات فهو أظلم الناس على الإطلاق، ومن كانت فيه هذه الآفة كان مرتكباً لأعظم الحرمات، فإن القول على الله تعالى بغير علم أعظم الحرمات على الإطلاق، فإن الله تعالى جعله أعظم من الشرك بالله تعالى.

القول على الله تعالى بغير علم من أعظم مقاصد الشيطان:

القول على الله تعالى بغير علم من أعظم مقاصد أبليس، ومن أولى مساعيه لاغواء بني آدم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيْبًا وَلَا تَتَبَعُوا حُطُومَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^١.

قال ابن كثير قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة، وأغلوظ منها الفاحشة كالزنا ونحوه، وأغلوظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم، فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضاً.^٢

قال ابن حجر: والسوء: الإثم مثل الضير، من قول القائل: ساءك هذا الأمر يسوءك سوءاً، وهو ما يسوء القائل. وأما الفحشاء: فهي مصدر مثل السراء، والضراء، وهي كل ما استفحش ذكره، وقبح مسموعه. وقيل: إن السوء الذي ذكره الله هو معاصي الله؛ فإن كان ذلك كذلك، فإنما سمها الله سوءاً لأنها تسوء صاحبها بسوء عاقبتها له عند الله. وقيل: إن الفحشاء: الرذيلة؛ فإن كان ذلك كذلك، فإنما يسمى لقبح مسموعه ومكرره ما يذكر به فاعله.^٣

١ - سورة البقرة: الآية ١٦٨ ، ١٦٩

٢ - تفسير ابن كثير (١ / ٤٧٩)

٣ - تفسير الطبرى (٣ / ٤٠)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾^١.

القول على الله تعالى بغير علم أعظم المحرمات على الإطلاق:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيِّ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمُ وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^٢.

ففي هذه الآية ذكر الله تعالى أصول المحرمات فبدأ بأقلها حرمة فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيِّ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، وهذه تشمل الزنا واللواط وما شابهها من الفواحش، ثم ارتقى الخطاب درجة إلى ما هو أشد خطراً وأعظم ضرراً وهو وأبشع أثراً، وهو الإثم والظلم ﴿وَالإِثْمُ وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وذلك لأن ضرر البغي متعد إلى الغير وأثره أعظم من أثر الفواحش، ثم ارتقى الخطاب درجة إلى ما هو أشد خطراً وأعظم ضرراً وأبشع أثراً ، وهو الشرك بالله تعالى: ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ ثم ارتقى الخطاب درجة إلى ما هو أشد خطراً وأعظم ضرراً وأبشع أثراً، وهو القول على الله تعالى بغير علم: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فالقول على الله تعالى بغير علم أخطر من الشرك بالله تعالى وذلك لأن مفسدة القول على الله تعالى بغير علم أعظم من مفسدة الشرك بالله تعالى فإن الشرك ضرره قاصر على صاحبه أما القول على الله تعالى بغير علم فإن ضرره متعد وإن شئت فانظر إلى ما أحدهه مسيلمة الكذاب من الفتنة عندما ادعى النبوة فضل بقوله فناء عظيمة من الناس، ولا شك أن من ضل في نفسه أقل شرّاً وأثراً وإنما من ضل في نفسه وأضل غيره، وقد بين ذلك القرآن أعظم بيان قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَتَبُعُونَا وَلَنُخْمِلَنَّ حَطَابَيَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ حَطَابَيَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالَهُمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^٣.

١ - سورة الإسراء: الآية / ٣٦

٢ - سورة الأعراف: الآية / ٣٣

٣ - سورة العنكبوت: الآية ١٢، ١٣

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَامٌ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾، فحصر التحرم في هذه الأربعه، فإنها محرمة في كل ملة، لا تباح بحال إلا عند الضرورة، وبدأ بالأخف تحريمًا ثم بما هو أشد منه، فإن تحريم الميتة دون تحريم الدم فإنه أثبت منها، ولحم الخنزير أثبت منهما، وما أهل به لغير الله أثبت الأربعه.

ونظير هذا قوله: ﴿فُلِّ إِنَّمَا حَرَامٌ رَبِّ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْبَعْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فبدأ بالأسهل تحريمًا ثم ما هو أشد منه إلى أن ختم بأغالظ المحرمات وهو القول عليه بلا علم فما أهل به لغير الله في الدرجة الرابعة من المحرمات.^١

قال الإمام عبد الرحمن بن الجوزي رحمة الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عام في تحريم القول في الدين من غير يقين).

من قال عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يُفْلِحُ أَبَدًا:

القول على الله تعالى بغير علم افتراء على الله تعالى ومن افترى على الله تعالى فلا يفلح أبداً قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنْذِيْهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ إِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.^٢

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصْفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.^٣

من قال عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلَا أَظْلَمُ مِنْهُ:

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ إِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.^٤

١ - أحكام أهل الذمة (٥٢٨ / ١)

٢ - سورة يوسم: الآية / ٦٩، ٧٠

٣ - سورة النحل: الآية / ١١٦، ١١٧

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَحْمَنْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هُؤُلَاءِ
الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَحْمَنْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ .^١

٤ - سورة الأنعام: الآية / ٢١

١ - سورة هود: الآية / ١٨

صُورُ القولِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ

مِنْ صُورِ القولِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ (الْفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ):

مِنْ صُورُ القولِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ، الإفتاء بغير علم وهو أن يسأل إنسان عن أمر من أمور الدين فيجيب بالتحليل أو التحرير بلا مستند له ولا بينة ولا دليل من كتاب أو سنة، ومن العجيب أن كثيرا من الناس إذا سُئل عن أمر من أمور الدنيا رده إلى أهل الاختصاص، ولا يجد غضاضة في أن يقول لا أعلم، وإذا سُئل عن أمر من أمور الدين كادت إجابته أن تسبق سؤال السائل، وليس هو من أهل الاختصاص، ولا من ينتمي لأهل العلم بصلة، وإذا عותب على ذلك غضب أشد الغضب، وكأن الكلام في الدين كلاً مباحاً، وقد حذر الله تعالى من ذلك أشد التحذير فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ الْسِّنَّتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾^١.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾^٢.

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامَ كَانَ حِلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَأُ فُلْ قَاتُوا بِالْتَّوْرَأِ فَاتَّلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^٣.

١ - سورة النحل: الآية / ١١٦

٢ - سورة الإسراء: الآية / ٣٦

٣ - سورة آل عمران: الآية / ٩٤ ، ٩٣

أثر الإفتاء بغير علمٍ

ولا يدرى الذي يفتى بغير علم أنه قد يحرم ما أحله الله تعالى، أو يحرم ما أحله الله تعالى، فيبيح الفروج المحرمة، أو يهدم بيوتاً قائمة، ويفرق بين المرأة وأهلها، وقد يتشرد بسبب فتياه الأبناء، إذا كانت الفتيا متعلقة بمسائل الطلاق، أو الرضاع أو غير ذلك، ولا يدرى أنه ربما قتل بفتياه وهو لا يشعر، بل ربما يظن أنه يحسن صنعاً، وسأذكر على ذلك مثالين يستبين منهما خطر الفتوى التي بنيت على الجهل.

المثال الأول: عن جابر بن عبد الله قال حرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه ثم احتمل فسأله أصحابه فقال هل تحدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاعتسل فمات فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال: «قتلوا فنائهم الله لا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال إنما كان يكتفي أن يتيمم ويغصر». ^١

والشاهد هو قول النبي صلى الله عليه وسلم: «قتلوا فنائهم الله». فإنه نسب لهم القتل لما كانت الفتوى سبب القتل.

المثال الثاني: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فاتاه فقال إله قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة فقال لا. فقتله فكمله به مائة ثم سأله عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم ف قال إله قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتا الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مفبرا يقلبه إلى الله. وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل حيراً قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أدنى فهو له. فقاموا فوجدو أدنى إلى الأرض التي أراد فقضته ملائكة الرحمة». ^٢

١ - رواه أبو داود - كتاب الطهارة، باب في المحرور يتيم، حديث رقم: ٢٨٨، وابن ماجه - كتاب الطهارة وسننها، أبواب التيمم، باب في المحرور تصييه الجنابة، حديث رقم: ٥٦٩، بسند حسن، والحاكم في المستدرك، حديث: ٥٨٢، بسند صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٣٠١، ومسلم - كتاب التوبه، باب قبول توبه القاتل وإن كثر قتله، حديث رقم: ٥٠٧٤

والشاهد في الحديث قول النبي ﷺ: «فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا. فَقَتَلَهُ فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً». فهذا الراهب إنما قتل جهله، لما أفقى بغير علم كان هو أول ضحايا فتواه.

قال صاحب مرقاة المفاتيح: فيه إشارة إلى قلة فطنة الراهب؛ لأنَّه كان من حقه التحرز من اجترأ على القتل حتى صار له عادةً، بأن لا يواجهه بخلاف مراده، وأن يستعمل معه المعارض مداراة عن نفسه، هذا لو كان الحكم عنده صريحةً في عدم قبول توبة القاتل، فضلاً عن أن الحكم لم يكن عنده إلا مظنوناً.^١

قال ابن المعتن:

ياربَ ألسنةِ كالسيوفِ
أعناقَ تقطعُ ****

وكم دُهِيَ المُرءُ من نفسيِ
بأنياها تُوكَلَنَ ****

قال ابن وهب: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَمْلأَ الْوَاحِي مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ: لَا أَدْرِي، لَقَعْلُتُ.^٢

وقال مالك: جنة العالم: "لَا أَدْرِي"، فِإِذَا أَغْفَلَهَا أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ.

من صور القول على الله تعالى بغير علم: (تحريف كلام الله تعالى):

ومن صور القول على الله تعالى بغير علم، نسبة شيء من الكلام لله تعالى وليس هو من كلام الله تعالى، وهذا أكثر ما وجد عند اليهود والنصارى والتحريف أنواع ثلاثة:

١ - مشكاة المصايخ مع شرحه مرقاة المفاتيح (٤٧ / ٨)

٢ - سير أعلام النبلاء (١٨٥ / ٧)

الأول: نسبة كلام لم يقله الله تعالى إليه:

قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيَشْرُكُوا بِهِ ثُمَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ إِمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ إِمَّا يَكْسِبُونَ﴾.^١

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.^٢

الثاني: لي اللسان بالكلام لإيهام السامع أنه كلام الله وهو ليس من كلام الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَأْلُوْنَ السِّنَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.^٣

وقال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَكِّرُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ عَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيَّا بِالسِّنَّةِ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾.

الثالث تأويل كلام الله تعالى وصرفه عن حقيقته بغير دليل:

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَبِيعٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾.^٤

من صور القول على الله تعالى بغير علم: (تفسير القرآن بالرأي والهوى):

وَمِنْ صُورُ القوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ تفسير القرآن بالرأي والهوى، فعن عبد الله بن عباس^{رض} قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلَيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».^٥

١ - سورة البقرة: الآية / ٧٩

٢ - سورة الأنعام: الآية / ٢١

٣ - سورة آل عمران: الآية / ٧٨

٤ - سورة النساء: الآية / ٤٦

٥ - سورة آل عمران: الآية / ٧

٦ - رواه أحمد حدیث: ٢٠١٤، والترمذی - أبواب تفسیر القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه حدیث: ٢٩٥١، بسنده ضعیف

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ».^١

قال أبو عيسى: هكذا روى عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وغيرهم أنهم شددوا في هذا في أن يفسر القرآن بغير علم. وأما الذي روى عن مجاهيد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم وقد روى عنهم ما يدل على ما قلنا بهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم.

فإذا قيل لهم ذلك وهم أباطين البلاغة، وأرباب الفصاحة، وشاهدوا التنزيل، وصحبوا رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، ومن كانت العلوم عندهم سجية، والأفهام صحيحة، والقول سوية، واللسان مستقيم لم تختاله عجمة، بل لو حاول أحدهم الخطأ ما استطاع إليه سبيلاً، واستمع إلى ما رواه أهل البلاغة والأدب مما جرى بين سيبويه والكسائي في ذلك، ورد سيبويه ببغداد على يحيى البرمكي، فجمع بينه وبين الكسائي للمناظرة، فقال له: كيف تقول: قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور؛ فإذا هو هي؛ أو هو إياها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النصب، فقال الكسائي: أخطأت! العرب ترفع ذلك وتنصبه، وجعل يورد عليه أمثلة؛ من ذلك: خرجت فإذا زيد قائم أو قائماً، وسيبوه يمنع النصب، فقال يحيى: قد اختلفتما، وأنتما رئيساً بليديكم، فمن يحكم بينكم؟ فقال الكسائي: هذه العرب ببابك قد وفدو عليك؛ وهم فصحاء الناس؛ فسألهم، فقال يحيى: أني صفت، وأحضرتكم فسائلوا، فاتبعوا الكسائي، فاستكان سيبويه، وقال: أيها الوزير، سألك إلا ما أمرتكم أن ينطقوا بذلك؛ فإن ألسنتهم لا تجري عليه، وكانوا إنما قالوا: الصواب ما قاله هذا الشيخ؛ فقال الكسائي ليعي: أصلاح الله الوزير! إنه قد وفد إليك من بلده مؤملاً، فإن رأيت ألا ترده خائباً! فأمر له بعشرة آلاف درهم؛ فخرج إلى فارس.^٢

والشاهد في القصة قول سيبويه ليعي البرمكي أيها الوزير: (سألك إلا ما أمرتكم أن ينطقوا بذلك؛ فإن ألسنتهم لا تجري عليه) لأنهم عرب خلص ومن كان على شاكلتهم كان معاني القرآن أعرف،

١ - رواه أبو داود - كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم، حدث: ٣١٨٥، والترمذى، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، حدث: ٢٩٥٣، بسند ضعيف

٢ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٢/ ١٣٠)

ويتفسّيره أعلم، ومع ذلك لا يجوز لهؤلاء أن يفسّر أحدهم القرآن برأيه، فضلاً عن بعدهم من قل علمهم، واعوچت بالعجمي ألسنتهم، وما عاصروا التنزيل، وفأتمم معرفة أسباب النزول.

ولقد كان السلف عليهم رضوان الله من أشد الناس تحرجاً في تفسير القرآن، مع غزارة علمهم، وجودة
قرائهم، واستقامة لغتهم، فعن إبراهيم التَّيْمِي؛ أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سُئل عن قوله: ﴿وَفَاكِهَةٌ
وَأَبَا﴾ ^{أَبَا} ١.

فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلنني؟ فإذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وَعَنْ أَنْسٍ قَالَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ قَرأَ عَلَى الْمَنِيرِ: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبَابًا ﴾ ۝ ۰

فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأَبُّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا هو التكلف يا عمر.

وعن ابن أبي مُلينَةَ: أن ابن عباس رضي الله عنه سُئل عن آيةٍ لو سُئل عنها بعضاً لقال فيها، فأبى أن يقول فيها.

وقال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أبي مليكة، قال: سأله رجل عبد الله بن عباس عن: ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَعَةٍ﴾.^٣

فقال له عبد الله بن عباس: فما يَوْمٌ كَانَ مِقْدَارُهُ حَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً؟

فقال له الرجل: إنما سألك لتحدثنـي. فقال ابن عباس: هـما يومنـ ذكرهـما اللهـ تعالىـ فيـ كتابـهـ، اللهـ أعلمـ بهـماـ. فـكـرهـ أنـ يـقـولـ فيـ كتابـ اللهـ ماـ لاـ يـعـلمـ.

وعن الوليد بن مسلم، قال: جاء طلق بن حبيب إلى جنْدُب بن عبد الله رضي الله عنه فسألَه عن آية من القرآن؟ فقال: أحرج عليك إن كنت مسلماً إلا ما قمتَ عني، أو قال: أن تحالستي.

١ - سورة عبس: الآية / ٣١

٣١ - سورة عبس: الآية / ٢

٣ - سورة السجدة: الآية / ٥

٤ - سورة المعارج: الآية/٤

وروى مالك عن سعيد بن المسيب: إنه كان إذا سُئل عن تفسير آية من القرآن، قال: إننا لا نقول في القرآن شيئاً.

وقال الليث، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: إنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن. وعن يزيد بن أبي يزيد، قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سُئلناه عن تفسير آية من القرآن سكت، لأن لم يسمع.

وقال عبيد الله بن عمر: لقد أدركتُ فقهاء المدينة، وإنهم ليعظمون القول في التفسير، منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع.

وقال هشام بن عروة: ما سمعت أبي تأول آية من كتاب الله قط.

وقال مسروق: اتقوا التفسير، فإنما هو الرواية عن الله.

قال ابن كثير رحمة الله: فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها، الواردة عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به؛ فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعًا، فلا حرج عليه؛ وهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عمما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سُئل عنه مما يعلمه، لقوله تعالى: ﴿لَتَبَيِّنَنَا لِلنَّاسِ وَلَا تَكُنُّمُونَةً﴾^١.

مِنْ صُورِ القَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ: (ادعاء النبوة):

وَمِنْ صُورِ القَوْلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ وَمَرْيَوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾، وهذه الصورة أعظم صور القول على الله، وأشدتها خطراً، وأبعدها في الضلال أثراً، ولا يفعل ذلك إلا من طمث الله على بصيرته، وأعمى قلبه، لذا توعده الله تعالى بالخسران في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَمَنْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزُلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي عَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ بُخْرَوْنَ عَذَابَ الْهُوْنِ إِمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرُ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْرِبُونَ﴾.^١

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الْكَذِبُ):

من آفات اللسان الخطيرة، ومن شروره المستطيرة الكذب، وهو من أقبح هذه الآفات على صاحبه، ومن أسوءها أثراً، وأشدتها خطراً، ولم لا؟ والكذب أقرب طريق إلى النار، وهو شعبة من شعب النفاق، بل النفاق أثر من آثاره، وهو سبب محق البركة، وعلامة ذهاب الإيمان، وسبب الريبة والاضطراب.

حدُّ الْكَذِبِ:

إذا كان الصدق هو مطابقة الكلام للواقع، فإن الكذب هو مخالفة الكلام للواقع، وإن شئت فقل مخالفة السر للعلانية.

أَنْوَاعُ الْكَذِبِ:

الْكَذِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى:

أقبح أنواع الكذب على الإطلاق الكذب على الله تعالى، وتقدم الحديث عنه عند الكلام على آفة القول على الله بغير علم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾. ١

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَمَ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزُلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذ الظَّالِمُونَ فِي عَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةِ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَحْرِجُوْا نَفْسَكُمُ الْيَوْمَ بُخْزُونَ عَذَابَ الْهُنْوِنِ إِمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ عِيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾. ٢

الْكَذِبُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ:

١ - سورة الأنعام: الآية / ٢١

٢ - سورة الأنعام: الآية / ٩٣

وأشنع أنواع الكذب بعد الكذب على الله تعالى، الكذب على النبي ﷺ وقد توعد النبي ﷺ صاحبه بالنار، وسخط الجبار، وذلك لأن الذي يتعمد الكذب على النبي ﷺ يؤدي إلى تبديل دين الله تعالى، وتغيير شرعه، ويؤذن قبيح فعله، وسوء عمله، بانسلاخه من الدين، وسوء معتقده، نسأل الله العفو والعافية.

عَنْ عَلَيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلَيْلِجِنَ النَّارَ».^١

وعَنْ الْمُغِيْرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلَيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».^٢

الْكَذِبُ عَلَى النَّاسِ:

النوع الثالث من أنواع الكذب، الكذب على الناس، ومع أنه أقل أنواع الكذب خطراً، وأخفها على صاحبه أثراً إلا إنه من الكبائر، ومناف للإيمان، وسبب محق البركة، وعلامة من علامات النفاق، وأقرب الطرق للنار، وسبب الريبة والاضطراب، ومن اتصف به كان أبعد الناس عن الهدية، وأقربهم إلى الغواية.

أَثْرُ الْكَذِبِ:

الْكَذِبُ سَبَبُ مَحْقُ البرَّكَةِ:

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «الْبَيْعَانِ بِالْخَيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقاً وَبَيَّنَا بُورَكَ هُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَّتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا».^٣

١ - رواه البخاري - كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حدث: ١٠٥، ومسلم - باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ حدث: ٢

٢ - رواه البخاري - كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، حدث: ١٢٤٢، ومسلم - باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، حدث: ٥

٣ - رواه البخاري - كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، حدث: ١٩٨٩، ومسلم - كتاب الصدق في البيع والبيان، حدث: ٢٩٠٤

الكذب ريبة:

عن أبي الحوراء السعدي قال قلت للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال حفظت من رسول الله ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيُّكَ إِلَى مَا لا يَرِيُّكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طَمَانِيَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيَّةٌ».^١

وبسبب الريبة أن آفة الكذاب نسيان كذبه؛ لذلك يظل متخفِّفاً من أن يفتش أمره، ويطلع الناس على كذبه، وسوء فعله.

لدى الناس كذاباً وإنْ كان صادقاً

إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل

وتلقاه ذا ذهن إذا كان حاذقاً

ومن آفة الكذاب نسيان كذبه

الكذب مستقبح عند كل ذي عقل:

من مساوى الكذب وقبحه أنه مذموم فيسائر الشرائع، ومستقبح عند كل صاحب عقل، ويستنكف منه البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ودليل ذلك ما حكاه أبو سفيان ابن حرب رضي الله عنه عما جرى قبل إسلامه بينه وبين هرقل فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركبٍ من قريشٍ وكانوا يخافونه بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماداً فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم يأiliاء فدعاهم في مجلسه وحوله عظام الروم ثم دعا بهترجانه فقال: «أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً فقال: أدنوه ميني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجانه فلن لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوا فوالله لولا الحياة من أن يأتوا على كذبًا لكذبٌ عنده...».^٢

١ - رواه أحمد - حديث: ١٦٧٥، والترمذى - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب حديث: ٢٥٠٢، بسنده صحيح

٢ - رواه البخارى، باب بدء الوحي، حديث: ٧، ومسلم - كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى...، حديث: ٣٤٠٩

وروى ابن عساكر أن سليمان بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك فقال له: يا سليمان الذي تولى كبره من هو؟ قال: عبد الله بن أبي، قال: كذبت هو علي، قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول فدخل الزهري فقال: يا ابن شهاب من الذي تولى كبره؟ فقال: ابن أبي. قال: كذبت هو علي، قال: أنا أكذب؟ لا أبا لك والله لو نادى مناد من السماء أن الله قد أحل الكذب ما كذبت، حدثني عروة وسعيد وعبد الله وعلقمة عن عائشة رضي الله عنها أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي".^١

وقال معاوية عليه يوماً للأحنف بن قيس عليه وقد حدثه: أتكذب؟ قال: والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب شين.

الْكَذِبُ قَرِينُ الْفُجُورِ:

من قبح الكذب وشؤمه على صاحبه أنه قرين الفجور، والوسيلة إليه، والسبيل الموصى إليه، كما أن الفجور هو السبيل إلى النار.

عن أوسط بن إسماعيل بن أوسط البجلي أنه سمع أبا بكر عليه قال: قام رسول الله عليه عام الأول مقامي هذا ثم بكى ثم قال: عليكم بالصدق فإنه مع البر وهو في الجنة وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهو في النار وسلوا الله المغفارة فإنه لم يؤت رجل بعد اليقين شيئاً خيراً من المغفارة ثم قال لا تقاطعوا ولا تدابرموا ولا تبغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا".^٢

تَرْكُ الْكَذِبِ مِنْ أَسْبَابِ الْفَوزِ بِالْجَنَّةِ:

إذا ترك العبد الكذب لله تعالى، ولم يخالف إذا وعد، ولم يخن إذا أتم، وغض بصره وحسن فرجه وكف عن الناس شره - نسأل الله تعالى أن يجعلنا من يتصرف بذلك - فقد ضمن له النبي عليه الجنـة.

١ - تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٥ / ٣٧١)

٢ - رواه ابن ماجه - كتاب الدعاء، باب الدعاء بالغفو والعافية، حديث: ٣٨٤٧، وأبو يعلى حديث: ١١٥، بسنـد صحيح

فَعَنْ مُعاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تَكَفَّلُوا لِي بِسِتٍ أَتَكَفَّلُ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ، إِذَا حَدَثْتُمْ فَلَا تَكْذِبُوا، وَإِذَا وَعَدْتُمْ فَلَا تُخْلِفُوا، وَإِذَا اتَّمِنْتُمْ فَلَا تَخُونُوا، وَغُضْبُوا أَبْصَارَكُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَكُفُوا أَيْدِيَكُمْ».^١

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِيتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اضْمَنُوا لِي سِتًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ اضْدُفُوا إِذَا حَدَثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وَأَدُوا إِذَا اتَّمِنْتُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَغُضْبُوا أَبْصَارَكُمْ وَكُفُوا أَيْدِيَكُمْ».^٢

الكَذَابُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْهُدَىِ:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُنْ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُنْ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾.^٣

قال أبو حيان: فيه إشارة إلى علو شأن موسى عليه السلام وأن من اصطفاه الله للنبوة لا يمكن أن يقع منه إسراف ولا كذب، وفيه تعريض بفرعون، إذ هو غاية الإسراف على نفسه بقتل أبناء المؤمنين، وفي غاية الكذب، إذ ادعى الإلهية والربوبية، ومن هذا شأنه لا يهديه الله.

ويكفي في معة الكذب أن من عرف به مُقتَتَ إِذَا نَطَقَ وَكَذَبَ وَإِنْ صَدَقَ.

١ - رواه القطاعي في مسنون الشهاب - من أصاب مالا من نهاوش أذهبه الله في خابر، حديث: ٤٢٣

٢ - رواه أحمد حديث: ٢٢١٦٦، والبيهقي في السنن كتاب الوديعة، باب ما جاء في الترغيب في أداء الأمانات، حديث: ١١٨٧٤، وشعب الإيمان، باب في حفظ اللسان حديث: ٤٥٩٩، بسنده صحيح

٣ - سورة غافر: الآية / ٢٨

٤ - تفسير البحر الحيط (٧ / ٤٤٢)

الْكَذِبُ عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ النِّفَاقِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا حَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ حَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ حَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعُهَا إِذَا أَوْتَمَنَ حَانَ وَإِذَا حَدَثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا حَاصَمَ فَجَرَ».^١

روى مالك عن صفوان بن سليم أن الله قال قيل لرسول الله: «أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا فَقَالَ نَعَمْ فَقِيلَ لَهُ أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ بِخِيَالًا فَقَالَ نَعَمْ فَقِيلَ لَهُ أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَابًا فَقَالَ لَا».^٢

عن مصعب بن سعد عن أبيه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ».^٣

النِّفَاقُ أَثْرٌ مِنْ آثَارِ الْكَذِبِ:

عَنْ أَيِّ هُرِيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أَوْتَمَنَ حَانَ».^٤

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصْدِقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخَلُوا بِهِ وَتَوَلُوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يُلْقَوْنَهُ إِمَّا أَحْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَإِمَّا كَانُوا يَكْنِيْوْنَ﴾.^٥

١ - رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حدث: ٣٣، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حدث:

١١٣

٢ - رواه مالك - كتاب الكلام، باب ما جاء في الصدق والكذب، حدث: ١٨٠٥، والبيهقي في الشعب باب في حفظ اللسان، حدث: ٤٦٠٧

٣ - رواه البيهقي - كتاب الشهادات، باب: من كان منكشف الكذب مظهراً غير مستتر به، حدث: ١٩٣٧٧، ورواه أحمد حدث: ٢١٦١٨ ، عن أبي أمامة

٤ - رواه البخاري - كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حدث: ٣٣، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حدث:

١١٤

٥ - سورة التوبة: الآيات / ٧٥ - ٧٧

فانظر يرحمك الله كيف صار النفاق أثرا من آثار الكذب، ونتيجة متتبعة عليه، لشدة خطره، وقبحه أثره، فسأل الله تعالى السلام من الكذب، والنجاة من شر ألسنتنا.

الْكَذِبُ يَنْافِي إِيمَانَ:

ويكفي في ذم الكذب نفي الإيمان عن الكاذبين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقْرَئِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^١.

وعن سعدٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْحَيَاةَ وَالْكَذِبَ».^٢

وعن محمد بن أبي بكر بن حزم، أنه بلغهم عن رسول الله ﷺ أنه قيل يا رسول الله هل يكون المؤمن شحيحاً، فقال: «نعم» فقيل: يا رسول الله فهل يكون المؤمن سيئ الخلق؟ قال: «نعم»، فقيل: يا رسول الله فهل يكون المؤمن جباناً؟ قال: «نعم»، فقيل: يا رسول الله فهل يكون المؤمن كذاباً؟ قال: «لا».^٣

الْكَذِبُ أَقْرَبُ طَرِيقٍ إِلَى النَّارِ:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبَرِّ وَإِنَّ الْبَرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَرَأُ الرَّجُلُ يَصُدُّقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِيقًا وَإِنَّمَا وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَرَأُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا».^٤

تَعَمُّدُ الْكَذِبِ مِنْ أَسْبَابِ عِذَابِ الْبَرِزَخِ:

عن سمرة بن جندبٍ رضي الله عنه قال: كانَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَاحِيهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا قَالَ فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاءٍ إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ وَإِنَّمَا ابْتَعَثَانِي

١ - سورة النحل: الآية / ١٠٥

٢ - رواه البيهقي - كتاب الشهادات، باب من كان منكشف الكذب مظهرا غير مستتر به، حديث: ١٩٣٧٧

٣ - رواه ابن وهب في جامعه - كتاب الصمت، باب العزلة، حديث: ٥٠٩، بسنده منقطع.

٤ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، حديث: ٥٧٤٩، ومسلم - كتاب البر والصلة والأداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله - حديث: ٤٨٢٨، واللفظ له.

وإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلَقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعْهُمَا وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخْرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَحْرَةٍ وَإِذَا هُوَ يَهُوِي بِالصَّحْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلُغُ رَأْسَهُ فَيَهَدِهُ الْحَجَرُ هَا هُنَا فَيَبْتَغُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصْحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعُلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةُ الْأُولَى قَالَ قُلْتُ لَهُمَا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا نِيَّانِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلَقْ انْطَلَقْ قَالَ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلِقٍ لِقَفَاهُ وَإِذَا آخْرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكُلُوبِ مِنْ حَدِيدٍ وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَقِي وَجْهِهِ فَيُشَرِّشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ قَالَ ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعُلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأُولَى فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصْحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعُلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةُ الْأُولَى قَالَ قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا نِيَّانِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلَقْ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ قَالَ فَإِذَا فِيهِ لَعْظٌ وَأَصْوَاتٌ قَالَ فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاءٌ وَإِذَا هُمْ يَأْتِيُهُمْ لَهُبٌ مِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ الْهَبُ ضَوْضَوًا قَالَ قُلْتُ لَهُمَا مَا هُوَ لَاءٌ قَالَ قَالَا لِي انْطَلَقْ انْطَلَقْ قَالَ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ وَإِذَا عَلَى شَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْعُرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَعَرَ لَهُ فَاهُ فَالْقَمَمَةُ حَجَرًا قَالَ قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَا نِيَّانِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلَقْ انْطَلَقْ قَالَ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيمٍ الْمَرَأَةِ كَأَكْرَمٍ مَا أَنْتَ رَاءِ رَجُلًا مَرَأَةً وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحْشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا قَالَ قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَا قَالَ قَالَا لِي انْطَلَقْ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَدَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانِ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ قَالَ قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَا مَا هُوَ لَاءٌ قَالَ قَالَا لِي ارْقِ فِيهَا قَالَ فَارْقَنَا فِيهَا فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرَ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ قَالَ قَالَا لِي ارْقِ فِيهَا قَالَ فَارْقَنَا فِيهَا فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنَيَّةٍ بِلِينِ ذَهَبٍ وَلِينِ فِضَّةٍ فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْتَحَنَا فَفَتَحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا فَتَلَقَّنَا فِيهَا رِجَالٌ شَطَرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءِ وَشَطَرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءِ قَالَ قَالَا لَهُمْ أَدْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ قَالَ وَإِذَا هُنَّ مُعْتَرِضُ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيْاضِ فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ قَالَ قَالَا لِي هَذِهِ جَنَّةٌ عَدِينٌ وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ قَالَ فَسَمَا بَصَرِي صُدُعًا فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ قَالَ قَالَا لِي هَذَاكَ مَنْزِلُكَ قَالَ قُلْتُ لَهُمَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَأَدْخُلْهُ قَالَا أَمَا الْآنَ فَلَا وَأَنْتَ

دَاخِلَهُ قَالَ قُلْتُ هُمَا فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْدُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ قَالَ قَالًا لِي أَمَا إِنَّا سَنُحِرُكَ أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلِعُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنْأِمُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمُكْتُوبَةِ وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرِّشُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنِهِ إِلَى قَفَاهُ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْأَفَاقَ وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاءُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بَنَاءِ الشُّورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاهُ وَالرَّوَانِي وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبُحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقِمُ الْحَجَرَ فَإِنَّهُ أَكَلَ الرِّبَا وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْأَةُ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحْكُشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا فَإِنَّهُ مَالِكُ حَازِنُ جَهَنَّمَ وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ وَأَمَّا الْوَلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ قَالَ فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرًا مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرًا قَبِيحًا فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ حَلَطُوا عَمَالًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا تَحَاوَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ». ^١

والشاهد من الحديث قول النبي ﷺ: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرِّشُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنِهِ إِلَى قَفَاهُ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْأَفَاقَ....».

قال ابن حجر رحمة الله: وإنما استحقَ التعذيب لِمَا يُنْشَأُ عَنْ تِلْكَ الْكَذْبَةِ مِنْ الْمَفَاسِدِ وَهُوَ فِيهَا مُخْتَارٌ غَيْرُ مُكْرَهٍ وَلَا مُلْجَأٌ. قال ابن هبيرة: لَمَّا كَانَ الْكَاذِبُ يُسَاعِدُ أَنْفُهُ وَعَيْنِهِ لِسَانَهُ عَلَى الْكَذِبِ بِتَرْوِيجِ باطِلِهِ وَقَعَتْ الْمُشَارِكةُ بَيْنَهُمْ فِي الْعُقُوبَةِ. ^٢

وليس هذا العذاب لشخص من الناس بعينه، بل هذا العذاب لكل من اتصف بهذه الصفة القبيحة وهي كثرة الكذب والبالغة فيه، ولو لم يحدث بذلك ضرر على أحد من الناس.

ما يُرْخَصُ فِيهِ مِنَ الْكَذِبِ:

رخص النبي ﷺ في ثلاثة حالاتٍ من الكذب لا رابع لها.

أوها: في الإصلاح بين الناس، وصورة ذلك أن تأتي ملتحاصمين فتقول لأحدهما فلان - يعني الذي يخاصمه ويقاطعه - يقرئك السلام ويشيء عليك خيراً ويمدحك ونحو ذلك وهو ما أثني خيراً ولا مدح ولا

١ - رواه البخاري - كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، حديث: ٦٦٥٩، وأحمد - حديث: ١٩٦٥٠

٢ - فتح الباري لابن حجر (٢٠ / ٥٢)

أرسل معه سلاماً، ويدهب إلى الآخر ويقول له مثل هذا الكلام يقصد بذلك الإصلاح بينهما، فهذا ليس كذلك في عرف الشرع بنص كلام النبي ﷺ.

وثانيها: في الحرب فلو أخذ المسلم أسيراً ثم سئل عن جيش المسلمين وعن سلاحهم، لا يحل له أن يخبر بما يعلم من ذلك صيانة للمسلمين وقد قال النبي ﷺ: «الحرب خدعة».^١

ومما يدل على جواز الكذب في الحرب كذلك ما رواه البخاري في صحيحه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من لکعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله». فقال محمد بن مسلمة يا رسول الله أحب أن أقتلة قال: «نعم» قال أتدن لي فأقل قال: «فُلْ» فأتاها فقال له وذكر ما بينهما وقال إن هذا الرجل قد أراد صدقة وقد عناها. فلما سمعه قال وأيضاً والله تملئه. قال إننا قد اتبعناه الآن ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره - قال - وقد أردت أن تسلفي سلفاً قال فما ترهني قال ما تريده. قال ترهني نساءكم قال أنت أجمل العرب أرهنك نساءنا قال له ترهني أولادكم. قال يسب ابن أحدنا فيقال رهن في وسقين من تم - ولكن ترهنك الالماء - يعني السلاح - قال فنعم وواعده أن يأتيه بالحرب وأبي عبس بن جابر وعبد بن بشير قال فجاءوا فدعوه ليلاً فنزل إليهم فقالت له امرأة إليني لأنفع صوتاً كأنه صوت دم قال إنما هذا محمد بن مسلمة وزريعة وأبو نائلة إن الكريم لو دعى إلى طغية ليلاً لأجاب. قال محمد إليني إذا جاء فسوف أدمي إلى رأسه فإذا استمكت منه دونكم قال فلما نزل وهو متوجس فقالوا تحذر منه ريح الطيب قال نعم تحظى فلانة هي أعطر نساء العرب. قال فتأذن لي أن أشم منه قال نعم فشم قال أتأذن لي أن أعود قال فاستمكت منه قال دونكم ثم قال فقتلوه.^٢

والثالثاً: حديث الرجل امرأته والمرأة زوجها، إذا سئل الزوج زوجته فقال هل تحيبني؟ فإن كانت تبغضه فلا يجوز لها أن تظهر ذلك له، بل يجب عليها أن تقول: (نعم أحبك)، وكذا الزوجة إذا سئلت زوجها

١ - رواه البخاري - كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، حدث: ٢٨٨٧، ومسلم - كتاب الجهاد والسير باب، جواز الخداع في الحرب، حدث: ٣٣٦١، عن أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما.

٢ - رواه البخاري - كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، حدث: ٣٨٢٩ ، ومسلم - كتاب الجهاد والسير، باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود، حدث: ٣٤٤٧

وكان يغضها لا يجوز لها أن يظهر ذلك لها حتى تدوم العشرة بينهما، وحتى لا يهدم البيت، ولا يتشتت الشمل، ولا يتشرد الأولاد، بل ويجوز له الحلف على ذلك إن احتاج إليه.

فَعَنْ أَبْنِ أَبِي عَزْرَةَ الدُّوَلِيِّ، وَكَانَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ يَخْلُعُ النِّسَاءَ الَّتِي يَتَزَوَّجُهَا، فَطَارَ لَهُ فِي النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ أَحْدَوْثَةُ فَكَرِهُهَا، فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ، قَامَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمَ حَتَّى أَدْخَلَهُ بَيْتَهُ، فَقَالَ لِأَمْرَأِهِ، وَابْنِ الْأَرْقَمِ يَسْمَعُ: أَنْشُدُكِ بِاللَّهِ، هَلْ تُبَغْضِينِي؟ فَقَالَتِ امْرَأَهُ: لَا تُنَاهِشْنِي. قَالَ: بَلَى. فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ نَعَمْ. فَقَالَ أَبْنُ أَبِي عَزْرَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ: أَتَسْمَعُ. ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى عُمَرَ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يُحَدِّثُونَ أَنِّي أَظْلَمُ النِّسَاءَ، وَأَحْلَعُهُنَّ، فَاسْأَلْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْأَرْقَمَ عَمَّا سَمِعَ مِنْ امْرَأِي، فَسَأَلَ عُمَرُ عَبْدَ اللَّهِ، فَأَحْبَرَهُ، فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى امْرَأَهُ، فَجَاءَتْ، فَقَالَ لَهَا: «أَنْتِ الَّتِي تُحَدِّثِينَ رَوْحَكِ أَنِّي تُبَغْضِينِي؟» ، قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي أَوَّلُ مَنْ تَابَ، وَرَاجَعَ أَمْرَ اللَّهِ، إِنَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْشَدَنِي بِاللَّهِ، فَتَحَرَّجْتُ أَنْ أَكُذِّبَ، أَفَأَكُذِّبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَأَكُذِّبِي، فَإِنْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ لَا تُحِبُّ أَحَدًا، فَلَا تُحَدِّثُهُ بِذَلِكَ، فَإِنْ أَقْلَ الْبُيُوتِ الَّذِي يُبَنِّي عَلَى الْحُبِّ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَتَعَاشِرُونَ بِالْإِسْلَامِ، وَالْإِحْسَانِ».^١

عَنِ أُمَّ كُلُّتُوْمِ بِنْتَ عُقبَةَ بْنِ أَبِي مُعْيِطٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُولَى الَّتِي بِأَيْنَ النَّيِّ
أَكَّهَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ حَيْرًا وَيَنْمِي
حَيْرًا». قَالَ أَبْنُ شِهَابٍ وَمَمْ أَسْمَعْ يُرَحَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثَ الْحَرْبِ وَالْإِصْلَاحِ
بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ رَوْحَهَا.^٢

المَعَارِيضُ مَنْدُوحةٌ عَنِ الْكَذِبِ:

إذا اضطرَّ الإِنْسَانُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ يَخْشَى أَنْ صَرَحَ فِيهِ الْعَقَابُ أَوِ التَّشْرِيبُ، جَازَ لَهُ التَّعْرِيضُ فِي الْكَلَامِ، وَلَكِنَّ لَا يَنْبغي لَهُ أَنْ يَتَخَذَ ذَلِكَ عَادَةً، فَيَكُونُ كَلَامَهُ دَائِمًا التَّعْرِيضُ، فَإِنَّ التَّعْرِيضَ ضَرُورةً، وَالضَّرُورةُ تَقْدِرُ بِقَدْرِهَا.

وَالْتَّعْرِيضُ هُوَ: التَّوْرِيْهُ بِالشَّيْءِ وَعَنِ الشَّيْءِ.

١ - رواه الخرائطي في مساوى الأخلاق - باب ما يرخص فيه من الكذب، حدث: ١٧٨

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأدب - باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه، حدث: ٤٨٢٣

قال الأَصْمَعِي: يُقَالُ عَرَضَ لِي فُلَانٌ تَعْرِيضًا إِذَا رَحَّرَ بِالشَّيْءِ وَلَمْ يَبْيَنْ.

والتعريض خلاف التصريح.

قال ابن منظور: والمعارِيضُ مِنَ الْكَلَامِ: مَا عُرِضَ بِهِ وَلَمْ يُصَرَّخَ.

قال عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمَا فِي الْمَعَارِيضِ مَا يُعْنِي الْمُسْلِمِ عَنِ الْكَذِبِ؟

فَالْأَعْبُدُ اللَّهُ بْنُ عَبَّاسٍ: مَا أُحِبُّ بِمَعَارِيضِ الْكَلَامِ حُمْرَ النَّعْمَ.

والتَّعْرِيضُ فِي خِطْبَةِ الْمَرْأَةِ فِي عِدَّهَا: أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ يُشَبِّهُ خِطْبَتَهَا وَلَا يُصَرَّخَ بِهِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ لَهَا: إِنَّكَ لِجَمِيلَةٌ أَوْ كُلُّ رَجُلٍ يَتَمَنِي الزَّوْجَ بِكَ، أَوْ مِثْلَهَا لَا تُتَرَكُ.

والتَّعْرِيضُ قَدْ يَكُونُ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَذِكْرِ الْأَلْغَازِ فِي جُمْلَةِ الْمَقَالِ.

حُكْمُ التَّعْرِيضِ فِي الْكَلَامِ:

التَّعْرِيضُ لِيُسَمِّي كَذِبًا، بَلْ هُوَ مُبَاحٌ عِنْدَ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ إِلَيْهِ، لَكِنْ كَمَا قَلَّنَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كُلُّ
كَلَامِهِ تَعْرِيضًا؛ لِأَنَّهُ ضَرُورَةً.

عَنْ عِمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: «إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحةً عَنِ الْكَذِبِ». ^١

إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحةً عَنِ الْكَذِبِ أَيْ غَنِيَّةً سَعَةً لِلْمُسْلِمِ عَنِ الْكَذِبِ.

وَقَالَ الْبَخَارِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ: بَابُ الْمَعَارِيضِ مَنْدُوحةٌ عَنِ الْكَذِبِ.

أَمْثَالُهُ عَلَى التَّعْرِيضِ:

وَمِنَ التَّعْرِيضِ مَا وَقَعَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ ماتَ وَلَدُهَا؛ فَعَنْ أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَاتَ ابْنُ
لِأَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: كَيْفَ الْعَلَامُ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: هَدَأْ نَفْسَهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدِ اسْتَرَاحَ، وَظَنَّ أَنَّهَا
صَادِقَةً. ^٢

١ - رواه البخاري في الأدب المفرد- باب مِنَ الشَّيْعِ حِكْمَةً، حديث رقم: ٨٥٧، وابن أبي شيبة في مصنفه- حديث رقم: ٢٦٠٩٦

٢ - رواه البخاري- كتاب الجنائز، باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة، حديث: ١٢٥٢

ومن التَّعْرِيضِ كَذَلِكَ مَا وَقَعَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ حِينَ أَهْمَمْتُهُ امْرَأَتَهُ فِي جَارِيَةِ لَهُ، وَأَخْذَتْ لَهُ سَكِينًا، وَكَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، وَحَاوَلَ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهَا فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَتْ لَهُ اقْرَأْ الْقُرْآنَ وَلَحَّتْ عَلَيْهِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ *****
وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافِ *****
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ شِدَادٌ *****
وَمَنِيمَا

قَالَ: فَرَضَيْتِ امْرَأَتَهُ وَقَالَ لَهُ: صَدِقْتِ وَكَذَبْتِ عَيْنَاهِي. وَحَسِبْتِ أَنَّ هَذَا قُرْآنًا.

خَطْرُ الْأَسْتِهانَةِ بِالْكَذِبِ:

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَنْهُ يَحْسِبُ الْمَرءُ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُخَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ. ^١
عَنْ بَهْرَ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يَقُولُ: «وَإِنْ لِلَّذِي يُخَدِّثُ فِي كَذِبٍ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَإِنْ لَهُ وَيْلٌ لَهُ». ^٢

وقال بعض الأعراب: عجبت من الكذاب المشيد لكتبه، وإنما هو يدل الناس على عيده، ويتعرض للعقاب من ربه، فالآثام له عادة والأخبار عنه متضادة، إن قال حقاً لم يصدق، وإن أراد خيراً لم يوفق، فهو الجاني على نفسه بفعاله، الدال على فضيحته بمقاله، مما صح من صدقه نسب إلى غيره، وما صح من كذب غيره نسب إليه.

ويقال الكذب جماع النفاق، وعماد مساوي الأخلاق، عاز لازم، وذل دائم، يخيف صاحبه نفسه وهو آمن، ويكشف ستر الحسب عن لومه الكامن.

١ - رواه مسلم - باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، حديث: ٧

٢ - رواه أحمد - حديث: ١٩٦٠٤، أبو داود - كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، حديث: ٤٣٥٩، والترمذى - باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، حديث: ٢٢٩٣، والنمسائي في الكبرى - كتاب التفسير، سورة النساء، قوله تعالى: ﴿فَلَا نَفْعَدُونَا مَعْهُمْ حَتَّى يَجْوَضُوا فِي حَدِيثِ عَيْرَو﴾ [النساء: ١٤٠]، حديث: ١٠٦٨٥، والحاكم - كتاب الإيمان، حديث: ١٢٩، بسنده

قال الشاعر:

* * * * *
إن النوم أسطى دونه خبرى
وليس لي حيلة في مفترى الكذب

* * * * *
لا يكذب الماء إلا من مهانته
أو عادة السوء أو من قلة الأدب

قيل لبعض الحكماء: أيما أشر الكذاب أو النمام؟ فقال الكذاب؛ لأنَّه يخلق عليك والنمام ينقل عنك.

وصدق القائل:

* * * * *
لي حيلة فيمن ينم
وليس في الكذاب حيلة

* * * * *
من كان يخلق ما يقول
فحيلتي فيه قليلة

وقال جعفر الصادق عليه السلام لا تصحب خمسة: الكذاب فإنه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك بعيد ويبعد منك القريب، والأحمق فإنه لست منه على شيء، يريد أن ينفعك فيضرك، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، والجبان فإنه يسلفك ويفر عند الشدة، والفاشق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها، فقيل وما أقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها.^١

وقال أبو حيان التوحيدي: الكذب شعار حلق، وأدب سيء، وعادة فاحشة، وقل من استرسل معه إلا ألفه، وقل من ألفه إلا أذله.

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال: إياك والكذب؛ فإنه يزري بقائه وإن كان شريفاً في أصله، ويدله وإن كان عزيزاً في أهله. وقيل: ثنتان لا يجتمعان الكذب والحياء.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأن يضعني الصدق وقلما يفعل، أحب إلى من أن يعرفني الكذب وقلما يفعل.

١ - إحياء علوم الدين (٢ / ١٧٢)

وقيل: لا يجوز أن يكذب الرجل لصلاح نفسه، فإن ما عجز الصدق عن إصلاحه كان الكذب أولى بفساده.

ولقد صدق من قال:

عوّد لسانك قول الصدق تحظ به **** إن اللسان لما عوّدت معتمداً

من آفات اللسان

(الغيبة)

إن من أعظم آفات اللسان خطراً على العبد الغيبة، ولم لا؟ وهي من أسباب عذاب القبر، وما يحيط العمل الصالح، ودليل دناءة النفس وختتها، وهي من أسباب ذهاب الإيمان.

حد الغيبة:

الغيبة لغة: من الاعتباب يقال: اغتاب الرجل صاحبه اعتاباً، إذا وقع فيه: وهو أن يتكلم خلف إنسان مستور بسوء، أو بما يعممه وإن كان فيه.^١

قال الراغب: الغيبة هي أن يذكر الإنسان عيب غيره من غير مخوج إلى ذكر ذلك.

وقال التوسي في "الأذكار" تبعاً للعزلي: ذكر المرء بما يكرهه، سواء كان ذلك في بدنه الشخص، أو في دينه، أو دنياه، أو نفسه، أو حلقه، أو ماله، أو ولده، أو زوجه، أو حادمه، أو ثوبه، أو حركته، أو طلاقته، أو عبوسته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته باللفظ أو بالإشارة والرمز.^٢

وهذا هو المعنى في الشرع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتذرون ما الغيبة». قالوا الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بكته».^٣

١ - تاج العروس من جواهر القاموس (٥٠١ / ٣)

٢ - فتح الباري لابن حجر (٢٠٧ / ١٧)

٣ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم الغيبة، حديث: ٤٧٩٦

حُكْمُ الغِيبةِ:

الغيبة حرام بنص القرآن والسنة وإجماع العلماء، بل هي من كبار الذنوب، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَعْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيْحُبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابٌ رَّحِيمٌ﴾.^١

قال النووي رحمة الله: فأما الغيبة فهي ذكرك للإنسان بما فيه مما يكره، سواء كان في بدنك أو دينه أو دنياه، أو نفسه أو حلقه أو ماله أو ولده أو والده، أو زوجه أو خادمه أو ملوكه، أو عمامته أو ثوبه، أو مشيته وحركته وبشاشته، وخلافته وعبوسه وطلاقته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكره بلفظك أو كتابك، أو رمزت، أو أشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك. أما البدن فكقولك: أعمى أعرج أعمش أقرع، قصير طويل أسود أصفر. وأما الدين فكقولك: فاسق سارق خائن، ظالم متهاون بالصلوة، متتساهم في النجاسات، ليس بارساً بوالده، لا يضع الزكاة مواضعها، لا يجتنب الغيبة. وأما الدنيا: فقليل الأدب، يتهاون بالناس، لا يرى لأحد عليه حقاً، كثير الكلام، كثير الأكل أو النوم، ينام في غير وقته، يجلس في غير موضعه، وأما المتعلق بوالده فك قوله: أبوه فاسق، أو هندي أو نبطي أو زنجي، إسكاف بزار نخاس نجار حداد حاته. وأما الحلق فكقوله: سيء الحلق، متتكبر مراء، عجوز جبار، عاجز ضعيف القلب، متهور عبوس، خليع، ونحوه. وأما الشوب: فواسع الكم، طويل الذيل، وسخ الشوب وهو ذلك، ويقاس الباقي بما ذكرناه. وضابطه: ذكره بما يكره.^٢

الغِيبةُ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرْرُثُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُخَاسٍ يَحْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ مَنْ هُؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ».^٣

١ - سورة الحجرات: الآية/ ١٢

٢ - الأذكار النبوية للإمام النووي (٤٢٤ / ١)

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٣١١٢ ، رواه أبو داود - كتاب الأدب، باب في الغيبة، حديث رقم: ٤٢٥٦

وَعَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (لَيْلَةً أُسْرِيَ بِنَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ نَظَرَ فِي النَّارِ فَإِذَا قَوْمًا يَأْكُلُونَ الْجِيفَ قَالَ: «مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ». قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحُومَ النَّاسِ).^١

قال البخاري رحمه الله: باب الغيبة وقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَعْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهُتُمُوهُ وَأَنْفَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابُ رَحِيمٌ﴾.^٢

ثم روى بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال: «إِنَّمَا لَيَعْذَّبُنَّ مَا يَعْذَّبُنَّ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا هَذَا فَكَانَ لَا يَسْتَرِّ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ، فَشَفَّهُ بِاثْنَيْنِ، فَغَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ: «لَعْلَهُ يُخْفَفُ عَنْهُمَا، مَا لَمْ يَبِسَّا».^٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ عَذَابَ الْقُبْرِ مِنْ ثَلَاثَةِ مِنَ الْغِيَبةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالبُولِ، وَإِيَّاكُمْ وَذَلِكَ».^٤

الَّذِينَ يَغْتَبُونَ الْمُؤْمِنِينَ رِائْحَتُهُمْ كَرَائِحَةُ الْجِيفَةِ الْمُنْتَنَةِ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ فَأَرْتَفَعْتُ رِيحُ حِيفَةٍ مُنْتَنَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَبُونَ الْمُؤْمِنِينَ».^٥

١ - رواه أَحْمَدُ - حديث رقم: ٢٢٦١

٢ - سورة الحجرات: الآية ١٢ /

٣ - رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول، حديث: ١٣٢٣ ، ورواه مسلم - كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، حديث: ٤٦٥

٤ - رواه البيهقي في إثبات عذاب القبر وسؤال الملائكة - حديث رقم: ٢٣٩

٥ - رواه أَحْمَدُ - حديث: ١٤٥٢٢ بسنده حسن، والبخاري في الأدب المفرد - باب، حديث: ٧٥٤

الغِيَّبَةُ تُحْبِطُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحةَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدْعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ». ^١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: جَاءَ مَاعِزٌ بْنُ مَالِكٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي فَدَ زَنِيتُ، فَأَعْرَضْ عَنْهُ حَتَّى قَالَهَا أَرْبَعاً، فَلَمَّا كَانَ فِي الْخَامِسَةِ قَالَ: «زَنِيتُ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «وَتَدْرِي مَا الزَّنِي؟» قَالَ: نَعَمْ. أَتَيْتُ مِنْهَا حَرَاماً مَا يَأْتِي الرَّجُلُ مِنْ امْرَأَتِهِ حَلَالاً. قَالَ: «مَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ» قَالَ: أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرِنِي. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَدْخَلْتَ ذَلِكَ مِنْكَ فِي ذَلِكَ مِنْهَا كَمَا يَغِيبُ الْمِيلُ فِي الْمُكْحُلَةِ وَالْعَصَا فِي الشَّيْءِ؟» قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَأَمَرَ بِرَجْمِهِ فَرُجْمَهُ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَيْنِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَلَمْ تَرَ إِلَى هَذَا، سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ تَدْعُهُ نَفْسُهُ حَتَّى رُجْمَ الْكَلِبِ؟ فَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً، ثُمَّ مَرَّ بِحِيقَةِ حِمَارٍ، فَقَالَ: «أَيْنَ قُلَانْ وَقُلَانْ اثْرِلَا فَكُلَا مِنْ حِيقَةِ هَذَا الْحِمَارِ» قَالَا: عَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يُؤْكِلُ هَذَا؟ قَالَ: «فَمَا نِلتُمَا مِنْ أَخِيكُمَا آنِفًا أَشَدُ أَكْلًا مِنْهُ، وَالَّذِي نَفَسَيْ بِيَدِهِ إِنَّهُ الْآنَ فِي أَهْكَارِ الْجَنَّةِ يَتَقَمَّصُ فِيهَا». ^٢

الْكَلِمَةُ مِنْ الْغِيَّبَةِ لَوْ مُرْجَحْتُ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَغَيْرِهِ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةِ كَذَا وَكَذَا تَعْنِي فَصِيرَةً فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُرْجَحْتُ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَرْجَحْتُهُ» قَالَتْ وَحَكَيَتْ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا». ^٣

١ - رواه البخاري- كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، حديث: ١٨١٣

٢ - رواه ابن حبان- كتاب الحدود، باب ذكر البيان بأن المصطفى عليه السلام رد ماعز بن مالك- حدث: ٤٤٦٤ ، وأبو يعلى- حدث: ٦٠٠٤ ، وأبو داود الطيالسي- حدث: ٢٥٩٥ ، بسنده ضعيف

٣ - رواه أحمد- حدث: ٢٥٠١٩ ، وأبو داود- كتاب الأدب، باب في الغيبة، حدث: ٤٢٥٣ ، والترمذى- أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب حدث: ٢٤٨٦ ، والبيهقي كتاب الشهادات- باب من عرضه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته، حدث: ١٩٦٩٠ ، بسنده صحيح

قَالَ التَّوَوِيِّ: مزجته أي خالطه مخالطة يتغىّر بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبتها، وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة أو أعظمها، وما أعلم شيئاً من الأحاديث يبلغ في الذم لها هذا المبلغ.

الغيبة أربا الربا:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا إِلَّا سِطْلَةً فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ». ^١

ذُمُّ السَّلْفِ لِلْغَيْبَةِ وَمَنْ يَقْعُدُ فِيهَا:

قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْغَيْبَةُ مَرْعَى الْيَعَامِ.

وقال علي بن الحسين رحمة الله: إياك والغيبة فإنها أدم كلاب النار.

وقال قتيبة لرجل يغتاب آخر: (لقد تلمظت بمضعة طالما لفظها الكرام، الغيبة مرتع للثام وجهد العاجز).

وَقَالَ أَبُو عَاصِمِ النَّبِيلِ: (لَا يَذْكُرُ فِي النَّاسِ مَا يَكْرُهُونَهُ إِلَّا سَقْلَةً لَا دِينَ لَهُ). ^٢

وقال بعض الحكماء أربعة من علامات اللؤم: أفساد السر واعتقاد الغدر وغيبة الأحرار وإساءة الجوار.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال لي أبي: إني أرى أمير المؤمنين - يعني عمر رضي الله عنه - يدريك ويقربك، فاحفظ عني ثلاثة: إياك أن يحرّب عليك كذبة، وإياك أن تفتشي له سرّاً، وإياك أن تغتاب عنده أحداً، ثم قال: يا عبد الله! ثلاثة وأيّ ثلاثة. فقال له رجل: يا ابن عباس كلّ واحدةٍ خيرٌ من ألف فقال: بل كلّ واحدةٍ خيرٌ من عشرة آلاف.

١ - رواه أحمد - حديث: ١٦٥١، وأبو داود - كتاب الأدب، باب في الغيبة، حديث: ٤٨٧٦، والطبراني في الكبير - حديث:

٣٥٧، بسنده صحيح

٢ - الطيوريات (١١٣٧ / ٣)

أَجْرُ مَنْ ذَبَّ عَنْ حَمْ أَخِيهِ فِي الْغِيَةِ:

إذا أنهك عرض المسلم، وأسيء إليه حال غيبته، فيجب على من سمع ذلك أن يرد عنه بالغيب، وأن يذكر محسن هذا الذي وقع الطعن عليه ذبا عنه وردا لهذا المغتاب، فإذا فعل ذلك فإن الله تعالى يرد عنه النار يوم القيمة والجزاء من جنس العمل.

فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».^١

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَرِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: «مَنْ ذَبَّ عَنْ حَمْ أَخِيهِ فِي الْغِيَةِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتَقِهُ مِنَ النَّارِ».^٢

مِنْ صُورِ الْغِيَةِ:

كثير من الناس يظنون أن ألفاظ الغيبة لابد أن تكون قبيحة، كصفة ذم أو إظهار نقص، أو فضح بعيوب، ولكن من الغيبة أيضا أمرا لا يفطن له كثير من الناس، منه ما يكون في صورة دعاء، ومنه ما يكون حمد الله على المعافاة، ومنه ما هو إشارة، يفهم منها السامع المراد، ولو لم يتكلم بكلام قبيح.

قال الفضيل: الرجل يقول سبحان الله وأخشى عليه بذلك النار، وهو الذي يستمد بذلك الغيبة إذا سمعها.

وقيل: إذا رأيت من يعتاب الناس فأجهد جهده ألا يعرفك، فأشقي الناس به معارفه.

وقال النووي رحمة الله: (الغيبة ذكرك الإنسان بما يكره، سواء ذكرته بلفظك أو في كتابك، أو رممت أو أشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك. وضابطه: كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة محظمة، ومن ذلك المحاكاة بأن يمشي متعارجاً أو مطاطيناً أو على غير ذلك من الهيئات، مریداً حكاية هيئة من ينتقصه بذلك، وكل ذلك حرام بلا خلاف، ومن ذلك إذا ذكر مصنف كتاب شخصاً بعينه

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٦٩٣٠، ورواه الترمذى - أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الذب عن عرض المسلمين، حديث: ١٩٠٣ وقال هذا حديث حسن، وصححه الألبانى

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٦٩٩٨، وعبد الله بن المبارك في الزهد - حديث: ٦٨٧، بسنده صحيح

في كتابه قائلًا : قال فلان كذا مریداً تنقیصه والشناعة عليه، فهو حرام، فإن أراد بيان غلطه لئلا يُقلّد أو بيان ضعفه في العلم لئلا يُغترّ به ويُقبل قوله، فهذا ليس غيبة، بل نصيحة واجبة يُثاب عليها إذا أراد ذلك، وكذلك إذا قال المصنف أو غيره: قال قوم أو جماعة كذا، وهذا غلط أو خطأ أو جهالة وغفلة، ونحو ذلك فليس غيبة، إنما الغيبة ذكر الإنسان بعينه أو جماعة معينين.

ومن ذلك غيبة المتفقهين والمتبعدين، فإنهم يعرضون بالغيبة تعرضاً يفهم به كما يفهم بالصريح، فيقال لأحدهم: كيف حال فلان؟ فيقول: الله يُصلحنا، الله يغفر لنا، الله يُصلحه، نسأل الله العافية، نحمد الله الذي لم يبتلينا بالدخول على الظلمة، نعود بالله من الشّرّ، الله يعافينا من قلة الحياة، الله يتوب علينا وما أشبه ذلك مما يفهم منه تنقصه، وكل ذلك غيبة محظمة، وكذلك إذا قال: فلان يُبتلى بما ابتلينا به كُلُّنا، أو ماله حيلة في هذا، كُلُّنا نفعله، وهذه أمثلة وإلا فضابط الغيبة: تفهيمك المُخاطب نقص إنسان كما سبق، وكلُّ هذا معلوم من مقتضى الحديث الذي ذكرناه في الباب الذي قبل هذا عن صحيح مسلم وغيره في حدّ الغيبة، والله أعلم).¹

الحالات التي تجوز فيها الغيبة:

الأولى التَّظَلُّمُ:

ودل عليه ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى جئنا امرأة من الأنصار في الأسواق فجاءت المرأة بابنتين لها فقالت يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس قُتلت معك يوم أحد وقد استفأة عمّهما ماهما وميراثهما كله فلم يدع لهما مالا إلا أخذها فما ترى يا رسول الله فوق الله لا تُنكحان أبداً إلا وهما مال. فقال رسول الله ﷺ: «يقضى الله في ذلك». قال ونزلت سورة النساء (يوصيكم الله في أولادكم) الآية. فقال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي المرأة وصاحبها». فقال لعممهما:

1 - الأذكار النبوية للإمام النووي (٤٢٨ / ١)

«أَعْطِهِمَا التُّلُثَيْنِ وَأَعْطِ أُمَّهُمَا الثُّلُمَّ وَمَا يَقْرَئُ فَلَكَ». قَالَ أَبُو دَاؤِدَ أَخْطَأَ بِشْرٌ فِيهِ إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَا سَعْدٍ بْنِ الرَّبِيعِ وَثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ قُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ.^١

الثانية الاستفتاء:

وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ هِنْدَ امْرَأَةِ أَبِي سُفِيَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفِيَّانَ رَجُلٌ شَحِيقٌ فَهُلْ عَلَىٰ جُنَاحٍ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ مَا يَكْفِينِي وَتَبَّأَ قَالَ: «خُذْنِي بِالْمَعْرُوفِ».^٢

الثالثة التحذير:

وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضُعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ وَأَمَّا مُعاوِيَةَ فَصَعْلُوكُ لَا مَالَ لَهُ انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ».^٣

قَالَ النَّوْوَى: وَفِيهِ ذَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ ذِكْرِ الْإِنْسَانِ بِمَا فِيهِ عِنْدُ الْمُشَائِرَةِ وَطَلَبِ النَّصِيحَةِ وَلَا يَكُونُ هَذَا مِنْ الْغِيَةِ الْمُحَرَّمَةِ بَلْ مِنْ النَّصِيحَةِ الْوَاجِبَةِ.

الرابعة المظاهرة بالفسق:

وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لِرَجُلٍ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ: «اَثَدُوا لَهُ فِيْسَنَ أَخُو الْعَشِيرَةِ».^٤

قَالَ ابْنُ حَمْرَاءَ: وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلُهُ فِي الْمُدَارَةِ، وَفِي جَوَازِ غِيَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْفُسُقِ وَنَحْوِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ الْحَلَالُ: أَخْبَرَنِي حَرْبٌ سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ يَقُولُ: إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مُعْلِنًا بِفِسْقِهِ فَلَيْسَتْ لَهُ غِيَةٌ.

١ - روأه أبو داؤد- كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الصلب، حدیث: ٢٥٢٠، والترمذی- كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث البنات، حدیث: ٢٠٦٩

٢ - روأه البخاري- كتاب النفقات، باب وعلی الوارث مثل ذلك وهل على المرأة منه شيء وضرب- حدیث: ٥٠٦١، ومسلم- كتاب الأقضیة، باب قضیة هند، حدیث: ٣٣١٩

٣ - روأه مسلم- كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثة لا نفقة لها، حدیث: ٢٧٨٧

٤ - روأه البخاري- كتاب الأدب، باب لم يکن النبي ﷺ فاحشاً ولا مُنْفَحِشًا، حدیث: ٥٦٩٢، وروأه مسلم- كتاب البر والصلة والأداب، باب مداراة من يتقى فحشه، حدیث: ٤٧٩٩

وَقَالَ أَنَسٌ وَالْحَسَنُ: مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَا غِيَةَ فِيهِ.

الخَامِسَةُ التَّعْرِيفُ:

وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَذِّنَانِ بِلَالَ وَابْنَ أَمِّ مَكْتُومِ الْأَعْمَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا». ^١

السَّادِسَةُ طَلَبُ الْإِعَانَةِ عَلَى إِزَالَةِ مُنْكَرٍ:

وَنَظَمَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ:

وَعَرِفْ	بِدْعَةٌ	فِسْقَ الْمُجَاهِرِ
-----------------	-----------------	----------------------------

تَظْلِيمٌ	وَاسْتَغْثُ	وَاسْتَفْتَ حَذِيرٌ
------------------	--------------------	----------------------------

وَنَظَمَ ذَلِكَ آخَرُ أَيْضًا فَقَالَ:

وَمُحَدِّرٌ	مُتَظَلِّمٌ	الْقَدْحُ لَيْسَ بِغِيَةٍ
--------------------	--------------------	----------------------------------

وَلِمُظْهِرٍ	فِسْقًا وَمُسْتَفْتٍ	وَمَنْ
---------------------	-----------------------------	---------------

قال النووي رَحْمَةُ اللَّهِ: (اعلم أن الغيبة وإن كانت محمرة، فإنها تباح في أحوال)
الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي، فيذكر أن فلاناً ظلمني.

الثاني: الاستعانة على تغيير المكر، ورد العاصي إلى الصواب، فيقول من يرجو قدرته على إزالة المكر: فلان يعمل كذا فازجه.

الثالث: الاستفتاء، بأن يقول للمفتى: ظلمني أبي.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصحهم، كجرح المحروجين من الرواية، ومنها إذا استشارك إنسان في مصاہرته، أو مشاركته، أو إيداعه، أو الإيداع عنده، أو معاملته، أو غير ذلك.

١ - رواه مسلم - كتاب الصلاة، باب استحباب اتخاذ مؤذنين للمسجد الواحد، حدیث: ٥٩٩

الخامس: أن يكون مجاهاً بفسقه أو بدعته، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب، كالاعمى والأعرج والأصم والأحول، حاز تعريفه بذلك بنية التعريف، ويحرم إطلاقه على جهة النقص.

سُئلَ الْإِمَامُ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الرَّجُلِ يَخْطُبُ إِلَيْهِ فَيَسْأَلُ عَنْهُ فَيَكُونُ رَجُلٌ سُوءٌ فَيُخْبِرُهُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ قَالَ لِفَاطِمَةَ: «مُعَاوِيَةُ عَائِلٌ، وَأَبُو جَهْمٍ عَصَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ»، يَكُونُ غَيْبَةً إِنْ أَخْبَرَهُ؟ قَالَ: الْمُسْتَشَارُ مُؤْمَنٌ يُخْبِرُهُ إِمَّا فِيهِ وَهُوَ أَظْهَرُ، وَلَكِنْ يَقُولُ مَا أَرْضَاهُ لَكَ وَخُوَّهُ هَذَا أَحْسَنُ.

الغيبة تدل على نقص في المفتاح وقلة مروعته:

قيل: من وجدتموه عيالاً وجدتموه معيناً لأنّه يعيّب الناس بفضل عيده.

وصدق القائل:

* * * * *

وأَجْرًا مِنْ رَأَيْتُ بَظَهَرَ غَيْبٍ
عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ أَوْلَا عَيْوَبِ

وقال النبي:

* * * * *

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذْمِنِي مِنْ ناقصٍ
فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ

* * * * *

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(النَّمِيمَةُ)

تعريف النَّمِيمَةِ:

النَّمِيمَةُ هي: نَقْلُ كَلَامِ النَّاسِ بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمْ.^١
 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْعَصْمُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «نَقْلُ الْحَدِيثِ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضٍ لِيُفْسِدَ بَيْنَهُمْ».^٢

النَّمِيمَةُ من أشد الآفات فتكاً، وأينتها على الأحبة ضرراً، وأسرعها في إضرام نار العداوة شرراً، تعمل عمل السحر في تفريق الأحبة، وعمل السيوف في تمزيق أواصر ذوي القربى، فلا جرم أن كانت من أسباب عذاب البرزخ، ودليلًا على فساد أخلاق أصحابها، وسوء سريرته، وقبح طويته.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٌ مَشَّاءٌ بِنَمِيمٍ﴾.^٣

قال ابن كثير: ﴿مَشَّاءٌ بِنَمِيمٍ﴾ يعني: الذي يمشي بين الناس، ويحرّش بينهم، وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهي الحالة.^٤

قال ابن منظور رَحْمَةُ اللَّهِ: وَيُقَالُ لِلنَّمَامِ: الْقَتَّاثُ، يُقَالُ: قَتَّ إِذَا مَشَى بِالنَّمِيمَةِ. وَيُقَالُ لِلنَّمَامِ قَسَاسٌ وَدَرَاجٌ وَعَمَّازٌ وَهَمَّازٌ وَمَائِسٌ وَمِمَّاسٌ، وَقَدْ مَاسَ مِنَ الْقَوْمِ وَمَلَّ. قال الجوهري: هُمَ الْحَدِيثُ بَيْنُهُمْ وَبَيْنُهُمْ نَمَّا أَئِ قَتَّهُ، وَالْاسْمُ النَّمِيمَةُ.

١ - شرح النووي على مسلم (٢/١١٢)

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم النَّمِيمَة، حدث: ٤٨٤، والبخاري - في الأدب المفرد، باب المستبان ما قالا فعلى الأول، حدث: ٤٣٨، والبيهقي في السنن كتاب الشهادات، باب من عرضه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته، حدث: ١٩٦٨٤

٣ - سورة القلم: الآية/١٠، ١١

٤ - تفسير ابن كثير (٨/١٩١)

خطر النميمة:

النمام لا يدخل الجنة:

عن همام بن الحارث قال كنا مع خديفة فقيل له إن رجلا يرفع الحديث إلى عثمان فقال له خديفة: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات». ^١

النمام شر الناس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تجد شر الناس يوم القيمة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحدث هؤلاء». ^٢

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بخياركم؟» قالوا: بل قال: «الذين إذا رأوا ذكر الله. أفلأ أخبركم بشراركم؟» قالوا بل. قال: «المشاعون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباعون البراء العنت». ^٣

النميمة تعلم عمل السحر بل أشد:

النميمة تعلم عمل السحر بل أشد من عمل السحر في تمزيق الأواصر، وإفساد ذات البين، وإذا كان إصلاح ذات البين أفضل عند الله تعالى من درجة الصيام والصلوة والصدقة، فإن إفساد ذات البين تخلق الدين وتدھب به.

١ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة، حديث: ٥٧١٦، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان غلط تحريم النميمة، حديث: ١٧٧

٢ - رواه أحمد - حديث: ١٠٢١٩، والبيهقي في السنن - كتاب الشهادات، باب من عشه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته، حديث: ١٩٦٨٠، بسنده صحيح

٣ - رواه أحمد - حديث: ١٧٦٨٦، رواه البخاري في الأدب المفرد بسنده حسن، باب النمام، حديث: ٣٣٣

فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِيقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِيقُ الدِّينَ».^١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ إِنَّ مُحَمَّداً صلوات الله عليه قَالَ: «أَلَا أَنْسِتُكُمْ مَا الْعَضْهُ هِيَ النَّمِيمَةُ الْعَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ؟».^٢

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه أَنَّهُ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْعَضْهُ؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «نَقْلُ الْحَدِيثِ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضٍ لِيُفْسِدَ بَيْنَهُمْ».^٣

وَالْعَضْهُ يُطلق على النَّمِيمَةِ، ويُطلق على السُّحْرِ، ويُطلق على السُّخْرِيَّةِ، ويُطلق على التَّمْزِيقِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِصِّيًّا﴾.^٤

عَنْ أَبْنَ عَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِصِّيًّا﴾، قَالَ: هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، جَرَّوْهُ أَجْزَاءَ، فَآمَنُوا بِعِصْيَهُ، وَكَفَرُوا بِعِصْيَهُ.^٥

وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبْنَ عَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَيُّ أَتَدْرُونَ مَا السُّحْرِ؟ وَالْعَضْهُ هِيَ السُّحْرُ، وَكَانَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه حَصَرَ السُّحْرَ فِي النَّمِيمَةِ تَحْذِيرًا مِنْهَا. ثُمَّ قَالَ: هِيَ النَّمِيمَةُ، فَالنَّمِيمَةُ تَقْطَعُ أَوَاصِرَ الْحُبَّةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَقْطَعُ وَشَائِجَ الْمُرْتَبَّةِ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْجِيَارِ، وَهِيَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَهِيَ سَبَبُ الْعَذَابِ فِي الْقِبْرِ، وَمِنْ أَسْبَابِ حِرْمَانِ دُخُولِ الْجَنَّةِ،

١ - رواه الترمذى - أَبُو بُرْصَدٌ صِفَةُ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَاقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٥٠٩، بسنده صحيح

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم النَّمِيمَة، حديث: ٤٨٢٤

٣ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأداب، باب تحريم النَّمِيمَة، حديث: ٤٨٢٤ ، والبخارى - في الأدب المفرد، باب المستبان ما قالا فعلى الأول، حديث: ٤٣٨ ، والبيهقي في السنن كتاب الشهادات، باب من عضه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته، حديث: ١٩٦٨٤

٤ - سورة الحجر: الآية/ ٩١

٥ - تفسير ابن كثير (٤ / ٥٤٩)

فالنميمة سبب لإفساد المجتمعات، وتدمير البيوتات، فهي كالسحر من حيث التفريق بين الناس، وفيها تفريق، كما أن السحر فيه تفريق.^١

النميمة من أعظم أسباب العداوة والبغضاء، فهي تعمل عمل السحر في قلب المحبة عداوة في لحظات معدودة لذلك كانت من الكبائر، وكانت الجنة على من اتصف بها محرمة، وكان صاحبها من شر الناس بل هو شرهم لفريقه بين الأحبة، وإفساده ذات البين.

قال يحيى بن أبي كثیر: النمام يفسد في ساعة ما لا يفسد الساحر في شهرٍ.

إذا أتي إنسان آخر فقال له مثلاً: (خذ حذرك من فلان فقد سمعته يقول: إنه يبغضك، ويقول عنك أنت سيء الأخلاق، وضعيف الشخصية، وبخيل وكذا وكذا)، أقول هل يمكن أن يكون حال من قيل له هذا الكلام كما كان قبل هذا الكلام؟

لا والله، بل لو كان من بلعة هذا الكلام عن أحب الناس إلى قلبه لتحولت محبته إلى بغضه وعداوه، بقدر هذه الحبة، لذلك سماها النبي ﷺ: (العَضْهُ); لأنها تفرق المجتمعات، وتفسد المودات، وتشير العداوات، وليس هناك أدلة على تأثير القلب من النميمة من نهي النبي ﷺ عن نقل الكلام إليه.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ».^٢

النمام كذابٌ مفترٌ:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء أن لا تشرك بالله شيئاً ولا تسرق ولا تزني ولا تقتل أولادنا ولا يغضنه بعضنا بعضاً «فمن وفى منكم فأجره على الله ومن

١ - المفصل في شرح حديث من بدلت دينه فاقتلوه (٤٧٦ / ٢)

٢ - رواه أحمد - حديث: ٣٦٥٠، وأبو داود - كتاب الأدب، باب في رفع الحديث من المجلس، حديث: ٤٢٣٩ والترمذى - أبواب المتأقِّب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٣٨٩٦، بسند ضعيف

أَتَى مِنْكُمْ حَدًّا فَأَقِيمَ عَلَيْهِ فَهُوَ كَفَارُهُ وَمَنْ سَرَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَابُهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»^١.

ولقد صدق القائل:

والنَّيْمَةُ وَالْكَذِبُ رَضِيعَا لِيَانِ **** وَفِي مِشْوَارِ الدَّنَاءَةِ فَرَسَا رِهَانِ

وكلم معاوية الأحنف في شيء بلغه عنه فأنكره الأحنف فقال له معاوية: بَلَّغْنِي عنك الثقة.
قال له الأحنف: إن الثقة لا يُبلغُ مكروهاً.

وكيف يُوثق بالنمم وهو في أحسن حالاته فاسقٌ إِنْ كَانَ صادقاً، وإن كانت الأخرى فهو كذاب.

وَلَا تُتَقَّنَ بِالنَّمَمِ فِيمَا **** حَيَاكَ مِنَ النَّصِيحَةِ فِي الْخَلَاءِ

وَأَيْقَنْ أَنْ مَا أُفْضِيَ إِلَيْهِ **** مِنَ الْأَسْرَارِ مُنْكَشِفُ الْعِطَاءِ

وكيف يوثق بالنمم وهو ناقض للعهد خائن للأمانة، ساع بالفساد في الأرض مفرق بين الأحبة قاطع لأواصر الصلة، يعمل عمل السحرة، ويمكر مكر الشياطين.

مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمِنْ عَقَارِيَهُ **** عَلَى الصَّدِيقِ لَمْ تُؤْمِنْ أَفْاعِيَهِ

كَالسَّلِيلُ بِاللَّيلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ **** مِنْ أَيْنَ جَاءَ؟ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ

فَالوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَنْقُضُهُ **** وَالوَيْلُ لِلْوَدِّ مِنْهُ كَيْفَ يَفْنِيهِ

وصدق والله القائل:

تَنَحَّ عَنِ النَّمِيمَةِ وَاجْتَنِبْهَا **** فَإِنِ النَّمَمُ يُجْبِطُ كُلَّ أَجْرٍ

١ - رواه أحمد - حديث: ٢٢١٤٢ ، ومسلم - كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، حديث: ٣٣١٠

يثير أخو النمية كل شر **** ويكشف للخلافة كل سرٍ

ويقتل نفسه وسواء ظلما **** وليس النم من أفعال حر

النَّمِيمَةُ كَبِيرَةٌ مِّنَ الْكَبَائِرِ وَسَبَبٌ مِّنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى قَبْرِيْنِ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ وَأَمَا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَرِّ مِنْ بَوْلِهِ». قَالَ: فَدَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَفَّهُ بِاثْنَيْنِ ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ: «لَعْلَهُ أَنْ يُخْفَفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْيَسَا».^١

بالنميمة تسفك الدماء:

قال عطاء بن السائب: "قدمت من مكة، فلقيني الشعبي فقال: يا أبا زيد أطرفنا مما سمعت؛ قلت: سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط يقول: لا يسكن مكة سافك دم، ولا أكل ربا، ولا مشاء بنميم؛ فعجبت منه حين عدل النمية بسفك الدماء وأكل الربا، فقال الشعبي: وما يعجبك من هذا؟ فهل تسفك الدماء وتترك العظام إلا بالنمية؟ عن حميد الطويل: كان رجل له غلام فباعه وقال للمشتري: إني أبرا إليك من كل عيب به إلا عيباً واحداً. قال: وما هو؟ قال: النمية. قال: أنت بريء منه فإني لا أقبل قوله. قال: فما لبست إلا قليلاً حتى أتى السيد وقال: إن امرأتك بغي وهي تريد أن تقتلك وتتزوج غيرك. قال: وما يدريك؟ قال: قد عرفت ذلك، فتناوم عليها فإنه سيظهر لك ما أقول، وأتى المرأة فقال: إن زوجك يريد أن يخلعك ويتزوج غيرك، فهل لك أن أرقيك فيرجع إليك حبه؟ قالت: نعم ولك كذا وكذا. قال: اثنى بثلاث شعرات من تحت حنكه. فلما دنت منه لتناول الشعر قام إليها بالسيف ولم يشك فيما قاله الغلام فقتلها، وجاء إخوة المرأة فقتلوا الزوج فذهبوا جمیعاً بسوء صنيع عبدهما وقبوهما نميته.^٢

١ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب الغيبة، حديث: ٥٧١٢، ومسلم - الطهارة، باب الدليل على نجاسته البول ووجوب الاستبراء

منه، حديث: ٤٦٥

٢ - المحسن والمساوئ (١ / ٢٤٣)

النَّمِيمَةُ تورثُ الضُّغائِنَ وَالْأَحْقَادَ:

ومن أمثال العرب: (النَّمِيمَةُ أُرْثُ الْعَدَاوَةِ).

قال أبو حاتم رضي الله عنه: هذا وأمثاله من ثمرة النَّمِيمَة، لأنها تهتك الأُسْتَار، وتفشي الأُسْرَار، وتورث الضُّغائِن، وترفع المودة، وتجدد العداوة، وتبدد الجماعة، وتحيج الحقد، وتزيد الصد، فمن وُشِّيَ إِلَيْهِ عَنْ أَخْ كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ مَعَاتِبَهُ عَلَى الْمَهْفُوَةِ إِنْ كَانَتْ، وَقَبُولُ الْعَذْرِ إِذَا إِعْتَذَرَ، وَتَرْكُ الْإِكْثَارِ مِنَ الْعَتْبِ، مَعْ تَوْطِينِ النَّفْسِ عَلَى الشُّكْرِ عِنْدِ الْحَفَاظِ، وَعَلَى الصَّبْرِ عِنْدِ الضَّيْاعِ، وَعَلَى الْمَعَاتِبِ عِنْدِ الْإِسَاءَةِ.^١

من يخبرك بشتم عن آخر
فهو الشاتم لا من شتمك

ذاك شيء لم يواجهك به
إنما اللوم على من أعلمك

وأما السعاية إلى السلطان، وإلى كل ذي قدرة، فهي المهلكة والحاقة، التي تجمع الخصال الذميمة من الغيبة، وشؤم النَّمِيمَة والتغيير بالنفوس والأموال في النوازل والأحوال، وتسلب العزيز عزه وتحطط المكين عن مكانته، والسيد عن مرتبته؛ فكم دم أراقه سعي ساع، وكم حريم استبيح بنميمة عام، وكم من صفيين تباعدا، وكم متواصلين تقاطعا، وكم من محبين افترقا، وكم من إلفين تحاجرا، وكم من زوجين تطالقا، فليتق الله ربه عز وجل ساعدته الأيام، وتراحت عنه الأقدار، أن يصغي لساعٍ أو يستمع لنعام.

وكان الفضل بن سهل يبغض السعاية وإذا أتاه ساع يقول له: إن صدقنا أبغضناك، وإن كذبنا عاقبناك، وإن استقلتنا أقلناك.

وكتب في جواب كتاب ساع: نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية؛ لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء وأخبر به كمن قبله وأجازه، فاتقوا الساعي فإنه لو كان في سعادته صادقاً لكان في صدقه لثيماً إذ لم يحفظ الحمرة، ولم يستر العورة.

وقال بعض الحكماء: الأشرار يتبعون مساوى الناس ويتركون محسنهم، كما يتبع الذباب الموضع الأليمة من الجسد ويترك الصححة.

١ - روضة العقلاء (١٨٠ / ١)

قال محمد بن شرف القيرواني يصف تمامًا:

وناصلت نحو أفواه الورى أذنًا
 **** كالقعب يلفظ منها كل ما سقطا

يظل بالقول والأخبار مجتهداً
 **** حتى إذا ما وعاها رزق ما لقطا

وحكى أن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان العتي رأى رجلاً يسعى برجل عند صديق له فقال له: نزه سمعك عن استماع الخنثى كما تزه لسانك عن التكلم به، فإن السامع شريك القائل، وإنما نظر شر ما في وعائه فأفرغه في وعائلك، ولو ردت كلمة ساع إلى فيه لسعد رادها كما شقي قائلها، والنمام شر من الساحر؛ فإن النمام يفسد في الساعة الواحدة ما لا يفسد الساحر في المدة الطويلة.

أتى رجل عبد الله بن عباس رضي الله عنهم وهو والي البصرة من قبل علي بن أبي طالب بنميمة فقال له: إن شئت سألنا عما جئت به فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أقلناك، فقال إن شئت أن تفعل فافعل.

وقيل:

توك خ من الطرق أو ساطها
 **** وَعْدُ عن الجانب المشتبه

وسمعك صن عن سماع القبيح
 **** كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند سماع الحديث
 **** فانتبه لقائله شريك

١ - غر الخصائص الواضحة (ص: ٦٨)

وقال أبو الأسود الدؤلي:

لَا تَقْبَلْنَ نَمِيمَةً بَلْغَتْهَا أَنْبَاكُهَا **** وَتَحْفَظْنَ مِنَ الَّذِي أَنْبَاكُهَا

إِنَّ الَّذِي أَلْقَى إِلَيْكُمْ نَمِيمَةً قد حَاكَهَا سِينِمٌ عَنْكُمْ بِمِثْلِهَا ****

بم تكون النَّمِيمَةُ؟

قال الإمام أبو حامد الغزالى رحمة الله في الإحياء: اعلم أن النَّمِيمَةَ إنما تطلق في الأكثَر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كما تقول فلان يتكلم فيك بكتدا قال وليس النَّمِيمَةُ مخصوصة بهذا بل حذر النَّمِيمَة: كشف ما يكره كشفة سواء كرهه الممنقول عنه أو الممنقول إليه أو ثالث سواء كان الكشف بالنكارة أو بالرَّفْرَف أو بالإيماء بحقيقة النَّمِيمَة إفشاء السِّر وفتح السِّر عما يكره كشفة فلورا رأه يُخفي مالا لنفسه فذكره فهو نَمِيمَة.

ما يجب على من حملت إليه نَمِيمَة:

قال الإمام أبو حامد الغزالى رحمة الله في الإحياء: وكل من حملت إليه نَمِيمَة وقيل له فلان يقول فيك أو يفعل فيك كذا فعليه ستة أمور:

الأول: ألا يصدقه لأن النَّمَام فاسق.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقيح له فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى فإنه بغيض عند الله تعالى ويجب بعض من أبغضه الله تعالى.

الرابع: ألا يظن بأخيه الغائبسوء.

الخامس: ألا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن ذلك.

ال السادس: ألا يرضى لنفسه ما هي النَّمَام عنه فلا يذكر نَمِيمَته عنه فيقول فلان حكى كذا فيصير به نَمَاماً ويكون آتياً مما هي عنه.

متى يجوز نقل الكلام؟

قال النووي رحمة الله عن النَّمِيمَة: فإن دعث حاجة إليها فلا منع منها وذلك كما إذا أخبره بإن إنساناً يريده الفتوى به أو بأهله أو بماله أو أخوه الإمام أو من له ولاده وإنساناً يفعل كذا وبسعي بما فيه

مَفْسِدَةٌ وَجَبُ عَلَى صَاحِبِ الْوِلَايَةِ الْكَشْفُ عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّ اللَّهَ فَكُلُّ هَذَا وَمَا أَشْبَهُهُ لَيْسَ بِحَرَامٍ وَقَدْ يَكُونُ
بَعْضُهُ وَاجِبًا وَبَعْضُهُ مُسْتَحْبًا عَلَى حَسْبِ الْمَوَاطِنِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.^١

قَالُوا عَنِ النَّمِيمَةِ:

وَقَالَ الْمُؤْمِنُ: النَّمِيمَةُ لَا تَقْرُبُ مُودَةً إِلَّا أَفْسَدَهَا، وَلَا عَدَاوَةً إِلَّا جَدَّدَهَا، وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا بَدَّدَهَا، ثُمَّ لَا
بَدْ لِمَنْ عَرَفَ بِهَا وَنَسَبَ إِلَيْهَا أَنْ يَجْتَنِبَ، وَيُخَافُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا يُوَثَّقُ بِمَكَانِهِ.^٢

وَقَيلَ: مَنْ سَعَى بِالنَّمِيمَةِ حَذْرَهُ الْغَرِيبُ، وَمَقْتَهُ الْقَرِيبُ.

وَقَالُوا: لَمْ يَمِشْ مَاشَ شَرْ مِنْ وَاسْ. وَالسَّاعِي بِالنَّمِيمَةِ يَهْلِكُ نَفْسَهُ، وَمَنْ سَعَى بِهِ، وَمَنْ سَعَى إِلَيْهِ.

وَقَيلَ: النَّمِيمَةُ مِنَ الْخَسَالِ الْذَمِيمَةِ تَدْلِي عَلَى نَفْسٍ سَقِيمَةٍ وَطَبِيعَةٍ لَئِيمَةٍ مُشْغُوفَةٍ بِهَتْكِ الْأَسْتَارِ،
وَإِفْشَاءِ الْأَسْرَارِ.

١ - شرح النووي على مسلم (١١٣ / ٢)

٢ - سراج الملوك (١٢٩ / ١)

من آيات اللسان

(شهادة الزور)

معنى الزور:

الزور لغةً: أصل ثلاثي يدل على الميل والانحراف، والتحسين والقوة.

فالزور هو الشيء الذي جمل وحسن وانحرف عن أصله بشدة.

عن أسماء رضي الله عنها أن امرأة قالت: يا رسول الله إن لي ضرر، فهل على جناح إن تسبّع من زوجي غير الذي يعطياني فقال رسول الله ﷺ: «المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطِ كَلَّا إِسْلَامَ ثُوَيْرٍ زُورٍ».^١

تحريم كتمان الشهادة ووجوب أدائها:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجِرُّنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَفْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ حَبِّرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.^٢

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَبَعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلُوْا أَوْ تُعْرِضُوا فِإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِّرًا﴾.^٣

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكَرَّمُونَ﴾.^٤

١ - رواه البخاري- كتاب النكاح، باب المتشبّع بما لم ينزل، حدث: ٤٩٢٥، ومسلم- كتاب اللباس والزينة باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره والتشبّع بما لم يعط، حدث: ٤٠٦٦

٢ - سورة المائدة: الآية / ٨

٣ - سورة النساء: الآية / ١٣٥

٤ - سورة المعارج: الآيات / ٣٣: ٣٥

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قُلْبُهُ وَاللَّهُ إِمَّا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِمْ ۚ ۱ .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ يُغَافِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۚ ۲ .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَحْرَجًا ۚ ۳ .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهُدُونَ الرُّزُورَ وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ مَرُوا كِرَامًا ۚ ۴ .

أَتَنِي اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِتَرْكِ شَهَادَةِ الرُّزُورِ :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهُدُونَ الرُّزُورَ وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ مَرُوا كِرَامًا ۚ ۵ .

أَيْ : لَا يَشْهُدُونَ الشَّهَادَةَ الْكَاذِبَةَ، أَيْ : شَهَادَةُ الرُّزُورِ، وَهِيَ الْكَذِبُ مُتَعَمِّدًا عَلَى غَيْرِهِ.

انتِشارُ شَهَادَةِ الرُّزُورِ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ :

عَنْ عِمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « حَيْرُكُمْ قَرِينٌ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوْهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوْهُمْ » قَالَ عِمَرَانُ لَا أَذْرِي أَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ قَرِينِي أَوْ ثَلَاثَتَهُ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُوْفُونَ وَلَا يُؤْمِنُونَ ، وَيَشْهُدُونَ ، وَلَا يُسْتَشْهِدُونَ وَيَنْدِرُونَ وَلَا يَقُولُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمْئُنُ ۖ ۶ .

وقول النَّبِيِّ ﷺ : « وَيَشْهُدُونَ ، وَلَا يُسْتَشْهِدُونَ » يَحْتَمِلُ أَمْرِيْنَ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ يَرَادُ بِهِ شَاهِدُ الرُّزُورِ؛ فَإِنَّهُ يَشْهُدُ بِمَا لَمْ يَشْهُدْ؛ أَيْ : بِمَا لَمْ يَحْمِلْهُ.

١ - سورة البقرة: الآية / ٢٨٣

٢ - سورة البقرة الآية / ١٤٠

٣ - سورة الطلاق الآية / ٢

٤ - سورة الفرقان الآية / ٧٢

٥ - سورة الفرقان: الآية / ٧٢

٦ - رواه البخاري - كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، حديث: ٢٥٢٩، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب فضل الصحابة ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم، حديث: ٤٧٠٨

والثاني: أن يراد به الذي يحمله الشر على تنفيذ ما يشهد به فيبادر بالشهادة قبل أن يُسألها. فهذه شهادة مردودة، فإن ذلك يدل على هوى غالب على الشاهد.^١

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلوكهم، ثم الذين يلوكهم، ثم يحيى أقوام تسبق شهادة أحديهم يمينه، ويمينه شهادته». قال إبراهيم: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد.^٢

قال ابن الجوزي رحمة الله: المراد بهم لا يتورعون ويستهينون بأمر الشهادة واليمين.^٣

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي يعني بالحق، لا تنقضي هذه الدنيا، حتى يقع بهم الحسف، والقذف، والمسخ، قالوا: وما ذاك يا نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيت النساء ركبن السروج، وكثرت القينات، وفشت شهادة الرزور، واستغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء».^٤

شهادة الرزور تحبط الأعمال الصالحة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الرزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

قيل يحتمل أن المراد من لم يدع ذلك مطلقاً غير مقيداً بصويم أي من لم يترك المعااصي ماداً يصنع بظاهره ويحتمل أن المراد من لم يترك حالة الصويم وهو المواقف لبعض الروايات قوله: (فلا حاجة إلا كنائنة عن عدم القبول وإلا فلا حاجة لله تعالى إلى عبادة أحد).^٥

١ - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧ / ٢٩٦)

٢ - رواه البخاري - كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، حديث: ٢٥٣٠، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلوكهم ثم الذين يلوهم، حديث: ٤٧٠٤

٣ - فتح الباري (٨ / ١٦١)

٤ - رواه الحاكم - كتاب الفتن والملاحم، حديث: ٨٤١٣، والطبراني في الأوسط - حديث: ٥١٦٤

٥ - رواه البخاري - كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الرزور، حديث: ١٨١٣

٦ - حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١ / ٥١٧)

شَهادَةُ الرُّورِ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أَبْئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» ثَلَاثَةً، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِلَيْشَرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدِينِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكَبِّلاً فَقَالَ - أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ؟»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

شَهادَةُ الرُّورِ تَعْدِلُ إِلَيْشَرَاكَ بِاللَّهِ:

عَنْ حُرَيْمِ بْنِ فَاتِنَةِ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَامَ قَاتِمًا فَقَالَ: «عَدِلْتُ شَهادَةَ الزُّورِ بِإِلَيْشَرَاكِ بِاللَّهِ» ثَلَاثَ مِرَارٍ ثُمَّ قَرَأَ: «فَاجْتَنَبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنَبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ عَيْرُ مُشْرِكِينَ بِهِ».

شَهادَةُ الرُّورِ مِنْ مُوجَبَاتِ النَّارِ:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ افْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهَ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيَّاً مِنْ أَرَاكِ».

وَقَالَ ابْنِ شُبْرُمَةَ: الْقَضَاءُ فِي قَلِيلِ الْمَالِ وَكَثِيرِهِ سَوَاءٌ.

شَهادَةُ الرُّورِ مِنْ أَسْبَابِ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنِ افْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيمِينِ كَاذِبَةِ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضِيبًا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: إِنَّ

١ - رواه البخاري - كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، حدیث: ٢٥٣٢، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكابرها، حدیث: ١٥١

٢ - رواه أحْمَدُ حدیث: ١٨٥٣٨، وأبو داود - كتاب الأقضیة، باب في شهادة الزور، حدیث: ٣١٤١، وابن ماجه - كتاب الأحكام، باب شهادة الزور، حدیث: ٢٣٦٩، وابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب البيوع والأقضیة، ما ذكر في شهادة الزور، حدیث: ٢٢٥٤٨، بسند ضعیف

٣ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، حدیث: ٢٢١

٤ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/٢٥٦)

الَّذِينَ يُشْرِكُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَإِنَّا هُنَّ مُثْنَانَا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَالقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يُنْظِرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^١.

ما يتربّ على شهادة الزور من الجرائم:

إن الله تبارك وتعالى حرم شهادة الزور، لكونها سبباً لإبطال الحق، وحرم كتمانها، لكونه سبباً أيضاً لإبطال الحق، ويترتب على شهادة الزور من الضرر مالا يعلم مداه إلا الله تعالى فبسببها تُرهق النفوس المучومة، ويتصير الظالم على المظلوم، وتحدر الحقوق، وتُؤكل الأموال بالباطل، وتنسب الفروج المحرمة. ويترتب عليها كذلك نجاة الجاني من العقاب، ويترتب عليها كذلك اتهام البراءة من الناس، وتبرئة المتهمين.

حكم الحاكم لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً:

ربما يظن بعض الناس أنه إذا توصل لأمر ما بحكم محكمة أن هذا الذي توصل إليه وهو ليس في الحقيقة حقاً له بل هو حق غيره، ربما ظن أن هذا الحكم يبرئ ساحته أمام الله تعالى، أو أن هذا الحكم يحل له حق أخيه، فعن أم سلامة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّكُمْ تَحْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَحْنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضِ فَمِنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحُقْقِ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعْ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ فَلَا يَأْخُذُهَا»^٢.

قال الصناعي: والحديث دليل على أن حكم الحاكم لا يحل به للمحكوم له ما حكم له به على غيره إذا كان ما أدعاه باطلاً في نفس الأمر، وما أقامه من الشهادة كاذباً، وأما الحاكم فيجوز له الحكم بما ظهر له والإلزام به، وتخليص المحكوم عليه مما حكم به لو امتنع وينفذ حكمه ظاهراً ولكن لا يحل به الحرام إذا كان المدعى مبطلاً وشهادته كاذبة^٣.

١ - رواه البخاري - كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، حدث: ٧٠٢٩، سورة آل عمران الآية / ٧٧

٢ - رواه البخاري - كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين، حدث: ٢٥٥٥

٣ - سبل السلام (٦ / ٤٠٧)

عقوبة شَاهِدِ الرُّورِ:

عَنْ مَكْحُولٍ، وَالْوَلِيدِ بْنِ أَبِي مَالِكٍ، قَالَ: «كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي شَاهِدِ الرُّورِ يُضْرِبُ أَرْبَعينَ سَوْطًا، وَيُسَحَّمُ وَجْهُهُ، وَيُخْلَقُ رَأْسُهُ، وَيُطَافُ بِهِ، وَيُطَالُ حَبْسُهُ». ^١

١ - رواه ابن أبي شيبة-كتاب الحدود، في شَاهِدِ الرُّورِ مَا يُعَاقَبُ؟ حديث: ٢٨١٣١، والبيهقي في السنن الكبرى-كتاب آداب القاضي، جماع أبواب ما على القاضي في الخصوم والشهود، باب ما يفعل بشاهد الزور، حدث: ١٩٠٧٠

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الثَّالِي عَلَى اللهِ تَعَالَى)

حُدُّ الْإِيَالَاءِ:

الإِيَالَاءِ بِالْمَدِ هُوَ الْحَلْفُ. وَهُوَ مَصْدُرُ يُقَالُ: أَلَى بِالْمَدِ يُولِي إِيَالَاءَ وَتَأْلَى وَائِتَلَى أَيْ حَلْفٌ.
وَأَلَى يُؤْلِي إِيَالَاءَ وَائِتَلَى يَاْتَلَى اِتْلَاءَ وَتَأَلَّى يَتَأَلَّى تَأَلِيًّا: أَقْسَمَ وَحَلْفَ. يُقَالُ: آتَيْتُ عَلَى الشَّيْءِ وَآتَيْتُهُ.
وَفِي الْحَدِيثِ: (أَلَى مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا)، أَيْ حَلْفٌ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِنَّ، وَإِنَّمَا عَدَّاهُ مِنْ حَمْلًا عَلَى الْمَعْنَى،
وَهُوَ الْامْتِنَاعُ مِنَ الدُّخُولِ، وَهُوَ يَتَعَدَّدُ مِنْ وَلَإِيَالَاءِ فِي الْفِقْهِ أَحْكَامٌ تَحْصُّهُ لَا يُسَمَّى إِيَالَاءَ دُوكَاهَا.
وَفِي حَدِيثِ عَلَيِّ صَاحِبِ الْكِتَابِ: (لِيَسَ فِي الإِصْلَاحِ إِيَالَاءُ) أَيْ أَنَّ إِيَالَاءَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الصِّرَارِ وَالغَضَبِ لَا فِي
النَّفْعِ وَالرِّضَا.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْإِتْلَاءُ الْحَلْفُ؛ وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَتَأَلِّ أُولُو الْفَضْلِ﴾، أَيْ لَا يَحْلِفُ، لَأَنَّهَا
نَرَلْتُ فِي حَلْفٍ أَبِي بَكْرٍ أَنْ لَا يُنْفَقَ عَلَى مِسْطَحٍ؛ وَقَرَأَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِ وَلَا يَتَأَلِّ أُولُو الْفَضْلِ
بِمَعْنَاهُ وَهِيَ شَادَّةٌ.

وَفِي الْحَدِيثِ: (وَيَلِّ لِلْمُتَأَلِّينَ مِنْ أُمَّتِي)، يَعْنِي الَّذِينَ يَحْكُمُونَ عَلَى اللهِ وَيَقُولُونَ فَلَانُ فِي الْجَنَّةِ وَفَلَانُ فِي
النَّارِ.

وَقَيلَ: الثَّالِي عَلَى اللهِ أَنْ يَقُولَ: وَاللهِ لَيُدْخِلَنَّ فَلَانًا النَّارَ، وَيُنَجِّسَنَّ اللهُ سَعْيَ فَلَانٍ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي
الْحَدِيثِ: مَنِ الْمُتَأَلِّ على اللهِ ^۱

فَعَنْ جُنْدَبٍ صَاحِبِ الْكِتَابِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ وَاللهِ لَا يَعْفُرُ اللهُ لِفُلَانٍ وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ
مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّ عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ».^۲

۱ - تاج العروس (۳۷ / ۹۱)

۲ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب البر والصلة والأداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى، حديث: ۴۸۶۰

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَآخِيًّا فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذِنِّبُ وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ فَكَانَ لَا يَرَأُ الْمُجْتَهِدَ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الدَّنَبِ فَيَقُولُ أَقْصَرُ». فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى دَنَبِهِ فَقَالَ لَهُ أَقْصَرُ فَقَالَ حَلِّنِي وَرَبِّي أَبْعَثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقُبِضَ أَرْوَاحُهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ أَكْنَتَ بِي عَالِمًا أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا وَقَالَ لِلْمُذِنِبِ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي وَقَالَ لِلآخَرِ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقْتَ دُنْيَاكُ وَآخِرَتَهُ.^١

عَنْ جَعْفَرِ الْعَبْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيَا لِلْمُتَأْلِفِينَ مِنْ أُمَّتِي الَّذِينَ يَقُولُونَ: فُلَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَفُلَانُ فِي النَّارِ».^٢

أنواع التَّائِلِ:

التَّائِلِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبُرُّوا وَتَنْقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾.^٣

قال العالمة الشنقيطي: (أي لا تحلفوا بالله عن فعل الخير، فإذا قيل لكم: اتقوا وبروا، وأصلحوا بين الناس. قلتم: حلفنا بالله لا نفعل ذلك، فتجعلوا الحلف بالله سبيلاً للامتناع من فعل الخير). انتهى^٤

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَ حُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَّةٍ أَصْوَاهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ، وَيَسْتَرْفُعُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَيْنَ الْمُتَأْلِفِ عَلَى اللَّهِ، لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟» فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ.^٥

١ - رواه أحمد - حديث: ٨١٠٦، وأبو داود كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، حديث: ٤٢٧٦، وابن حبان - كتاب الحظر والإباحة باب ما يكره من الكلام وما لا يكره، حديث: ٥٧٩٠

٢ - رواه ابن بطة في الإبانة - باب ذِكْرِ الدُّنُوبِ الَّتِي تَصِيرُ بِصَاحِبِهَا إِلَى كُفْرٍ غَيْرِ خَارِجٍ عَنِ الْمِلَّةِ، حديث: ١٠٤٩، بسنده ضعيف

٣ - سورة البقرة: الآية / ٢٤

٤ - أضواء البيان (٥ / ٤٨٧)

٥ - رواه البخاري - كتاب الصلح، باب: هَلْ يُشَيِّرُ الْإِمَامُ بِالصُّلُحِ، حديث: ٢٧٠٥، ورواه مسلم - كتاب المساقاة، باب استتحبابِ الْوَرْضُونَ مِنَ الدِّينِ، حديث: ١٥٥٧

وفي رواية عن عبد الله بن كعب بن مالك، أن كعب بن مالك، أخبره أنه تقاضى ابن أبي حذر دينًا له عليه في عهد رسول الله ﷺ في المسجد، فارتقت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما رسول الله ﷺ حتى كشف سجف حجرته، ونادى كعب بن مالك قال: «يا كعب» قال: لبيك يا رسول الله، فأشار بيده أن ضع الشطر من دينك، قال كعب: قد فعلت يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ : «قم فاقضه». ^١

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْدَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْفَحُوا أَلَا تَحْبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. ^٢

هذه الآية نزلت في الصديق، حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثاثة بنافة بعد ما قال في عائشة مما قال، كما تقدم في الحديث. فلما نزل الله براءة أم المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقررت، وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على من أقيمت عليه - شرع تبارك وتعالى، وله الفضل والمنة، يعطى الصديق على قريبه ونسيه، وهو مسطح بن أثاثة، فإنه كان ابن حالة الصديق، وكان مسكيلا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر، رضي الله عنه وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد ولقته تاب الله عليه منها، وضرب الحد عليها. وكان الصديق، رضي الله عنه معروفا بالمعروف، له الفضل والأيدي على الأقارب والأجانب. فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَا تَحْبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: فإن الجزاء من جنس العمل، فكمما تعفر عن المذنب إليه تعفر لك، وكما تصفح نصف عنك. فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنا نحب - يا ربنا - أن تعفر لنا. ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا، في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافة أبدا، فلهاذا كان الصديق هو الصديق رضي الله عنه وعن بيته. ^٣

١ - رواه البخاري - كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد، حدث: ٤٧١، ورواه مسلم - كتاب المساقاة، باب استحباب الوضع من الدين، حدث: ١٥٥٨

٢ - سورة النور: الآية / ٢٢

٣ - تفسير ابن كثير (٦ / ٣١)

الواجب على من حلف على يمين فرأى غيرها حيرا منها، أن يكفر عن يمينه وأيامي الذي هو خير، بعض الناس قد يحلف لا يكلم أخاً، أو لا يدخل له بيته، فليس من البر اللجاجة في الخصم، ولا قطيعة الأرحام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «من حلف على يمين فرأى غيرها حيرا منها فليأتِ الذى هو حير وليكفر عن يمينه».^١

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فرأى غيرها حيرا منها إلا أتيت الذى هو حير وتحللتها».^٢

الإيلاء من النساء:

قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبُصُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَّمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ﴾.^٣

قال ابن كثير: الإيلاء: الحلف، فإذا حلف الرجل إلا يجتمع زوجته مدة، فلا يخلو: إما أن يكون أقل من أربعة أشهر، أو أكثر منها، فإن كانت أقل، فله أن يتضرر انتقضاء المدة ثم يجتمع امرأته، وعليها أن تصبر، وليس لها مطالبتها بالفترة في هذه المدة، وهذا كما ثبت في الصحيحين عن عائشة: أن رسول الله آلى من نسائه شهرا، فنزل لتسع وعشرين، وقال: "الشهر تسعة وعشرون" وكلما عن عمر بن الخطاب نحوه. فأما إن زادت المدة على أربعة أشهر، فللزوج مطالبة الزوج عند انتقضاء أربعة أشهر: إما أن ينفيه - أي: يجتمع - وإما أن يطلق، فيجبه الحاكم على هذا أو هذا لغلا يضر بها.^٤

١ - رواه مسلم - كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها، حديث رقم: ٣١٩٨

٢ - رواه البخاري - كتاب فرض الحمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لتواب المسلمين، حديث: ٢٩٨١، ومسلم - كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها، حديث: ٣١٩٦

٣ - سورة البقرة: الآية / ٢٢٦ ، ٢٢٧

٤ - تفسير ابن كثير (٦٠٤ / ١)

وَعَنْ أَمْ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ آتَى مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا، فَلَمَّا مَضَى تِسْعَةُ وَعِشْرُونَ يَوْمًا، غَدَأْ أَوْ رَاحَ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ حَلَفْتَ أَنْ لَا تَدْخُلَ شَهْرًا، فَقَالَ: «إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا».^١

مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ:
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٌ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ».^٢

عَنْ أَنَسِ ﷺ قَالَ: كَسَرَتِ الرُّبَيعُ وَهِيَ عَمَّةُ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ ثَيَّبَةَ جَارِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَطَلَبَ الْقَوْمُ الْقِصَاصَ، فَأَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِالْقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَمُّ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ: لَا وَاللَّهِ، لَا تُكْسِرُ سِنُّهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ» فَرَضَيَ الْقَوْمُ وَقِيلُوا إِلَى الرُّشْدِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ».^٣

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخَزَاعِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُحْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُّتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ، أَلَا أُحْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتْلٍ، جَوَاطِ مُسْتَكِيرٍ».^٤

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْهِلَالَ فَصُومُوهَا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوهَا»، حديث:

١٩١٠، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الصِّيَامِ، بَابُ الشَّهْرِ يَكُونُ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ، حديث: ١٠٨٥

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأداب، باب فضل الضعفاء والحاملين، حديث: ٢٦٢٢

٣ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الصُّلْحِ بَابُ الصُّلْحِ فِي الدِّيَةِ، حديث: ٢٧٠٣

٤ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ «عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٍ» [القلم: ١٣]، حديث: ٤٩١٨، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصَفَةِ

عَيْمَهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ النَّارِ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الْضُعَفَاءُ، حديث: ٢٨٥٣

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الثَّرَثَرَةُ)

حدُثُ الثَّرَثَرَةَ:

الثَّرَثَرَةُ: كثرة الأكل والكلام في تخليط وترديد.^١

الثَّرَثَرَةُ مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ التي يقع فيها كثير من الناس، وقلَّ مَنْ يسلم منها، ومع ذلك فهي من أخطر آفات اللسان على صاحبها، فالثرثار من أبغض الناس لقلب النبي ﷺ وهو كذلك من أبعد الناس عن مجلس النبي ﷺ.

والثَّرَثَرَةُ مِنْ أَسْبَابِ دخول النارِ، وسببُ قسوةِ القلبِ، وسقوطِ صاحبها من أعين الناس وقلة هيبته، ودليل قلة العقل، والبعد عن الإيمان.

الثَّرَاثَارُونَ أَبْغَضُ النَّاسِ لَقْلِبِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبْعَدُهُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

أما دليل كون الثثار من أبغض الناس لقلب النبي ﷺ ومن أبعد الناس عن مجلس النبي ﷺ ما روي عن جابرٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَدِكُمْ إِلَى وَاقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَحْلَالًا وَإِنَّ أَبْعَضَكُمْ إِلَى وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَاثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيِّهُونَ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ».^٢

١ - لسان العرب (٤ / ١٠١)

٢ - رواه الترمذى - أبواب البر والصلة عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بابُ مَا جاءَ فِي مَعَالِي الْأَحْلَاقِ، حديث: ٢٠١٨ ، وهناد بن السرى في الزهد - باب حسن الخلق، حديث: ١٢٤٩

الثُّرَثَةُ مِنْ أَسْبَابِ قَسْوَةِ الْقَلْبِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِعَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِعَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةً لِلْقَلْبِ وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنِ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِيُّ».^١

وإنما كان الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب لأن القلب لا يلين إلا بذكر الله تعالى كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَأَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ﴾.^٢

فذكر الله تعالى هو غذاء القلب، ومصدر قوته، وترافقه الشافي له من الشهوات والشبهات، وبل هو حياة القلب، فإذا انقطع ذلك عنه ضعف القلب وتمكن منه أمراض الشهوات والشبهات فقسى، فاستحق البعض عن رحمة الله تعالى، أعادنا الله من الخزي والخذلان.

وروى مالك أنَّهَ بَلَغَهُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَانَ: «يَقُولُ لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِعَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنِ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ. وَلَا تَنْظُرُوا فِي دُنُوبِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ وَانظُرُوا فِي دُنُوبِكُمْ كَأَنَّكُمْ عَبِيدٌ فَإِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَلَى وَمُعَاقٍ فَارْجُمُوهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَاحْمُدُوهُ اللَّهُ عَلَى الْعَافِيَةِ».^٣

الثُّرَثَةُ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ:

فإذا كانت الثرة مشتملة على السخرية والاستهزاء بشيء من الشرع أو بالمؤمنين فإن ذلك دليل على النفاق وسوء الطوية.

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَحْوُضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.^٤

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرَوْا هُمْ يَتَعَامِزُونَ﴾.^٥

١ - رواه الترمذى - أَبْوَابُ الرُّهْدَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مِنْهُ، حديث: ٢٤١١، والبيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٣٠، بسنده ضعيف

٢ - سورة الرعد: الآية / ٢٨

٣ - رواه مالك في الموطأ - كتاب الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله، حديث: ١٧٩٧، والبيهقي في شعب الإيمان - فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٣٠، بسنده ضعيف

٤ - سورة التوبه الآية / ٦٥

وقد أثني الله تعالى على من أعرض عن اللغو وأخبر أن الإعراض عنه من صفات المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ حَاسِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾^١.

وقال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾^٢.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: أوصيك بِتَقْوَى اللهِ فِيهَا رَأْسُ أَمْرِكَ، قلت: يا رسول الله زدني قال: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإن ذلك لك نور في السماءات ونور في الأرض، قلت: يا رسول الله زدني قال: لا تُكْثِر الصَّحْلَكَ فَإِنَّهُ يُمْيِتُ الْقَلْبَ وَيُنْدِهِبُ نُورَ الْوَجْهِ، قلت: يا رسول الله زدني قال: عليك بالجهاد فإنه رهبة أمتي، قلت: يا رسول الله زدني قال: عليك بالصمت إلا من حير فإنه مرد للشيطان عنك وعون لك على أمر دينك، قلت: يا رسول الله زدني قال: انظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أحذر أن لا تزدري نعمة الله عندك، قلت: يا رسول الله زدني، قال: صل قرابتك وإن قطعوك، قلت: يا رسول الله زدني، قال: لا تخف في الله لومة لائم، قلت: يا رسول الله زدني قال: تحب للناس ما تحب لنفسك، ثم ضرب بيده على صدره، فقال: يا أبا ذر لا عقل كالتدبر، ولا ورع كالكفر، ولا حساب كحسن الخلق.^٣

الثَّرَثَرَةُ دَلِيلُ سُوءِ الْخُلُقِ:

عن أبي ثعلبة الحشني رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا وَإِنَّ أَبْعَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَسَاوِيَكُمْ أَخْلَاقًا الشَّرَّاثُونَ الْمُتَشَدِّفُونَ الْمُتَفَيِّهُونَ».^٤

٥ - سورة المطففين: الآية / ٢٩ ، ٣٠

١ - سورة المؤمنون الآية / ١ : ٣

٢ - سورة الطور: الآية / ١١ ، ١٢

٣ - رواه ابن ماجه- كتاب الرهد، باب الورع والتقوى، حديث: ٤٢٦، الطبراني في الكبير- حدیث: ١٦٣٠، بسنده ضعيف

٤ - رواه أحمد حدیث: ١٧٤١٧، والبيهقي في السنن- كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متحللاً بها كان من أهل المروءة -التي هي شرط في قبول الشهادة- على طريق الاختصار، حدیث: ١٩٣٤٩، وابن حبان- كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق، ذكر البيان بأن من أحب العباد إلى الله، حدیث: ٤٨٣، بسنده صحيح

قال الشيخ ملا علي القاري رحمة الله: وهو يعني قوله: «الثَّرَاثُرُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَقِّهُونَ» إما بدل من مساوياكم أخلاقاً فيلزم أن تكون هذه الأوصاف أسوأ الأخلاق؛ لأن المبدل كالتمهيد والتوضئة، وإما رفع على الذم، فإنه خبر مبتدأ مذوف، فيكون أشنع وأبلغ، وفي النهاية: الثثارون هم الذين يكثرون الكلام تكلفاً وخروجاً عن الحق، من الثرة وهي: كثرة الكلام وترديده.^١

وما يدل على أن الثرة من مساوى الأخلاق، ومن قبيح الصفات، ما حكاه الله تعالى عن حال الشعرا، قال تعالى: ﴿وَالشَّعْرَاءُ يَتَّعِهُمُ الْعَاوُنَ﴾ (٢٢٤) ألم تر أهؤم في كل وادٍ يهيمون^٢.

قال القرطبي رحمة الله: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تر أهؤم في كل وادٍ يهيمون﴾، يقول: في كل لغو يخوضون، ولا يتبعون سنن الحق، لأن من اتبع الحق وعلم أنه يكتب عليه ما يقوله ثبت، ولم يكن هائماً يذهب على وجهه لا يبالي ما قال.^٣

الثَّرَاثُرُونَ شِرَارُ النَّاسِ:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «خياركم أحاسنكم أخلاقاً، المؤطئون أكناها، وإن شراركم الثثارون، المتفقيهون، المتشدقون». ^٤

إذا كان الثثارون أقبح الناس أخلاقاً كانوا من شرار الناس؛ وإذا كانوا من شرار الناس، كانوا أقبح الناس أخلاقاً لقبح صفاتهم، وسوء أفعالهم.

الثَّرَثَرَةُ مِنْ أَسْبَابِ الْحَسْرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

من أسباب الحسرة يوم القيمة أن يجلس العبد مجلسا ثم يقوم ولم يذكر الله تعالى فيه، ولو لم يكن فيه شيء من الكلام الحرام، فكيف الحال إذا كان المجلس كله خوض في الباطل، أو وقوع في الغيبة والنميمة والبهتان، والسخرية والاستهزء نسأل الله تعالى السلام.

١ - مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايخ (٦٨ / ١٤)

٢ - سورة الشعراء الآية/ ٢٢٤ ، ٢٢٥

٣ - تفسير القرطبي (١٥٢ / ١٣)

٤ - رواه البزار في مسنده - حديث: ٤٥٢١ ، ١٥٢٦ ، والطبراني، حديث: ٤٥٢١ ، بسنده حسن

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم جلسوا مجلساً لم يذكروا الله فيه إلا رأوه حسراً يوم القيمة».^١

وكما لا يجوز الخوض في الباطل، ومحالسة من يخوض فيه، فإن المستمع شريك المتكلم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِينَكُ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.^٢

قال أبو حيان رحمة الله: حكم تعالى بأنهم إذا قعدوا معهم وهم يكفرون بأيات الله ويستهزئون بها، وهم قادرون على الإنكار مثلهم في الكفر، لأنهم يكونون راضين بالكفر، والرضا بالكفر كفر. والخطاب في أنكم على الخلاف السابق أهو للمنافقين؟ أم للمؤمنين؟ ولم يحكم تعالى على المسلمين الذين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين بمكة مثل المشركين، لعجز المسلمين إذ ذاك عن الإنكار بخلاف المدينة، فإن الإسلام كان الغالب فيها والأعلى، فهم قادرون على الإنكار، والسامع للذم شريك للقائل.

الثَّرَثَرَةُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ:

من أسباب دخول النار عيادة بالله أن يخوض العبد مع الخائضين، فإذا تكلموا في الدنيا تكلم معهم، وإذا ولعوا في أعراض الناس ولغ معهم، وإذا سخروا واستهزءوا سخر واستهزأ معهم، وإذا خاضوا في آيات الله تعالى خاص معهم، فاستحقوا بذلك النار؛ لأن هذه صفات المجرمين.

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَلُكْ مِنَ الْمُصَلَّيَنَ (٤٣) وَلَمْ نَلُكْ نُطْعَمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾.^٣

١ - رواه أحمد - حديث: ٦٩٣٣، بسنده صحيح

٢ - سورة الأنعام: الآية / ٦٨

٣ - سورة المدثر: الآيات / ٣٨ - ٤٥

قال الطبرى رَحْمَهُ اللَّهُ أَيِّ: وَكَنَا نَخُوضُ فِي الْبَاطِلِ وَفِيمَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ مَعَ مَنْ يَخُوضُ فِيهِ.

وقال ابن كثير رَحْمَهُ اللَّهُ أَيِّ نَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا نَعْلَمُ.

وقال قتادة رَحْمَهُ اللَّهُ أَيِّ كَلَمًا غَوِيًّا غَوَيْنَا مَعَهُ.

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرُهُ التَّرَثُّرَةَ:

فَعَنِ الْمُغَيْرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَادِ الْبَنَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ».^١

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: جَعَلَ الْقَالَ مَصْدَرًا كَأَنَّهُ قَالَ: هَنَى عَنْ قِيلٍ وَقَوْلٍ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ عَلَى أَنَّهُمَا اسْمَانٌ، وَقِيلٌ: أَرَادَ النَّهْيَ عَنْ كَثْرَةِ الْكَلَامِ مُبْتَدِئًا وَمُجِيَّا، وَقِيلٌ: أَرَادَ بِهِ حِكَائِيَّةَ أَقْوَالِ النَّاسِ وَالْبَحْثَ عَمَّا لَا يُبَدِّي عَلَيْهِ حَيْرًا وَلَا يَعْنِيهِ أَمْرًا؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: أَلَا أَتَيْتُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ أَيِّ كَثْرَةُ الْقَوْلِ وَإِيقَاعُ الْحُصُومَةِ بَيْنَ النَّاسِ إِمَّا يُحَكِّيَ الْبَعْضُ عَنِ الْبَعْضِ؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: فَفَشَّتِ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ.^٢

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَسَعَكَ صَنْ عَنْ سَمَاعِ الْقَبِيحِ **** كَصُونُ الْلِسَانِ عَنِ النَّطْقِ بِهِ

قال ابن عطية: وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات، ولكنه إلزام شبه بحكم الظاهر من المقارنة
كقول الشاعر:^٣

عَنِ الْمَرءِ لَا تَسْأَلْ وَسْلَ عَنْ قَرِينِهِ **** فَكُلْ قَرِينَ بِالْمَقَارِنِ يَقْتَدِي

١ - رواه البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتتكلف ما لا يعنيه، حدث: ٦٨٨٣، ومسلم -
كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، حدث: ٣٣٢٣

٢ - لسان العرب (١١ / ٥٧٤)

٣ - تفسير البحر الحيط (٣٠٤ / ٣)

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفِّرُهَا وَيُسْتَهْزِئُهَا فَلَا تَقْعُدُوهَا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.^١

قال ابن كثير رحمة الله: أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم، ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه آيات الله، ويستهزأ وينتقض بها، وأقررتونهم على ذلك، فقد شاركتمهم في الذي هم فيه، فلهذا قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ في المأثم.^٢

فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم، يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية.^٣

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من كثُرَ كلامُهُ كثُرَ سَقْطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقْطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ، فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيَقُولَ حَيْرًا أَوْ لِيَصُمُّتْ».^٤

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرُهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَقْرَفُوا، وَيَكْرُهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ».^٥

١ - سورة النساء: الآية/١٤٠

٢ - تفسير ابن كثير: ٦٩٩ / ١

٣ - تفسير القرطبي (٤١٨ / ٥)

٤ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث: ٦٦٠، والقضاءعي في مستند الشهاب - من كثرة كلامه كثرة سقطه، حديث: ٣٥٧، بسنده ضعيف

٥ - رواه مسلم - كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، حديث: ٣٣٢٢

وعنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: «يَا أَحْنَفُ، مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ قَلَّ هَيْبَتُهُ، مَنْ مَرَّ اسْتُخْفَفَ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَ حَيَاوَهُ، وَمَنْ قَلَ حَيَاوَهُ قَلَ وَرَعْهُ، وَمَنْ قَلَ وَرَعْهُ مَاتَ قَلْبُهُ». ^١

١ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث: ٢٢٩٩، والبيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث:

فضل الصمت ومتنازلته

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: لقيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا ذَرَّ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرَّ، أَلَا أَدْلُكَ عَلَى حَصْلَتَيْنِ هُمَا أَحَقُّ عَلَى الظَّهَرِ، وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ عَيْرِهِمَا؟» قَالَ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «عَلَيْكَ بِخُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَاللَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا عَمِلَ الْخَلَائِقُ عَمَلاً أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمَا». ^١

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِدُ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيُقْلِنَ حَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». ^٢

في الصمت نجاة:

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهمما قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَمَّتَ نَجَا». ^٣

الصمت هدي النبي ﷺ:

عن سمايك قال: قُلْتُ لِخَابِرِ بْنِ سَمْرَةَ: أَكُنْتَ تُحَاكِسُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَكَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ، فَلَيِلَ الضَّحَّاكِ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَذْكُرُونَ عِنْدَهُ الشِّعْرَ، وَأَشْيَاءَ مِنْ أُمُورِهِمْ، فَيَضْحَكُونَ، وَرُبَّمَا تَبَسَّمَ». ^٤

١ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث: ٧٠٣، والبزار - حديث: ٧٠٠١، والبيهقي في الشعب - باب في حسن الخلق، حديث: ٧٦٤١، وأبو يعلى الموصلي في مسنده - حديث: ٣٢٩٨، بسنده ضعيف

٢ - رواه البخاري - كتاب الرفاق، باب حفظ اللسان، حديث: ٦١٢٠، ورواه مسلم - كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيوف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، حديث: ٣٣٤٢

٣ - رواه أحمد - حديث: ٦٣٠٨، والترمذى - أبواب صفة القيامة والرفاق والورع عن رسول الله صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باب، حديث: ٢٤٨٥ والدارمى - ومن كتاب الرفاق باب: في الصمت، حديث: ٢٦٦٧، والطبرانى في الكبير - حديث: ١٣٥٤٣، والبيهقي في الشعب - فضل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٥٨، بسنده صحيح

٤ - رواه أحمد - حديث: ٢٠٣٠٤، والترمذى في الشمائل - باب ما جاء في صفة كلام رسول الله صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث: ٢٤١، وابن حبان - كتاب الحظر والإباحة، باب التفاخر، ذكر الإباحة للمرء أن ينشد الأشعار ما لم يكن فيها خنا، حديث: ٥٨٦٠، بسنده صحيح

وعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يحدّث حديثاً لون عدده العاد لا حصاده». ^١

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ثلاث مرات: «رحم الله امرئاً تكلم فغنم، أو سكت فسلّم». ^٢

وعن أبي وائل، عن عبد الله: أنَّه لَبِّيَ عَلَى الصَّفَا، ثُمَّ قَالَ: يَا لِسَانُكُلُّ حَيْرًا تَغْنِمُ أَوْ اصْمُتْ تَسْلَمُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا شَيْءٌ تَعْوُلُهُ أَوْ سَمِعْتَهُ قَالَ: لَا، بَلْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَكْثَرَ حَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ». ^٣

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَقَامُ الرَّجُلِ لِلصَّمْتِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً». ^٤

وقال محمد بن يزيد بن حنيس المكي: دخلنا على سفيان الثوري بمحكمة تعوده في دار العطارين، فدخل عليه سعيد بن حسان المخزومي يعوده، فقال له سفيان الحديث الذي كنت حدثته، عن أم صالح ارددته علىي، فقال: حدثتني أم صالح بنت صالح، عن صفية بنت شيبة، عن أم حبيبة قالت: قال رسول الله ﷺ: "كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمراً معروفاً، أو همياً عن منكر، أو ذكر الله عز وجل".

فقال محمد بن يزيد: "ما أشد هذا الحديث!"

١ - رواه البخاري - كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ حدث: ٣٣٩٥، ومسلم - كتاب الزهد والرائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، حدث: ٥٤٣٦

٢ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حدث: ٤٧١٩، والشهاب القضاعي - رحم الله عبدا قال فغم، حدث: ٥٥١

٣ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حدث: ٤٧١٤، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت - باب حفظ اللسان وفضل الصمت، حدث: ١٨

٤ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حدث: ٤٧٣١

فَقَالَ سُفِيَّاً: "وَمَا شِدَّهَا الْحَدِيثُ؟ إِنَّمَا جَاءَتْ بِهِ امْرَأَةٌ عَنِ امْرَأَةٍ. هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ نَبِيَّكُمْ ﷺ: أَمَّا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ تَجْوِاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١٤]؟ فَهُوَ هَذَا بِعِينِهِ.

أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفَّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مِنْ أَذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النَّبَا: ٣٨]؟ فَهُوَ هَذَا بِعِينِهِ.

أَوْ مَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي حُسْنٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ﴾ [العصر: ٢]؟ فَهُوَ هَذَا بِعِينِهِ.^١

وَعَنِ الْمُغِيْرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَمَ عَلَيْكُمْ: عُوقَقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَادِ الْبَنَاتِ، وَمَنْعَةِ وَهَاتِ، وَكَرَةِ لَكُمْ ثَلَاثَةٌ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ».^٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَبْدَ يُعْطَى زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَقَلَةً مَنْطِقِي، فَاقْتُبُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلْقِي الْحِكْمَةَ».^٣

وَعَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَتَّابَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَهُوَ يُسَيِّخُ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: "إِمْلَأُهُ الْخَيْرُ عَلَى حَيْرَ أَلِيْسَ حَيْرًا؟" قَالَ: قُلْتُ: بَلِي أَصْلَحَ اللَّهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى تَسْبِيحِهِ، ثُمَّ قَالَ: "وَالسُّكُوتُ حَيْرٌ مِّنْ إِمْلَأِ الشَّرِّ أَلِيْسَ كَذَلِكَ؟" قُلْتُ: بَلِي. ثُمَّ قَالَ: "وَجَلِيسُ الصَّالِحِ حَيْرٌ مِّنَ الْوَحْدَةِ أَلِيْسَ كَذَلِكَ؟" قُلْتُ: بَلِي. قَالَ: "وَالْوَحْدَةُ حَيْرٌ مِّنْ جَلِيسِ السَّوْءِ أَلِيْسَ كَذَلِكَ؟" قُلْتُ: بَلِي.^٤

١ - رواه البيهقي في شعب الإيمان- فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٣٢ ، وابن الأعرابي في معجمه، حديث: ٣٤٠

٢ - رواه البخاري ومسلم، وتقديم تحريرجه.

٣ - رواه البيهقي في الشعب- فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٥٩ ، بسنده ضعيف

٤ - رواه البيهقي في الشعب- فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٦٦

وَعَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: "مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، وَمَنْ كَثَرَ مِرْأَهُ اسْتَخْفَتْ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثَرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقْطُهُ، وَمَنْ كَثَرَ سَقْطُهُ قَلَّ حَيَاةُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاةُهُ قَلَّ وَرَعْهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعْهُ مَاتَ قَلْبُهُ" .^١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَفُضُولُ الْكَلَامِ بِخُسْبِ الرَّجُلِ أَنْ يَبْلُغَ حَاجَتَهُ" .^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: "إِنَّ حَقَّ مَا طَهَرَ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ" .^٣

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: "لَا يَتَّقِيَ اللَّهُ عَبْدُ حَقَّ ثُقَاتِهِ حَتَّى يَخْرُزَ مِنْ لِسَانِهِ" .^٤

وَعَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "ذَرْ مَا لَسْتَ مِنْهُ فِي شَيْءٍ، وَلَا تَنْطِقْ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، وَاحْرِزْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْرُزُ دَرَاهِمَكَ" .^٥

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: "إِنَّ الْكَلَامَ بِسَبْعَةِ أَعْلَاقٍ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ كُتِبَ، وَإِذَا لَمْ يَخْرُجْ لَمْ يُكْتَبِ الْقَلْبُ وَاللَّهَأُ وَاللِّسَانُ وَالْحَنَكَيْنِ وَالشَّفَقَتَيْنِ" .^٦

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: "أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَمَعَهَا نِسْوَةً، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: وَاللَّهِ لَأَذْخُلَنَّ الْجَنَّةَ فَقَدْ أَسْلَمْتُ، وَمَا زَنِيتُ يَوْمًا، وَمَا سَرَقْتُ، فَأَتَيْتُ فِي الْمَنَامِ، فَقِيلَ لَهَا: أَنْتِ الْمُتَأْلِلِيَّةُ لَتَدْخُلِنَّ الْجَنَّةَ كَيْفَ وَأَنْتِ تَبْخَلِينَ بِمَا يَعْنِيكَ، وَتَتَكَلَّمِينَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ؟ فَلَمَّا أَصْبَحْتِ

١ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث: ٢٢٩٩، والبيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث:

٤٧٦٨

٢ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٧٢

٣ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٧٦

٤ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث: ٥٧١٧، والبيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث:

٤٧٧٨، ورواه أحمد في كتاب الرهد - حديث: ١١٧٤

٥ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨١

٦ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨٢

الْمَرْأَةُ دَخَلتْ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَأَخْبَرَتْهَا إِمَّا رَأَتْ، وَقَالَتِ: اجْمَعِي النِّسْوَةَ الَّتِي كُنْتِ عِنْدَكِ حِينَ قُلْتِ مَا قُلْتِ. فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ عَائِشَةَ فَجِئْنَ، فَحَدَّثْتُهُنَّ الْمَرْأَةُ إِمَّا رَأَتْ فِي الْمَنَامِ ۖ ۱.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قُتِلَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ شَهِيدًا، فَبَكَتْ بِاَكِيهَةَ، فَقَالَتْ: وَاسْهِيَدَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ رضي الله عنه: "مَا يُدْرِيكِ أَنَّهُ شَهِيدٌ فَلَعْلَهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، أَوْ يَبْحَلُ بِفَضْلِ مَا يَعْنِيهِ" ۲.

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ، قَالَ: خَرَجَ جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَخَرَجَ مَعَهُ رِجَالٌ مِنْ إِخْرَانِهِ يُشَيْعِونَهُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ حِصْنَ الْمَسَاكِينِ، قَالُوا لَهُ: أَوْصِنَا، قَالَ: "أَلَا لَا تُدْخِلُوا هَذَا حَبِيشًا؟ وَأَوْيَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ، وَلَا تُخْرِجُوهُ مِنْهُ حَبِيشًا، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يُتَبَّعُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ" ، قَالُوا لَهُ: أَوْصِنَا، قَالَ: "أَلَا وَلَا يَكُونُنَّ بَيْنَ أَحَدَكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بَعْدَمَا أَبْصَرَ بِاَبَاهَا مِلْءُ كَفِّ مِنْ دَمِ مُسْلِمٍ أَهْرَاقَهُ" ۳.

وَعَنْ عَمْرَةَ قَالَتْ: قَالَتْ لِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "يَا بُنْيَةُ لَا تَكَلَّمِي بِالشَّيْءِ الَّذِي إِذَا عُرِفَتِ بِهِ تَعَذَّرْتِ، فَإِنَّهُ لَا يُتَعَذَّرُ إِلَّا مِنَ الْقَبِيحِ" ۴.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: "مَنْ لَمْ يَعْدَ كَالَّمَةً مِنْ عَمَلِهِ كَثُرْتْ حَطَّا يَاهُ، وَمَنْ عَمِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ" ۵.

وَقَالَ الْقَعْنَيُّ، قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، أَنَّهُ بَلَغَهُ: "أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ: لَا تُكْنِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَتَفَسُّوا قُلُوبُكُمْ، فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ، وَلَا تَنْظُرُونَ فِي ذُنُوبِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابُ، انْظُرُوا فِيهَا كَأَنَّكُمْ عُبِيدٌ، فَإِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَدَأٌ وَمُعَاوِفٌ، فَارْحَمُوهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَاحْمَدُوهُ اللَّهُ عَلَى الْعَافِيَةِ" ۶.

١ - رواه البيهقي في الشعب- فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨٣، بسنده ضعيف

٢ - رواه البيهقي في الشعب- فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨٤، بسنده صحيح

٣ - رواه البيهقي في الشعب- فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨٥

٤ - رواه البيهقي في الشعب- فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨٦

٥ - رواه البيهقي في الشعب- فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٩٤

٦ - رواه مالك في الموطأ- كتاب الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله، حديث: ١٧٩٧

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ: سَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ عَنِ الْعِبَادَةِ، فَقَالَ: "رَأْسُ الْعِبَادَةِ التَّفْكُرُ وَالصَّمْتُ إِلَّا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي حَرْفٌ عَنْ لُقْمَانَ قَالَ: قِيلَ لَهُ: يَا لُقْمَانُ مَا بَلَغَ مِنْ حِكْمَتِكَ؟ قَالَ: لَا أَسْأَلُ عَمَّا قَدْ كُفِيتُ، وَلَا أَتَكَلَّفُ مَا لَا يَعْنِي، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ بَشَّارٍ، إِنَّمَا يَتَبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَصْمُتَ أَوْ يَتَكَلَّمَ إِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ مِنْ مَوْعِظَةٍ أَوْ تَنِيهٍ أَوْ تَحْوِيفٍ أَوْ تَخْذِيرٍ".^١

وَقَالَ الْحَسَنُ رَحْمَةُ اللَّهِ: "كُنَّا فِي أَفْوَامِ يَنْفَعُونَ أَوْرَاقَهُمْ وَيُخَزِّنُونَ أَسْنَاتُهُمْ، وَإِنَّا بَقِينَا فِي أَفْوَامِ يُرْسِلُونَ أَسْنَاتُهُمْ، وَيُخَزِّنُونَ أَوْرَاقَهُمْ".^٢

وَقَالَ مُورِّقُ الْعِجْلِيُّ: "أَمْرَأُنَا فِي طَلَبِهِ مُنْدُ عِشْرِينَ سَنَةً لَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ وَلَسْتُ بِتَارِيكَ طَلَبَةً أَبَدًا" قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْمُعْتَمِرِ؟ قَالَ: "الصَّمْتُ عَمَّا لَا يَعْنِي".^٣

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرٍ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: اجْتَمَعْنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَسْجِدٍ فَمَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا تَكَلَّمَ إِلَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ فَإِنَّهُ سَاكِنٌ فَقُلْتُ: لَمْ لَا تَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ: "الْكَلَامُ يُظْهِرُ حُقُقَ الْأَحْمَقِ وَعَقْلَ الْعَاقِلِ فَقُلْتُ: لَا تَتَكَلَّمُ إِذَا كَانَ هَكَذَا الْكَلَامُ! فَقَالَ: إِذَا اغْتَمَمْتَ بِالسُّكُوتِ فَتَذَكَّرُ سَلَامَتَكَ مِنْ زَلَلِ الْلِّسَانِ".^٤

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ، قَالَ: «كَانَ يُقَالُ لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَى إِبْنِي سَعِيدٍ مِنَ الْعَالَمِ الْحَلِيمِ، إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِعِلْمٍ وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِحَلْمٍ».^٥

١ - رواه البيهقي في الشعب- فضل السكوت عن كل ما لا يعني، حديث: ٤٧٩٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء- حديث:

١١٣٢٠

٢ - رواه البيهقي في الشعب- فضل السكوت عن كل ما لا يعني، حديث: ٤٨٠٣

٣ - رواه ابن أبي شيبة- كتاب الزهد، ما ذكر في زهد الأنبياء وكلامهم عليهم السلام، مطرف بن الشخير، حديث: ٣٤٤٧٤ وأحمد بن حنبل في الزهد- أخبار مورق العجلاني رحمه الله تعالى، حديث: ١٧٨٠، والبيهقي في الشعب- فضل السكوت عن كل ما لا يعني، حديث: ٤٨٠٤

٤ - رواه أبو نعيم في حلية- حديث: ١١٣٣٢

٥ - رواه أبو نعيم في حلية- حديث: ١١٣٦١

وصدق القائل:

لسانُ المرءِ ينجيُهُ عن حِجَاهٍ **** وعيِّيَ المرءُ يسْتَرُهُ السُّكُوتُ

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ)

حدُّ القَذْفِ:

القَذْفُ والرمي معناه أن يسب إنسانٌ مسلماً عفيفاً بالرني، وقيل له رمي وقَذْفٌ؛ لأن فيه إيذاء للغير هو أشد وأبلغ من الإيذاء برمي السهام والرماح.

كما قيل:

وَقَدْ يُرجَى لِجُرْحِ السَّيْفِ بُرْءٌ * * * * * وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

وقيل:

جَرَاحَاتُ السِّيَانِ هَلَا الْبِئَامُ * * * * * وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

حُكْمُ قَذْفِ الرَّجَالِ:

قال القرطي: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ حُكْمَ الْمُحْصَنَاتِ فِي الْقَذْفِ كَحُكْمِ الْمُحْصَنَاتِ قِيَاسًا واستنْدَلًا.

قالوا: وهذا نحو نصه تعالى على تحريم لحم الخنزير، ودخل شحمه وغضاريفه في التحريم بالإجماع.^١

وأما قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ فقد قيل: إن المعنى: والأنفس الحصنات، فهي بلفظها تعم الرجال والنساء، ويدل على ذلك قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^٢.

وقال قوم: أراد بالمحصنات الفروج، كما قال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَخْصَتْ فَرْجَهَا﴾.

١ - تفسير القرطي (١٢ / ٢٠٩)

٢ - سورة النساء: الآية / ٢٤

فيدخل فيه فروج الرجال والنساء.

أنواع القذف:

القذف نوعان:

١ - قذف بالفاظ صريحة.

٢ - قذف بالفاظ فيها تعريض بالمخاطر.

حُكْمُ التصریح بالقذف.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنْ مُثَانِيْنَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبِلُوا لَهُنْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَأْبُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْنَلُوهُنَا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.^١

رتب الله تعالى على القذف أحكاماً ثلاثة:

أحدها: أن يجعل القاذف ثمانين جلدة.

الثاني: أنه ترد شهادته دائمًا.

الثالث: أن يحكم عليه بالفسق.

حكم التعريض بالزنا في القذف:

اتفق العلماء على أنه إذا صرخ بالزني كان قذفاً ورمياً موجباً للحد، فإن عرض ولم يصرخ فقال مالك: هو قذف.

ومثال التعريض أن يقول: ما أمري بزانية، ولا أبي بزان.

وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا يكون قذفاً حتى يقول أردت به القذف.

٣ - سورة الأنبياء: الآية / ٩١

٤ - سورة النور: الآية / ٤ ، ٥

وقال مالك: حكم التعريض مثل حكم التصریح، والدلیل لما قاله هو أن موضوع الحد في القذف إنما هو لإزالة المرة التي أوقعها القاذف بالمقذوف، فإذا حصلت المرة بالتعريض وجب أن يكون قذفاً كالتصريح، والمعول على الفهم، وقد قال تعالى مخبراً عن شعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾^١.

أي السفهه الضال، فعرضوا له بالسب بكلام ظاهر المدح في أحد التأويلاط.

وقال تعالى في أبي جهل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^٢.

وقال حکایة عن مريم: ﴿يَا أَخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾^٣.

فمدحوا أباها ونفوا عن أمها البغاء أي الزنى، وعرضوا لمريم بذلك، ولذلك قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾^٤.

وكفرهم معروف، والبهتان العظيم هو التعريض لها، أي ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً، أي أنت بخلافهما وقد أتيت بهذا الولد.

وقد حبس عمر^{رض} الحطينةَ لَمَّا قالَ:

* * * * * دَعِ الْمَكَارَمْ لَا تَرْحَلْ لِيُعْيِنَهَا وَاقْعُدْ فِإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

لأنه شبهه بالسباء في أنهن يطعمون ويستقيون ويكسون.

١ - سورة هود: الآية / ٨٧

٢ - سورة الدخان: الآية / ٤٩

٣ - سورة مريم: الآية / ٢٨

٤ - سورة النساء: الآية / ١٥٦

حكم قذف المملوك والخدم:

ربما يتواهيل بعض الناس في قذف خادمه أو مملوكه ويظن أنه لن يحاسب على ذلك وقد حذر النبي ﷺ من ذلك أشد التحذير فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت أبا القاسم عليهما السلام يقول: «من قذف مملوكه وهو بريء به مما قال، جلدة يوم القيمة، إلا أن يكون كما قال».١

حكم النائب بعد القذف:

فإذا تاب القاذف بعد الحد فهل تقبل شهادته ويرتفع فسقه؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

الأول: إذا تاب قبلت شهادته، وارتفاع عنه حكم الفسق.

وهو قول مالك والشافعي وأحمد واستدلوا بقول الله تعالى: «إِلَّا الَّذِينَ تَأْبُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» .٢

عن حصين قال: رأيت رجلاً جلدة حدا في قذف بالريبة فلما فرغ من ضربه أخذت توبه قال أستغفر الله وأتوب إليه من قذف المحسنات فلقيت أبا الزناد فأخبرته بذلك فقال لي: الأمر عندنا إذا رجع عن قوله واستغفر ربه قيلت شهادته .٣

الثاني: أن الفسق يرتفع بالتوبة، ولكنها يبقى مردود الشهادة أبداً. وهو قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله، قال: إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط، فيرتفع الفسق بالتوبة، ويبقى مردود الشهادة أبداً. ومن

١ - رواه البخاري - كتاب الحدود، باب قذف العبيد، حدیث: ٦٤٨٠، ومسلم - كتاب الأيمان، باب التغليظ على من قذف مملوكه بالزنا، حدیث: ٣٢٢٣

٢ - سورة النور: الآية / ٥

٣ - رواه البخاري - كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف والسارق والزاني، والبيهقي - كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف، حدیث: ١٩١٢٨

ذهب إليه من السلف القاضي شريح، وإبراهيم التخعي، وسعيد بن جبير، ومكحول، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقال الشعبي والضحاك: لا تقبل شهادته وإن تاب، إلا أن يعترف على نفسه بأنه قد قال البهتان، فحينئذ تقبل شهادته، والله أعلم.

قذف المحسنات من الذنب الموبقات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا يا رسول الله، وما هنَّ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقدف المحسنات المؤمنات الغافلات».^١

قال النووي: وأمّا (الموبقات) فهي المهلّكات يُقال: وبقي الرجل يفتح البناء وييق بكسيرها، وويق يضم الواو وكسر البناء يُويق: إذا هلك. وأويق غيره أي أهلكه. وأمّا (المحسنات الغافلات) فكسير الصاد وفتحها قراءتان في السبع: قرأ الكسائي بالكسير، والباقيون بالفتح، والمراد بالمحسنات هنا العفائف، وبالغافلات الغافلات عن القوائح، وما قذف به. وقد ورد الإحصان في الشرع على خمسة أقسام: العفة، والإسلام، والنكاح، والتزويج، والحرمة.^٢

قذف المحسنات حرم في سائر الشرائع:

عن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: قال يهودي لصاحب اذهب بنا إلى هذا النبي. قال له صاحبه لا تغلنني لو سمعك كان لك أربعة أعين. فأتيا رسول الله صلوات الله عليه وسألوه عن تسعة آياتٍ بتنازل فقال لهم: «لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقو ولا ترثوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشو بيريء إلى ذي سلطان ولا تسحرموا ولا تأكلوا الربا ولا تقدفو المحسنة ولا تولوا يوم الزحف وعليكم حاصنة يهود أن لا

١ - رواه البخاري - كتاب المحدود، باب رمي المحسنات - حديث: ٦٤٧٩، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها -

الحديث: ١٥٤

٢ - شرح النووي على مسلم (١٩٢ / ١)

تَعْدُوا فِي السَّبَّتِ». فَقَبَّلُوا يَدَيْهِ وَرْجُلَيْهِ وَقَالُوا نَشْهُدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ. قَالَ: «فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي». قَالُوا إِنَّ دَاؤَدَ دَعَا بِأَنْ لَا يَرَأَ مِنْ ذُرَيْتِهِ نَبِيًّا وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ اتَّبَعْنَاكَ أَنْ تَقْتَلَنَا يَهُودًا.

وقوله في الحديث: (كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ). قال التوربشي: "أي لسر بقولك سروراً يزداد به نوراً إلى نوره، كذبي عينين أصبح يبصر بأربع".

وقال الطيب: "هو كنایة عن السرور المضاعف؛ لأنهم يكنون عن السرور بقرة العين".^٢

قول النبي ﷺ: «وَلَا تَقْذِفُوا الْمُحْسَنَةَ» مع قوله ﷺ: «وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً يَهُودٌ أَنْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبَّتِ». يدل على أن قذف المحسنات حرام على اليهود كما هو حرم على هذه الأمة.

قذف المحسنة يهدى عمل مائة سنة:

من خطر قذف المحسنة أنه يهدى عمل مائة سنة وهذا يدل على خطر هذا الذنب وقبع هذه المعصية فعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ قَذْفَ الْمُحْسَنَةِ يَهُدِّمُ عَمَلَ مِائَةِ سَنَةٍ».^٣

قال المناوي: أي يحيط من الأعمال الحسية التي قدمها القاذف عمل مئة سنة بفرض أنه عمر وتعبد مئة عام وهذا تغليظ شديد وتحث عظيم على حفظ اللسان عن ذلك والظاهر أن المراد بمائة التكثير لا التحديد قياسا على نظائره المارة ومن هذا الوعيد الشديد أخذ أنه كبيرة.^٤

وعن عطاء، قال: إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمُ فِي غَضَبِهِ بِكُلِّمَةٍ، يَهُدِّمُ بِهَا عَمَلَ سَتِينَ سَنَةً، أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً.^٥

١ - رواه أحمد، حديث: ١٧٧٧٥، والترمذى - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة نبى إسرائيل، حديث: ٣١٥٢، والمسائى في السنن الكبرى - كتاب تحريم الدم، باب السحر، حديث: ٣٤١٩، بسند ضعيف

٢ - قوت المعتذى على جامع الترمذى (٦٩٤ / ٢)

٣ - رواه الطبراني في الكبير - حديث: ٢٩٥٣، والخرائطي في مساوى الأخلاق - باب ما يذكر من قذف المحسنات، حديث: ٧٠٣، بسند ضعيف

٤ - فيض القدير (٤٧٤ / ٢)

٥ - فتح الباري لابن رجب (١٨٤ / ١)

قذف المحسنة أقبح من الربا ومن الزنا:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل امهه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم». ^١

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أربى الربا استطاله المرء في عرض أخيه». ^٢

قذف المحسنات يوجب الطرد من رحمة الله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْسَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفَّقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾. ^٣

قذف المحسنات يصل في بعض الأحيان إلى الكفر بالله تعالى:

بعض المنتسبين إلى الإسلام زوراً وبهتانًا، يحملهم الحقد وعداوة هذا الدين على رمي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها، يحملهم عدائهم للدين على رميها بالفاحشة، وهذا كفر لأنه تكذيب لتصريح القرآن.

قال ابن كثير رحمة الله: فآمَّهَتُ الْمُؤْمِنَينَ أَوْلَى بِالدُّخُولِ فِي هَذَا مِنْ كُلِّ مُحَسَّنَةٍ، وَلَا سِيمَاءُ الَّتِي كَانَتْ سَبَبَ النُّزُولِ، وَهِيَ عَائِشَةُ بِنْتُ الصَّدِيقِ.

وقد أجمع العلماء، رحمة الله، قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورمها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنَّه معاذل للفرقان. ^٤

١ - رواه البيهقي في الشعب - حديث: ٥٢٦١، والحاكم في المستدرك - كتاب البيوع، حديث: ٢٢٠٠، بسنده صحيح

٢ - رواه أبو داود - كتاب الأدب، باب في الغيبة، حديث: ٤٢٥٤، والبزار - حديث: ١١٢٦، بسنده صحيح

٣ - سورة النور: الآية / ٢٣ : ٢٥

٤ - تفسير ابن كثير (٦ / ٣٢)

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الْيَمِينُ الْغَمُوسُ)

من الآفات التي يقع فيها بعض الناس الحلف على أمر هو يعلم أنه فيه كاذب وهذا هو **الْيَمِينُ الْغَمُوسُ**، **وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ** سميت بذلك، لأنها تغمض صاحبها في الإثم ثم في النار عيادة بالله، ولا كفارة فيها؛ لأنها يمين غير منعقدة، ولأن المتعقد ما يمكن حله ولا يتأتى في اليمين الغموس البر أصلًا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثُمَّ نَأْلَمُهُمْ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .^١

وجوب حفظ اليمين:

قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيَكُمْ أَوْ كِسْوَتِهِمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَقْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .^٢

الْيَمِينُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

الأول الْيَمِينُ الْلَّغْوِ:

وهي: اليمين التي تجري على لسان الحالف بغير قصد الحلف كقوله في أثناء كلامه: (لا والله، وبلى والله).

قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيلٌ﴾ .^٣

١ - سورة آل عمران: الآية/ ٧٧

٢ - سورة المائدة: الآية/ ٨٩

٣ - سورة البقرة: الآية/ ٢٢٥

وَالثَّانِي الْيَمِينُ الْمُنْعَقِدَةُ:

وهي: اليمين التي قصد عقدها على أمر مستقبل ممكن.

وَعَفْدُ الْيَمِينِ مَا التَّرَمَ فِعْلًا مُسْتَقْبَلًا يَتَرَدَّدُ بَيْنَ حَنْثٍ وَبِرٍّ، فَخَرَجَتِ الْيَمِينُ الْعَمُوسُ مِنَ الْأَيْمَانِ الْمَعْقُودَةِ، فَلَمْ يَلْزِمْ إِلَيْهَا كَفَارَةً.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكُنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيَكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^١.

وَالثَّالِثُ الْيَمِينُ الْعَمُوسُ:

وهي: أن يخلف على أمر ماضٍ كاذبًا عالِمًا.

وَسَمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَعْمِسُ صَاحِبَهَا فِي الْإِثْمِ أَوْ فِي النَّارِ وَهِيَ مِنَ الْكَبَائِرِ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوْتِهَا وَتَدُوْقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^٢.

ومعنى دَخَلًا أي مَكْرَهًا وَخِيَانَةً.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ هُلْ فِيهَا كَفَارَةٌ أَمْ لَا عَلَى قَوْلِيْنِ:

الأول: فِيهَا كَفَارَةٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ الآية. وَلَأَنَّهُ حَلَفَ بِاللهِ وَهُوَ مُخْتَارٌ كَاذِبٌ فَصَارَ كَمَا لَوْ حَلَفَ عَلَى مُسْتَقْبَلٍ وَالْإِثْمُ لَا يَنْعَمُ وُجُوبَهَا كَمَا فِي الظِّهَارِ وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَالْأَوَّلِ وَرَاعِيِّيِّ.

١ - سورة المائدة: الآية / ٨٩

٢ - سورة النحل: الآية / ٩٢

والثاني: ليس فيها كفارة. وقال به أبو حنيفة ومالك، وسفيان الثوري، والليث بن سعيد، وأحمد، وإسحاق، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾.^١

كراهية كثرة الحلف:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعِنُ كُلَّ حَلَافٍ مَهِينٍ﴾.^٢

قال ابن كثير رحمة الله: وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسماء الله تعالى، واستعمالها في كل وقت في غير محلها.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْفَضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ عَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ فُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أُرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَنْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيَسْتَنِنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.^٣

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَخَذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ فَتَنِلُّ قَدَمً بَعْدَ ثُبُوكِهَا وَتَدُوْقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.^٤

قال ابن كثير رحمة الله: حذر تعالى عباده عن اتخاذ الأيمان دخلاً أي خديعةً ومكرًا، لئلا تزل قدماً بعد ثبوتها: مثل لمن كان على الإستقامة فحاد عنها وزل عن طريق الهدى، بسبب الأيمان الحانقة المشتملة على الصد عن سبيل الله؛ لأن الكافر إذا رأى أن المؤمن قد عاهده ثم غدر به، لم ييق له وثيق بالدين، فانصد بسببه عن الدخول في الإسلام؛ وهذا قال: ﴿وَتَدُوْقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.^٥

١ - سورة المائدة: الآية / ٨٩

٢ - سورة القلم: الآية / ١٠

٣ - سورة النحل: الآية / ٩١، ٩٢

٤ - سورة النحل: الآية / ٩٤

٥ - تفسير ابن كثير (٤ / ٦٠٠)

الْيَمِينُ الْغَمْوُسُ سَبَبُ الْفَقْرِ:

الْيَمِينُ الْغَمْوُسُ تُسَبِّبُ الْفَقْرَ، وَتَحْقِيقُ الْبَرَكَةِ، وَتُنْدِهِبُ الْمَالَ؛ فَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تُنْدِهِبُ الْمَالَ أَوْ تَنْدِهِبُ بِالْمَالِ».١

الْيَمِينُ الْغَمْوُسُ سَبَبُ الْعُقْمِ:

الْيَمِينُ الْغَمْوُسُ يَمِينٌ فَاجِرَةٌ تُسَبِّبُ الْعُقْمِ وَتَقْطَعُ النِّسْلَ؛ فَعَنْ أَبِي سُودٍ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ الَّتِي يَقْتَطِعُ بِهَا الرَّجُلُ مَالُ الْمُسْلِمِ تَعْقِيمُ الرَّحْمِ».٢

الْيَمِينُ الْغَمْوُسُ سَبَبُ ظُلْمِ الْقَلْبِ:

وَالْيَمِينُ الْغَمْوُسُ سَبَبُ ظُلْمِ الْقَلْبِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ الْجَهْنَمِ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ الشَّرُكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَالْيَمِينُ الْغَمْوُسُ وَمَا حَلَفَ حَالِفٌ بِاللَّهِ يَمِينَ صَبِرٌ فَأَدْخَلَ فِيهَا مِثْلَ جَنَاحِ بَعْوَذَةٍ إِلَّا جَعَلَتْ نُكْتَةً فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».٣
قَوْلُهُ: «يَمِينٌ صَبِرٌ». أَيْ أُلْزِمَ بِهَا وَحْسِنَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ لَازِمَةً لِصَاحِبِهَا مِنْ جَهَةِ الْحُكْمِ.

الْيَمِينُ الْغَمْوُسُ لَا كَفَارَةَ لَهَا:

يتوهم بعض الناس أن الْيَمِينَ الْغَمْوُسَ لَهَا كَفَارَةٌ المنعقدة فلو أنه أطعم عشرة مساكين أو صام ثلاثة أيام أن ذلك يرفع عنه إثم هذه الْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ وهذا فهم خاطئ واعتقاد باطل بل الْيَمِينُ الْغَمْوُسُ لَا كَفَارَةَ لَهَا؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَدَى زَكَاةً مَالِهِ

١ - رواه البزار - حديث: ٩٢٢، بسنده حسن

٢ - رواه أحمد - حديث: ٢٠٢٤٤، وابن أبي عاصم في الأحاديث والمتناين، حديث: ١٠٩٤، وفيه رجل لم يسم

٣ - رواه أَحْمَدُ - حديث: ١٥٧٥٢، وَالْتَّمِذِي - كتاب تفسير القرآن - باب ومن سورة النساء حديث: ٣٠٢٩، والحاكم في المستدرك - كتاب الأيمان والنذور، حديث: ٧٨٧٦، بسنده صحيح

طيباً بِهَا نَفْسُهُ مُخْتَسِبًا وَسَمِعَ وَأَطَاعَ فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ وَخَمْسٌ لَيْسَ هُنَّ كَفَارَةَ الشَّرِكِ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَتْلُ النَّفْسِ بِعَيْرِ حَقٍّ أَوْ هَبُّ مُؤْمِنٍ أَوْ الْفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ أَوْ يَمِينٌ صَابِرٌ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالًا بِعَيْرِ حَقٍّ».^١

اليمن العموس إحدى الكبائر:

واليمين العموس كبيرة من الكبائر بل إن النبي ﷺ قرناها بأكبر الكبائر، قرناها بالإشراك بِالله، وعقوبته الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق فعن عبد الله بن عمرو عليه قال جاء أعرابياً إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الكبائر قال: «الإشراك بِالله». قال ثم ماذا قال: «ثم عقوبة الوالدين». قال ثم ماذا قال: «اليمين العموس». قلت: وما اليمين العموس قال: «الذى يقتطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب».^٢

وعن عبد الله بن عمرو عليه عن النبي ﷺ قال: «الكبائر الإشراك بِالله، وعقوبة الوالدين، وقتل النفس، واليمين العموس».^٣

اليمن العموس سبب إعراض الله تعالى عن العبد يوم القيمة:

واليمين العموس سبب إعراض الله تعالى عن العبد يوم القيمة وهذا عالم على سخط الله تعالى نعوذ بالله من سخطه فعن علقة بن وائل عن أبيه عليهما السلام قال: جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة إلى النبي ﷺ فقال الحضرمي: يا رسول الله إن هذا قد غلبني على أرض لي كانت لأبي. فقال الكندي هي أرضي في يدي أزرعها ليس لها فيها حق. فقال رسول الله ﷺ للحضرمي: «ألك بيته». قال لا. قال: «فلكلك بيته». قال يا رسول الله إن الرجل فاجر لا يبالي على ما حلف عليه وليس يتورع من شيء. فقال: «ليس لك منه إلا ذلك» فانطلق ليختلف فقال رسول الله ﷺ لمما أذبر: «أما لئن حلف على ماله ليأكله ظلماً ليلقين الله وهو عنه معرض».^٤

١ - رواه أحمد - حديث: ٨٥٥٦، بسنده حسن لغيره

٢ - رواه البخاري - كتاب استتابة المرتدین والمعاندین وقائهم، باب إثم من أشرك بالله، حديث: ٦٥٣٨

٣ - رواه البخاري - كتاب الأمان والنذور باب اليمين العموس، حديث: ٦٣٠٩

٤ - مسلم - كتاب الإيمان، باب وعيid من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، حديث: ٢٢٥

قال النووي رحمة الله: قوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ هُوَ فِيهَا فَاجْرٌ لِيَقْتَطِعَ» فالتفقيه بِكُونِه فاجراً
لَا بُدَّ مِنْهُ وَمَعْنَاهُ هُوَ آثِمٌ وَلَا يَكُونُ آثِمًا إِلَّا إِذَا كَانَ مُتَعَمِّدًا عَالِمًا بِأَنَّهُ غَيْرُ مُحِقٍّ.

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ حِرْمَانِ الْجَنَّةِ:

وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ الْحِرْمَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ فِعْنَ أَبِي أُمَّامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ: «مَنْ افْتَطَعَ حَقًّا امْرِئٌ مُسْلِمٌ بِيَمِينِهِ، فَقُدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضَيْبًا مِنْ أَرَاكِ».

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ سَخْطِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ:

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ سَخْطِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ فِعْنَ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «شَاهَدَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءِ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايْعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَاهُ، إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفِي لَهُ، وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ يُبَايِعُ رَجُلًا بِسُلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطَى إِلَيْهِ كَذَّا وَكَذَّا فَصَدَّقَهُ، فَأَخْذَهَا، وَمَمْ يُعْطَى إِلَيْهَا». ٣

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَا مَالَ امْرِئٍ، هُوَ عَلَيْهَا فَاجْرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثُمَّ نَأْمَلُهُمْ قَلِيلًا» الآية. ٤

١ - شرح النووي على مسلم (٢/١٦٢)

٢ - رواه أحْمَدُ - حديث: ٢٣٤٥٠، وابن ماجه - كتاب الأحكام، باب من حلف على يمين فاجرة ليقطنطع بما مالاً، حديث:

٢٣٢١، بسنده صحيح

٣ - رواه البخاري - كتاب الشهادات، باب اليمين بعد العصر، حديث: ٢٥٤٨، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان غلط تحريم إسبال الإزار، حديث: ١٨٢

٤ - رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا، حديث: ٤٢٨٤ ومسلم - كتاب الإيمان، باب وعيد من افقطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، حديث: ٢٢٢

قال الشوكاني رحمة الله: هذا وعيد شديد لأن غضب الله سبب لأنتقامه وانتقامه بالنار، فالغضب منه عز وجل يستلزم دخول المغضوب عليه النار.^١

وقال الشعبي في قول الله تعالى: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾، هو اليمين الغموس.

١ - نيل الأوطار (٣٤٨ / ٨)

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(السَّبُّ وَاللَّعْنُ)

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ الَّتِي يَقْعُدُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى السَّبُّ وَاللَّعْنُ، وَمِنْ خَطَرِ هَذِهِ الْآفَةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَنَّهَا تَوْجِبُ لَهُ الْفَسْقَ، وَتَمْنَعُهُ مِنِ الشَّهادَةِ وَالشَّفاعةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا كَانَ هَذَا اللَّعْنُ لِمُؤْمِنٍ كَانَ إِثْمُهُ كَفْتُلَهُ، وَهُوَ كَبِيرٌ مِنَ الْكَبَائِرِ لَا سِيمَا إِذَا تَعْلَقَ بِالْوَالِدَيْنِ كَمَا سِيَّأَتِي بِبِيَانِهِ، وَهَذِهِ دَلَائِلٌ خَطَرَ السَّبُّ وَاللَّعْنُ عَلَى مَنْ يَتَصَفُّ بِهَذِهِ الصَّفَةِ الْقَبِيحةِ.

لَا يَكُونُ الْلَّعَانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

مِنْ خَطَرِ اللَّعْنِ أَنَّ مَنْ يَتَصَفُّ بِذَلِكَ فَكَانَ لَعَانًا، لَا يَشْفُعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُسْتَشْهَدُ.

فَعْنُ رَبِيدٌ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكَ بْنَ مَرْوَانَ بَعَثَ إِلَيْهِ أُمَّ الدَّرْدَاءِ بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتُ لَيْلَةٍ قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ الْلَّيْلِ فَدَعَا حَادِمَهُ فَكَانَهُ أَبْطَأً عَلَيْهِ فَلَعْنَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: سَعِينْتُكَ الْلَّيْلَةَ لَعْنَتَ حَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ. فَقَالَتْ سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ الْلَّعَانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».^١

سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقُ:

مِنْ خَطَرِ السَّبُّ وَالشَّتَمِ كَذَلِكَ، أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْفَسْقِ، وَالْفَسْقُ هُوَ الْخَرْجُ مِنِ الدِّينِ، يُقَالُ فَسَقْتُ الرَّطْبَةَ إِذَا خَرَجْتُ عَنْ قِشْرَتِهَا، وَسِبَابُ الْمُسْلِمِ خَرْجُ مِنِ الدِّينِ لِأَنَّ الدِّينَ أَمْرٌ بِمَرْاعَاةِ حِرْمَةِ الْمُسْلِمِ فِي دَمِهِ وَمَالِهِ وَعَرْضِهِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ».^٢

فَعْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقَتْلَهُ كُفْرٌ».^٣

١ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حدیث: ٤٨٠٨

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم ظلم المسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه حدیث: ٤٧٥٦

٣ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعنة، حدیث: ٥٧٠٤، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي رضي الله عنه:

"سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ" ، حدیث: ١٢٢

لعن المؤمن كقتله:

ومن خطر اللعن كذلك أن النبي ﷺ ساوي بين لعن المؤمن وقتلته، والنبي ﷺ لا يعرف المبالغة إذا قال شيئاً فإنه يعني هذا الذي قاله تماماً، وإذا علمت أن أعظم عقاب ورد في كتاب الله تعالى هو عقاب قاتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ حَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعْدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^١.

عن ثابت بن الصحاح رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لعن المؤمن كقتله ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذاب به في الآخرة وليس على رجل مسلم نذر فيما لا يملك ومن رمى مؤمناً بغير فهو كقتله ومن حلف يملة سوى الإسلام كاذباً فهو كما قال»^٢.

إذا لعن العبد مؤمناً فكانه قتله تماماً كما قال النبي ﷺ وذلك معناه أن إثم اللعن كإثم القتل تماماً، وهذا هو الأظهر وهو الذي يفهم بداهة من الحديث، وقيل: إنه محرم كما أن القتل محرم وأقول لو كان المقصود بيان حرمة اللعن فليس لتخصيص القتل بالذكر وجده؛ فإن سلب مال المؤمن محرم والطعن في عرضه محرم، وغض الشتم محرم، وهكذا غيرها من المحرمات فلماذا ذكر النبي ﷺ القتل من بين هذه المحرمات؟ فلم يبق إلا أن يقال: إن لعن المؤمن له نفس درجة القتل من الخطر والإثم، وأما قول بعض العلماء إن اللعن ليس مثل القتل في الإثم، نقول أخير النبي ﷺ أنه مثله في قوله: «لعن المؤمن كقتله». وأما القول الثالث فهو أبعد من هذا وهو قوله: (من لعن مؤمناً فقد أفقدتهم منافعه) وهذا مردود لأن اللعن محرم سواء ترتب على هذا اللعن أثر أم لا.

قال ابن بطال: فيه تأويلان. قال المهلب: اللعن في اللغة هو الإبعاد، فمن لعن مؤمناً فكانه أخرجه من جماعة الإسلام، فأفقدتهم منافعه وتکثیر عددهم، فكان كمن أفقدتهم منافعه بقتله، ويفسر هذا قوله للذى لعن ناقته: (انزل عنها فقد أجييت دعوتك) فسرحها ولم يتتفع بها أحد بعد ذلك، فأفقد منافعها لما أجيئت دعوته، فكذلك يخشى أن تجاب دعوة اللاعن فيهلك الملعون.

١ - سورة النساء: الآية ٩٣ /

٢ - رواه أحمد - حديث: ١٦٠٩٠ ، والطبراني في الكبير - حديث: ١٣١٧

والتأويل الآخر: أن الله حرم لعن المؤمن كما حرم قتله فهما سواء في التحريم، وهذا يقتضي تحذير لعن المؤمنين والزجر عنه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِحْوَةٌ﴾ فأكد حرمة الإسلام، وشبهها بإخوة النسب، وكذلك معنى قوله: «وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفُرٍ فَهُوَ كَفَّتْلِهِ» يعني في تحريم ذلك عليه والله أعلم.^١

وقال النووي: وقيل معنى: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَفَّتْلِهِ»، في الإثم وهذا أظهر.^٢

مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالدِّيْهِ:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالدِّيْهِ». قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال: «يَسْبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسْبُبُ أَبَاهُ، وَيَسْبُبُ أَمَّهُ».^٣

وعن أبي تميمة - واسمها طريف بنت محالد - عن أبي جرئي جابر بن سليم، قال: رأيت رجلاً يتصدر الناس عن رأيه، لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: عليك السلام يا رسول الله، مررتين، قال: لا تقل: عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت، قل: السلام عليك" قال: قلت: أنت رسول الله؟ قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوه كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوه، أنت لها لك، وإذا كنت بأرض قفراء - أو فلادا - فضل راحتك فدعوه، ردها عليك»، قال: قلت: اعهد إلي، قال: «لا تسب أحداً» قال: فما سببته بعده خرا، ولا عبدا، ولا بعيرا، ولا شاة، قال: «ولا تحررن شيئاً من المعروف، وأن تكلم أحراك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين،

١ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦ / ١٠٤)

٢ - شرح النووي على مسلم (١٦ / ١٤٩)

٣ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه - حديث: ٥٦٣٦، ومسلم - كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، حديث:

١٥٥

وَإِيَّاكَ وَإِسْبَابَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ، وَإِنِّي أَمْرُؤُ شَتَمَكَ وَعَيْرَكَ إِمَّا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرْهُ إِمَّا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ». ^١

وَعَنْ جُرْمُوزِ الْهُجَيْمِيِّ صَاحِبِ الْمُؤْمِنَةِ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي قَالَ: «أُوصِيكَ أَنْ لَا تَكُونَ لَعَانًا». ^٢

الْمُسْتَبَانِ شَيْطَانًا نِيَّهَا تَرَانِ وَيَتَكَادُّ بَانِ:

الْمُسْتَبَانِ يُحرِصُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى إِلْصَاقِ النَّقِيسَةِ بِالْآخِرِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكُ عَنْ طَرِيقِ الْبَهْتَانِ وَالْكَذْبِ، فَيَفْعُلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا فَعْلَ الشَّيْطَانِ مِنْ زَرَعِ الْعَدَاوَةِ وَالْبُغْضَاءِ فِي قَلْبِ الْآخِرِ؛ لِأَنَّهُمَا يَتَقَاوَلَا نِيَّهَا تَرَانِ وَيَتَكَادُّ بَانِ فِي الْقَوْلِ؛ فَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حَمَارٍ صَاحِبِ الْمُؤْمِنَةِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يَسْبُّنِي؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْتَبَانِ شَيْطَانًا نِيَّهَا تَرَانِ وَيَتَكَادُّ بَانِ». ^٣

وَمَعْنَى نِيَّهَا تَرَانِ أَيْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلَامِ الْبَاطِلِ السَّقْطِ مِنَ الْهُنْرِ، بِالْكَسْرِ، وَهُوَ الْبَاطِلُ وَالسَّقْطُ مِنَ الْكَلَامِ.

الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَأَ فَعَلَى الْبَادِيِّ مِنْهُمَا:

مِنْ خَطْرِ السَّبِّ عَلَى صَاحِبِهِ، أَنْ أَنْهُ وَأَثْمُ مِنْ بَادِلِهِ السَّبَابِ، عَلَى مَنْ ابْتَدَأَ السَّبِّ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ صَاحِبِ الْمُؤْمِنَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَأَ فَعَلَى الْبَادِيِّ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ». ^٤

قَالَ النَّوْوَيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّ إِثْمَ السَّبَابِ الْوَاقِعُ مِنْ إِثْنَيْنِ مُخْتَصٌ بِالْبَادِيِّ مِنْهُمَا كُلُّهُ إِلَّا أَنْ يَتَحَاجَزَ الثَّانِي قَدْرَ الْإِنْتِصَارِ، فَيَقُولُ لِلْبَادِيِّ أَكْثَرُ إِمَّا قَالَ لَهُ. ^٥

١ - رواه أحمد - حديث: ١٦٦١٦، وأبو داود - كتاب القياس، باب ما جاء في إسباب الإزار، حديث: ٤٠٨٤، والنسائي - كتاب الرينة، حديث: ٩٣٧١، والبيهقي - كتاب الشهادات، باب شهادة أهل العصبية، حديث: ١٩٦٢٢، بسنده صحيح

٢ - رواه أحمد - حديث: ٢٠١٧٧، والطبراني في الكبير - حديث: ٢١٣٩

٣ - رواه أحمد - حديث: ١٧١٧٢، البخاري في الأدب المفرد - باب المستبان شيطاناً نيهاتران ويتکادبان، حديث: ٤٤٠، بسنده صحيح

٤ - رواه مسلم كتاب البر والصلة والأداب، باب النهي عن السباب، حديث: ٤٧٩٤

٥ - شرح النووي على مسلم (٣٩٨ / ٨)

اللَّعْنُ لَا يَذْهَبُ سُدَى:

من خطر اللعن أنه لا يذهب سدى، بل لابد أن يصيب مقتلاً، فإذا كان الذي لعن أهلاً لهذه اللعنة أصابته، وإنما رجعت إلى قائلها.

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعِنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّغْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُعْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُوْخَاهَا ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُعْلَقُ أَبْوَابُهَا دُوْخَاهَا ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشَمَائِلًا فَإِذَا لَمْ يَجِدْ مَسَايِعًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا».١

حُكْمُ سَبِ الدَّهْرِ:

من خطر السب على صاحبه أن العبد قد يسب شيئاً، هذا السب في حقيقته سب لمسيبه وموجده مثل سب الدهر وسب الريح، فإن سب الدهر سب لما في الدهر من أحداث، خالق هذه الأحداث وموجدها هو الله تعالى؛ لذا أخبر الله تعالى أن في سب الدهر أذى لله تعالى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤْذِنِي أَبْنُ آدَمَ، يَسُبُ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».٢

حُكْمُ سَبِ الْرِّيحِ:

وكذلك سب الريح فيه أذى له تعالى لأنها تجري بأمر الله تعالى، وتأتي بالرحمة والخير، وتأتي أيضاً بالعذاب وكلامها من الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُشَيِّرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتَهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾.٣

١ - رواه أبو داود-كتاب الأدب، باب في اللعن، حدث: ٤٢٨٠، والبيهقي في الشعب-فصل، حدث: ٤٩٢٨، بسنده حسن

٢ - رواه البخاري-كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب وما يهلكنا إلا الدهر الآية، حدث: ٤٥٥٢، مسلم-كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، حدث: ٤٢٦٢

٣ - سورة فاطر: الآية /٩

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّبَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ .^١

وعن أبي بن كعب رض قال: قال رسول الله صل: «لَا تَسْبُوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرُهُونَ فَقُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ حَيْرٍ هَذِهِ الرِّيحَ وَحَيْرٍ مَا فِيهَا وَحَيْرٍ مَا أَمْرَتُ بِهِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أَمْرَتُ بِهِ».^٢

عن أبي هُرَيْرَةَ رض قال: قال رسول الله صل: «لَا تَسْبُوا الرِّيحَ فَإِنَّهَا تَجِيءُ بِالرَّحْمَةِ وَالْعَذَابِ وَلَكُنْ سَلُوا اللَّهَ حَيْرَهَا وَتَعَوَّذُوا بِهِ مِنْ شَرِّهَا».^٣

حُكْمُ لَعْنِ الْحَيَّانِ:

من الأخطاء الشائعة التي يمكن أن يقع فيها المسلم ولا يشعر أنه فعل ما يعاتب عليه، أو يؤخذ من جرائه، لعن حيوان، أو هيمة، أو حتى سيارة إذا رأى ما يكرهه من ذلك، وخطر لعن هذه الأشياء وإن كانت بهذه المثابة يكون لعدة أمور:

الأول: أن في ذلك تعويضاً للسان على الفاحشة.

جلس السبكي بجانب أبيه فمر عليهم كلب فقال له: مر كلب ابن كلب. فقال له أبوه مه! فقال يا أبت أليس كلب ابن كلب؟ فقال له أبوه: ولكن روينا أن عيسى صل مر عليه خنزير فقال مر بسلام فقيل له: أتقول هذا لخنزير؟ فقال: أكره أن أعود لساني الفاحشة.

الثاني: أن اللعن وإن كان لجماد أو حيوان ليس من حال المؤمن، فلا يكون المؤمن لعاناً ولا سباباً، إنما هذا شأن من لا دين عنده، ولا خلق له.

١ - سورة الفرقان: الآية / ٤٨

٢ - رواه الترمذى - كتاب الفتن، باب ما جاء في النهي عن سب الريح، حدث: ٢٢٣٠، والنسائي - كتاب عمل اليوم والليلة، حدث: ١٠٣٥٦ ، بسنده صحيح

٣ - رواه أحمد - حدث: ٧٢٤٩، والنسائي - كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا هاجت الريح، حدث: ١٠٣٥٤ ، بسنده صحيح

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ، وَلَا اللَّعَانِ، وَلَا
الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءُ».^١

الثالث: أن اللعن يلزم هذا الذي رمي باللعن، فقد يستجيب الله تعالى فلا تنفك عنه اللعنة فإذا ظل مصاحباً له كان أقرب ما يكون إلى اللعنة التي تسبب بها.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سرنا مع رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في غزوة بطن بواط وهو يطلب الماجد رضي الله عنه بن عمرو الجوني وكان الناضج يعقبه مناخمسة والسابعة فدارت عقبة رجل من الأنصار على ناضج له فأناحه فركبه ثم بعثه فتلدّن عليه بعض التلدّن فقال له شأ لعنت الله. فقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «من هذا اللاعن بعيره». قال أنا يا رسول الله. قال: «انزل عنه فلا تصحبنا ملعون لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاها فيستجيب لكم».^٢

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال بينما رأى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على نافة فضجّرت فلعنّتها فسمع ذلك رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فقال: «خذلا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة». قال عمران فكأي أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد.^٣

وزار عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صديقا له في أهله يقال له أبو عمير فلم يجد فاستاذن على أهله وسلم فاستسقى قال فبعثت الجارية تجيئه بشراب من الجiran فأبطة فلعنّتها فخرج عبد الله فجاء أبو عمير فقال يا أبي عبد الرحمن ليس مثلك يغار عليه هلا سلمت على أهل أخيك وجلست وأصبت من الشراب قال قد فعلت فأرسلت الخادم فأبطأه إما لم يكن عندهم وإما رغبوا فيما عندهم فأبطأه

١ - رواه أحمد - حديث: ٣٧٢٥، والترمذى - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، باب ما جاء في اللعنة، حديث: ١٩٤٨، وابن حبان - كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان، حديث: ١٩٢، والبيهقي في الشعب - حديث: ٤٩١٥، والطبراني في الكبير - حديث:

١٠٢٨٩، بسنده صحيح

٢ - رواه مسلم - كتاب الزهد والرقاء، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، حديث: ٥٤٤٢

٣ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث: ٤٨٠٥

الحادِم فَلَعْنَتُهَا وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ اللَّعْنَةَ إِلَى مَنْ وُجِّهَتْ إِلَيْهِ فَإِنْ أَصَابَتْ عَلَيْهِ سَبِيلًا أَوْ وَجَدَتْ فِيهِ مَسْلَكًا وَإِلَّا قَالَتْ يَا رَبِّ وُجِّهْتُ إِلَى فُلَانٍ فَلَمْ أَجِدْ عَلَيْهِ سَبِيلًا وَلَمْ أَجِدْ فِيهِ مَسْلَكًا فَيُقَالُ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَحَشِيشَتْ أَنْ تَكُونَ الْحَادِمُ مَعْذُورَةً فَتَرْجِعُ اللَّعْنَةَ فَأَكُونُ سَبَبَهَا.^١

حُكْمُ لَعْنِ الْمُعَيْنِ:

ربما يستشكل بعض الناس النهي عن اللعن من النصوص الواردة التي نقلناها مع نصوص أخرى فيها اللعن أو الأمر باللعن مثل قول النبي ﷺ: «لَعَنَ اللَّهِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالَّدَيْهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ».^٢

وغير ذلك من النصوص ونقول للجمع بين هذه النصوص لعن المعين ولو كان كافرا لا يجوز إلا من لعنه الشارع بعينه مثل إبليس ومثل أبي هب، أما لعن من اتصف بوصف فيلعن من اتصف بذلك فلا حرج في ذلك كأن يقول لعنة الله على الظالمين، أو لعن الله اليهود؛ لأن اللعن قد ورد في حقهم.

قال النووي: اتفق العلماء على تحريم اللعن فانه في اللغة الإبعاد والطرد وفي الشرع الإبعاد من رحمة الله تعالى فلا يجوز أن يبعد من رحمة الله تعالى من لا يعرف حاله وخاتمة أمره معرفة قطعية فلهذا قالوا لا يجوز لعن أحد بعينه مسلماً كان أو كافراً أو دابةً إلا من علمنا بنص شرعى أنه مات على الكفر أو يموت عليه كأبي جهل وإبليس، وأما اللعن بالوصف فليس بحرام كلعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، وأكل الriba وموكله، والمصورين والظالمين والفاسقين والكافرين، ولعن من غير منار الأرض، ومن تولى غير مواليه، ومن انتسب إلى غير أبيه، ومن أحدث في الإسلام حدثاً أو آوى محدثاً، وغير ذلك مما جاءت به النصوص الشرعية بإطلاقه على الأوصاف لا على الأعيان والله أعلم.^٣

١ - رواه أحمد - حديث: ٣٧٦١، بسنده حسن

٢ - رواه مسلم - عن علي ﷺ، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، حديث: ٣٧٥٢

٣ - شرح النووي على مسلم (٦٧ / ٢)

لَا تَسْبِئَ أَحَدًا وَلَوْ كَانَ ظَالِمًا:

سَمِعَ ابْنُ سِيرِينَ رَجُلًا يَسْبُطُ الْحَجَاجَ، فَقَالَ: "مَهْ أَعْجَبَهَا الرَّجُلُ، إِنَّكَ لَوْ وَافَيْتَ الْآخِرَةَ كَانَ أَصْعَرُ ذَنْبٍ عَمِيلْتَهُ قَطُّ أَعْظَمَ عَلَيْكَ مِنْ أَعْظَمِ ذَنْبٍ عَمِيلْهُ الْحَجَاجُ، وَاعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَكْمٌ عَدْلٌ، إِنْ أَحَدًا مِنَ الْحَجَاجِ لِمَنْ ظَلَمَهُ شَيْئًا، أَحَدًا لِلْحَجَاجِ مِنْ ظَلَمَهُ فَلَا تَشْعَلَنَّ نَفْسَكَ بِسَبِّ أَحَدٍ".^١

قَالَ رُهَيْرٌ:

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ **** وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ الرَّبِيبِ:

وَقَدْ كُنْتُ مُحْمَودًا لِدِي الزَّادِ وَالْقَرَى **** وَقَدْ كُنْتُ مُحْمَودًا لِدِي الزَّادِ وَالْقَرَى

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(مجاوزة الحد في المدح)

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ المَدْحُ بِالْبَاطِلِ، لِأَنَّهُ يَغْرِسُ فِي قَلْبِ الْمَدْحُوكِ الْعَجْبَ وَالْكَبْرِ، وَيَدْعُوهُ إِلَى الْخِيَالِ وَالْفَخْرِ، وَهُوَ مَطِيقُ الْكَذْبِ، وَذَرِيعَةُ إِلَى الْبَاطِلِ وَرِبِّاً أَفْضَى بِصَاحِبِهِ إِلَى الْكُفْرِ بِاللهِ تَعَالَى كَمَا سَبَبَتِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

تعريف المدح: المَدْحُ نقِيضُ الْهَجَاءِ وَهُوَ حُسْنُ الشَّاءِ يُقَالُ مَدْحُونٌ مَدْحُونَةٌ مَدْحُونَةً وَاحِدَةٌ وَمَدْحُونٌ مَدْحُونَةٌ مَدْحُونَةً وَمِدْحَةً هَذَا قَوْلُ بَعْضِهِمْ، وَالصَّحِيفَةُ أَنَّ الْمَدْحَوَنَةَ الْمَصْدَرُ، وَالْمَدْحَةُ الْإِسْمُ، وَالْجَمْعُ مَدْحُونَةٌ، وَهُوَ الْمَدِيْحُ، وَالْجَمْعُ الْمَدَائِحُ وَالْأَمَادِيْحُ الْآخِيَّةُ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَنَظِيرُهُ حَدِيْثٌ وَأَحَادِيْثٌ.

قال أبو ذئب:

لَوْ كَانَ مَدْحُونَةً حَيِّيْ مُنْشِرًا أَحَدًا * * * * أَحْيَا أَبَاكُنَّ يَا لَيْلَى الْأَمَادِيْحُ^١

الفرق بين الحمد والمدح:

الفرق بين الحمد والمدح: أن الحمد لا يكون إلا على إحسانٍ، والله حامد لنفسه على إحسانه إلى خلقه، فالحمد مضمون بالفعل، والمدح يكون بالفعل والصفة، وذلك مثل أن يمدح الرجل بإحسانه إلى نفسه وإلى غيره، وأن يمدحه بحسن وجهه وطول قامةه، ويمدحه بصفات التعظيم من نحو قادر وعالم وحكيم، ولا يجوز أن يحمده على ذلك، وإنما يحمده على إحسان يقع منه فقط.^٢

١ - لسان العرب (٢ / ٥٨٩)

٢ - الفروق اللغوية (١ / ٢٠٣)

الفرق بين الإطراء والمدح:

الفرق بين الإطراء والمدح: أن الإطراء هو المدح في الوجه ومنه قوهم الإطراء يورث الغفلة يريدون المدح في الوجه، والمح يكون مواجهة وغير مواجهة.^١

حكم المدح في الشرع:

والمدح في أصله جائز شرعاً ما لم يشتمل على الكذب أو الإطراء وأمن على الممدوح منه العجب.

فعن سعد بن أبي وقاص^{رض} قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول: لاحد يمشي على الأرض إلا من أهل الجنة. إلا لعبد الله بن سلام^{رض} قال: وفيه نزلت هذه الآية: {وَسَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِ إِسْرَائِيلَ} الآية.^٢

فقد مدح رسول الله ﷺ عدداً من أصحابه^{رض} منهم أبو بكر وعمرو أبو عبيدة بن الجراح وأبي عبد الله حبيب وثبت بن قيس بن شناس وعاد بن جبل ومعاذ بن عمرو بن الجموح.

فعن أبي هريرة^{رض} قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل أبو بكر نعم الرجل عمر نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح نعم الرجل أسيده بن حبيب نعم الرجل ثابت بن قيس بن شناس نعم الرجل معاذ بن جبل نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح». ^٣
ومدح رسول الله ﷺ حرباً أسدياً كذلك.

فعن ابن الخطاب^{رض} قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل حريم الأسدية لولا طول جمته وإسباب إزاره». فبلغ ذلك حرباً فجعل يأخذ شفرة فيقطع بها شعره إلى أنصاف أذنيه ورفع إزاره إلى أنصاف ساقيه».^٤

ومدح رسول الله ﷺ عبد الله بن عمر^{رض}.

١ - الفروق اللغوية (١) / (٥٦)

٢ - رواه البخاري - كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن سلام^{رض}، حديث: ٣٦٢٤

٣ - رواه الترمذى - أبواب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل حديث: ٣٨١٠، وابن حبان - كتاب إخباره^{رض} عن مناقب الصحابة، ذكر أبي عبيدة بن الجراح^{رض} - حديث: ٧١٠٧ بسنده صحيح

٤ - رواه أحمد - حديث: ١٧٣١٠، وأبو داود - كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، حديث: ٣٥٨٤ بسنده صحيح لغيره

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقْصَهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَكُنْتُ عَلَامًا شَابًا عَرَبًا وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَانَ مَلَكِينَ أَحَدَاهُنِي فَذَهَبَ إِلَيَّ النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةً كَطَيِّ الْبَرْ وَإِذَا هُنَّا قَرْنَانِ كَفَرْنَي الْبَرْ وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقْوَلُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ - قَالَ - فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي لَمْ تُرِعْ فَقَصَّصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّصْتُهَا حَفْصَةً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصْلَى مِنَ اللَّيْلِ». قَالَ سَالِمٌ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا.

وَأَقْرَأَ أَصْحَابَهُ عَلَى مَدْحِ جَنَازَةِ مُرَّ بِهَا أَمَامَةً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مُرَّ بِجَنَازَةِ فَأُثْنَى عَلَيْهَا حَيْرٌ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ». وَمُرَّ بِجَنَازَةِ فَأُثْنَى عَلَيْهَا شَرٌ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ». قَالَ عُمَرُ فِدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي مُرَّ بِجَنَازَةِ فَأُثْنَى عَلَيْهَا حَيْرًا فَقُلْتَ وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ. وَمُرَّ بِجَنَازَةِ فَأُثْنَى عَلَيْهَا شَرٌ فَقُلْتَ وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ حَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ».^٢

وَعَنْ أَبِي زُهَيْرِ الشَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». قَالُوا يَا مَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ بِعَضُّكُمْ عَلَى بَعْضٍ».^٣

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ حَيْرٌ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَحَيْرٌ رَجَالِنَا سَلَمَةُ».

١ - رواه البخاري- كتاب الجمعة، أبواب تقصير الصلاة، باب فضل قيام الليل، حدث: ١٠٨٣، ومسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهم، حدث: ٤٦٣٣

٢ - رواه البخاري- كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، حدث: ١٣١٢، ومسلم- كتاب الجنائز، باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى، حدث: ١٦٢٩، واللفظ له

٣ - رواه أحمد- حدث: ١٥٦٧، ابن ماجه- كتاب الزهد بباب الثناء الحسن، حدث: ٤٢١٩، بسنده حسن

٤ - رواه مسلم- كتاب الجهاد والسيير، باب عزوة ذي فرد وغیرها، حدث: ١٨٠٧

قَالَ ابْنُ الْمُبَارِكِ نَعَمُ الرَّجُلُ بِقِيَةً لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ يَكْنِي الْأَسَامِيَّ وَيُسَمِّي الْكُنْيَّ كَانَ دَهْرًا يُحَدِّثُنَا عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْوَحَاطِيِّ فَنَظَرَنَا فَإِذَا هُوَ عَبْدُ الْقُدُوسِ.^١

قلنا: إن المدح جائز في الشرع إلا في حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون إطراءً فيحرم لما يشتمل عليه من الكذب والمعالاة والمبالعة.

في المدح، ولما فيه من تشبه باليهود والنصارى، ولأنه من تزيين الشيطان.

الحالة الثانية: عدم الأمان على المدحوم من العجب والخيالء.

تعريف الإطراء:

الإطراء هو مجازة الحد في المدح.

حكم الإطراء:

الإطراء محظى على الإطلاق ولا يجوز حتى مع النبي ﷺ: فعن عمر بن الخطاب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لَا تُطْرُوْنِي كَمَا أَطْرَوْتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ». ^٢

مثال الإطراء في حق النبي ﷺ:

قول البوصيري مدح النبي ﷺ:

يا أكرمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلَوْدُ بِهِ **** سواكَ عَنَّدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِ

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضُرُّهَا **** وَمِنْ عِلْمِكَ عِلْمُ الْلَّوْحِ وَالْقَلْمِ

١ - رواه مسلم - باب الكشف عن معايب رواة الحديث ونقلة الأخبار وقول الأئمة في ذلك.

٢ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله وذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، حديث: ٣٢٧٧

خطر محاورة الحد في المدح:

المدح بالباطل من تزيين الشيطان:

عن مطرِّفٍ قال: قالَ أَبِي انطَّلْقُتْ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا وَأَفْضَلْنَا فَضْلًا وَأَعْظَمْنَا طَوْلًا. فَقَالَ: «فُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجِرِّنُكُمُ الشَّيْطَانُ».

وقوله ﷺ: «وَلَا يَسْتَجِرِّنُكُمُ الشَّيْطَانُ»، أي لا يخذنكم جريأاً بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتية أي كثير الجري في طريقه ومتابعة خطواته.

وقيل هو من الجرأة بالهمزة أي لا يجعلنكم ذوي شجاعة على التكلم بما لا يجوز.

وفي النهاية أي لا يغلبكم فيخذلكم جرياً، أي رسولًا ووكيلًا، وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه، والمعنى تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتکلفوه كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تتطقون على لسانه.

إِطْرَاءُ فِيهِ تَشْبِهُ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزِّرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

وقد وقع فئام من هذه الأمة في ذلك فمنهم من قال عن النبي ﷺ أنه أول خلق الله ومنهم من قال أنه خلق من نور الله وقد حضرت في بداية الطلب درساً فسمعت الذي يحاضر يقول: سئل جابر بن عبد الله النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما أول شيء خلقه الله فقال: نور نبيك يا جابر، فقلت له إن علماء

١ - رواه أبو داود - كتاب الأدب، باب في كراهة التمادح، حديث: ٤١٩٣ ، والبخاري في الأدب المفرد - باب هل يقول: سيد؟ حديث: ٢١٤

٢ - مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايح (١٤ / ١٨١)

٣ - سورة التوبة: الآية / ٣٠

ال الحديث قالوا عن هذا الحديث إنه حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ ليس له أصل فقال لي باللهظة: أنت جرثومة فساد، كل الجالسين هنا يعتقدون ذلك. ففقط من المجلس وأنا أتأسف على سخافة عقله، وشدة جرأته، وتمكن البدعة من قلبه، ومنهم من يقول خلق الله الكون من نور محمد، إلى غير ذلك من المبالغات الشنيعة في حقه ﷺ، وقد قدمنا ما قاله البوصيري في البردة، وهو يزعم أنه يمدح النبي محمد ﷺ:

فَإِنْ مِنْ جُودَكَ الدُّنْيَا وَضُرُّكَا

وَمِنْ عِلْمِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالْقَلْمِ

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ تَحْمِلُهُ سَمْعُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرُثْ
النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ». ^١

الإطاء فيه هلاك للمادح والممدوح:

أما إهلاكه للمادح فيكون بعدة صور أظهرها أنه قد يعتقد أنه يرفع مدحه ويخفض بذمه.

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، أَنَّهُ نَادَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجَّرَاتِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ، وَإِنَّ ذَمِي شَيْنٌ، فَقَالَ: «ذَأْكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».^٢

أما إهلاكه للممدوح فيكون بسبب تولد الكبير والعجب والخيال وإحسان الظن بالنفس وترك العمل.

فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا مَدَحَ صَاحِبًا لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنْقَهُ إِنْ كُنْتَ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَقُلْ أَحْسَبْتُهُ كَذَا وَكَذَا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَحَدًا».^٣

١ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله وادع في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، حدث: ٣٢٧٧، وتقديم

٢ - رواه أحمد - حدث: ١٥٧٠٨ ، والترمذى - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب: ومن سورة الحجرات حدث: ٣٢٧١، بسنده صحيح

٣ - رواه البخاري - كتاب الشهادات، باب إذا زكي رجل رجلاً كفاه، حدث: ٢٥٤٠ ، ورواه مسلم - كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، حدث: ٥٤٣٠

وعن الحسن أن رجلاً أثني على رجلٍ عند النبي ﷺ خيراً فقال له النبي ﷺ: «قطعت عنقه لو سمعك تقول هذا ما أفلح». ^١

وقال عبد الرحمن بن جبير بن نفير: مدحُوك أخاك في وجهه كإمراك على حلقة موسى رهিচاً أي شديداً. ^٢

مَا هُوَ وَاجْبُنَا نَحْنُ الْمَدَاحِينَ:

١- أَنْ نَحْثُوا التَّرَابَ فِي وُجُوهِهِمْ:

قال وهب بن منبه: إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك؛ فلا تأمن أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك.

عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدُحُ عُثْمَانَ فَعَمِدَ الْمِقْدَادُ فَجَئَ عَلَى رُكْبَتِيهِ - وَكَانَ رَجُلًا ضَحْمًا - فَجَعَلَ يَخْتُو فِي وَجْهِهِ الْحَصْبَاءَ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ مَا شَأْنُكَ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ». ^٣

وعن مجاهدٍ أن سعيدَ بن العاصِ بعثَ وفداً من العراقِ إلى عثمانَ فجاءُوا يُشْتُونَ عَلَيْهِ فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ يَخْتُو فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ وَقَالَ: «أَمْرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْثُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَاحِينَ التُّرَابَ». ^٤

قال ابن حجر: للعلماء فيه خمسة أقوال:

أحدها: هذا وهو حمله على ظاهره واستعمله المقداد راوي الحديث.

والثاني: الحيبة والحرمان كقولهم لمن رجع خائباً رجع وكفه ملؤة ثرابة.

١ - رواه عمر بن راشد في الجامع - باب المدح، حديث: ١١٢٩

٢ - رواه أبو نعيم في الحلية (٦ / ٩٩)

٣ - رواه مسلم - كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، حديث: ٥٤٣٤

٤ - رواه أحمد - حديث: ٢٣٢١٥ ، والترمذى - أبواب الزهد، باب ما جاء في كراهة المدحة والمداحين، حديث: ٢٣٧٤ ، والطبرانى

في الكبير - حديث: ١٧٣٦٤

وَالثَّالِثُ: قُولُوا لَهُ بِفِيكِ التُّرَابُ، وَالْعَرَبُ تَسْتَعْمِلُ ذَلِكَ لِمَنْ تَكْرَهُ قَوْلَهُ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّ ذَلِكَ يَعْلَقُ بِالْمَمْدُوحِ كَأَنْ يَأْخُذُ تُرَابًا فَيَبْذُرُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَتَذَكَّرُ بِذَلِكَ مَصِيرَهُ إِلَيْهِ فَلَا يَطْغَى بِالْمَدْحِ الَّذِي سَمِعَهُ.

وَالخَامِسُ: الْمُرَادُ بِحَثْوِ التُّرَابِ فِي وَجْهِ الْمَادِحِ، إِعْطَاؤُهُ مَا طُلِبَ؛ لِأَنَّ كُلَّ الَّذِي فَوْقُ التُّرَابِ تُرَابٌ، وَهَذَا جَزْمُ الْبَيْضَاوِيِّ وَقَالَ: شَبَّةُ الْإِعْطَاءِ بِالْحَثْنِي عَلَى سَيِّلِ التَّرْشِيهِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي التَّقْلِيلِ وَالْإِسْتِهَانَةِ، قَالَ الطِّيْبُ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ رَفْعَهُ عَنْهُ وَقَطْعُ لِسَانَهُ عَنْ عِرْضِهِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنْ الرَّضْخِ، وَالدَّافِعُ قَدْ يَدْفَعُ حَصْمَهُ بِحَثْنِي التُّرَابِ عَلَى وَجْهِهِ إِسْتِهَانَةً بِهِ.^١

قال المناوي رحمه الله: فالحثو كنایة عن الرد والحرمان أو أعطوهם ما طلبوا فإن كل ما فوق التراب تراب، ومن حمله على ظاهره ورماهم بالتراب فما أصاب.^٢

قلت حمله على ظاهره أولى من تأويل ذلك بالإعطاء، بل إعطاؤهم بعد المدح تشجيع لهم، ثم ما هو الفرق بين مكافأتهم على المدح ومنعهم من المدح على هذا القول، أيضا لا يدل الحثو للتراب في وجوههم على مجرد المنع لبينه النبي ﷺ فلم يبقى إلا حمله على الظاهر لاسيما وهو منهم أصحاب النبي ﷺ وهم أدرى بالحديث من بعدهم كما فعله المقاداد رضي الله عنه، وأيضا لأنه ليس مأمونا فكما قال لك قد يقول عليك.

٢ - عدم الاغترار بكلام المذاهين.

يجب على من مدح في وجهه أن يتواضع ولا يغتر، وأن يذكر ما عنده من عيوب سترها الله تعالى عن الناس، قَالَ إِبْرَاهِيمَ عَيْنِيَّةَ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ لَمْ يَضُرِّهِ الْمَدْحُ.

عن نافع أو غيره أن رجلا قال لابن عمر يا خير الناس وابن خير الناس قال لست بخير الناس ولكنني من عباد الله أرجو الله وأخافه والله لن تزالوا بالرجل حتى تحلكونه». ^٣

١ - فتح الباري لابن حجر (٢٢٥ / ١٧)

٢ - التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٨٤ / ١)

٣ - رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى - باب ما يكره لأهل العلم وغيرهم من التكبر والتجبر وإلزام الناس، حدث: ٤٢٦، رواه عمر بن راشد في جامعه - باب المدح، حدث: ١١٣١

قالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا مُدِحَ الرَّجُلُ فِي وَجْهِهِ فَلْيَقُولْ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَلَا تُؤَاخِذنِي إِمَّا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي حَيْرًا إِمَّا يَظْنُونَ).^١

آفات المترتبة على المدح:

قال الغزالى رحمه الله: والمدح يدخله ست آفات أربع في المادح واثنتان في المدوح.

فأما المادح:

الأولى: أنه قد يفرط فيتهي به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إماماً أو أحداً بما ليس فيه على رءوس الأشهاد بعثه الله يوم القيمة يتغشى بلسانه.

الثانية: أنه قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمراً له ولا معتقداً لجميع ما يقوله فيصير به مرأى منافقاً.

الثالثة: أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه.

الرابعة: أنه قد يفرح المدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز، وقال الحسن: من دعا لظلم بطول البقاء فقد أحب أن يعصي الله تعالى في أرضه، والظلم الفاسق ينبغي أن يندم ليغتم ولا يمدح ليفرح.

وأما المدوح فيضره من وجهين:

أحد هما: أنه يحدث فيه كبراً وإعجاباً وهم مهلكان.

قال الحسن تَعَظِيمُهُ كان عمر تَعَظِيمُهُ جالساً ومعه الدرة والناس حوله، إذ أقبل الجارود بن المنذر، فقال رجل: هذا سيد ربيعة. فسمعها عمر ومن حوله وسمعوا الجارود، فلما دنا منه خفقه بالدرة، فقال: مالي ولك يا أمير المؤمنين. قال: مالي ولك أما سمعتها، قال: سمعتها فمه؟ قال: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فأحاببت أن أطأطيء منك.

١ - رواه البیهقی في الشعّب - باب في حفظ اللسان، حديث: ٤٦٦

الثاني: هو أنه إذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه، ومن أعجب بنفسه قل تشرمه، وإنما يتشرم للعمل من يرى نفسه مقصراً، فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه، ظن أنه قد أدرك، ولهذا قال عليه السلام: قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح.^١

قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في قواعده: ولا تكاد تجد مداحاً إلا رذلاً ولا هجاءً إلا نذلاً.

بل ربما تجاوز الحد حتى وقع في الكفر كقول ابن هاني الأندلسي شاعر المعز العبيدي مخاطباً له:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار **** فاحكم فأنت الواحد القهار^٢

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ جَلَّ جَلَّهُ رَجُلًا يُشْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي الْمُدْحَةِ فَقَالَ: «لَقَدْ أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَاهِرَ الرَّجُلِ».^٣

قال المهلب رحمه الله: وإنما قال هذا، والله أعلم، لئلا يغتر الرجل بكثرة المدح، ويرى أنه عند الناس بتلك المنزلة، فيترك الإزدياد من الخير ويجد الشيطان إليه سبيلاً، ويوجهه في نفسه حتى يضع التواضع لله، وكان السلف يقولون: إذا أثني على أحدهم: اللهم اغفر لنا ما لا نعلمه واجعلنا خيراً مما يظنون. وقال يحيى بن معاذ: العاقل لا يدعه ما ستر الله عليه من عيوبه بأن يفرح بما أظهره من محسنه.^٤

عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمْرٍ فَأَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ فِي وِجْهِهِ فَقَالَ: (عَرَرَتِ الرَّجُلَ عَرَرَكَ اللَّهُ).^٥

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ جَلَّ جَلَّهُ يَقُولُ: (المدح ذبح) قال: محمد يعني إذا قيل لها.^٦

١ - إحياء علوم الدين (٣ / ١٩٥ : ١٦٠)، بتصرف

٢ - فيض القدير (١ / ١٨٣)

٣ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب ما يكره من التمادح - حديث: ٥٧٢٠، ومُسْنَلٌ - كتاب الرهد والرقائق، باب النهي عن المدح، حديث: ٥٤٣٢

٤ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨ / ٤٨)

٥ - رواه البخاري في الأدب المفرد - باب ما جاء في التمادح، حديث: ٣٤٥، بسنده حسن

٦ - رواه البخاري في الأدب المفرد - باب ما جاء في التمادح، حديث: ٣٤٦، بسنده صحيح

قال الغزالي رحمه الله: اعلم أن على المدح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح.

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: لا يضر المدح من عرف نفسه وأثني على رجل من الصالحين فقال اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفي.

وقال آخر لما أثني عليه اللهم إن عبدك هذا تقرب إلى بمقتك وأناأشهدك على مقته.

وقال علي عليهما السلام لما أثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيراً مما يظنون.

وأثني رجل على عمر عليهما السلام فقال أهلكني وتملك نفسك.

وأثني رجل على علي عليه كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه فقال أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك.^١

قال الغزالي: اعلم أن لحب المدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب:

السبب الأول: وهو الأقوى شعور النفس بالكمال فإن الكمال محبوب وكل محبوب فإذا كان له ذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واعتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس المدح بكمالها.

السبب الثاني: أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح، وأنه مرید له ومعتقد فيه، ومسخر تحت مشيئة وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء من تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالمملوك والأكابر.

السبب الثالث: أن ثناء المثنى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما إذا كان ذلك من يلتفت إلى قوله ويعتقد بشائه وهذا مختص بثناء يقع على الملاً فلا جرم كلما كان الجماع أكثر والمثنى أجدر بأن يلتفت إلى قوله كان المدح ألد والذم أشد على النفس.

١ - إحياء علوم الدين (٣ / ٦٢)

السبب الرابع: أن المدح يدل على حشمة الممدوح واضطراره المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء على الممدوح إما عن طوع وإما عن قهر فإن الحشمة أيضاً لذريدة لما فيها من القهر والقدرة.

فهذه الأسباب الأربع قد تجمع في مدح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها.^١

ما هو الواجب عليك إذا احتجت أن ت مدح إنساناً؟

قد يسأل أحدهنا عن إنسان لا يعلم عنه إلا الخير والصلاح فبماذا يجيئ؟

علمنا النبي ﷺ القصد في ذلك مع قول الحق، وأن يقول من سئل عن ذلك أَحْسِبُ فُلَانًا صالحاً، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا.

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ صَدِيقِهِ قَالَ أَتَنِي رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنْقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنْقَ صَاحِبِكَ» مِرَارًا ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ فَلَيُقْلِنَ أَحْسِبُ فُلَانًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ».٢

١ - إحياء علوم الدين (٣ / ٢٨٦)

٢ - رواه البخاري - كتاب الشهادات، باب: إذا ذكر رجل رجلاً كفاه، حديث: ٢٥٤٠، رواه مسلم - كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، حديث: ٥٤٣٠

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الْجِدَالُ)

تَعرِيفُ الْجِدَالِ:

الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والغالبة، وأصله من جدلت الحبل، أي: أحكمت فتلها ومنه: الجدال، فكان المتجادلين يقتل كل واحد الآخر عن رأيه. وقيل: الأصل في الجدال: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصلبة.^١

قال القرطبي رحمه الله: الجدال وزنه فعال من المحادلة، وهي مشتقة من الجدل وهو الفتل، ومنه زمام مجدول.

وقيل: هي مشتقة من الجدالة التي هي الأرض.^٢

فالجدل مقابلة الحجّة بالحجّة. والمُجَادَلَةُ: المُناظرةُ والخاصمةُ وطلبُ الغلبة.

حُكْمُ الْجِدَالِ:

الجدال تنتظم فيه الأحكام التكليفية الخمسة، فمنه ما هو واجب يأثم العبد بتركه، ومنه ما هو مستحب، ومنه ما هو مباح، ومنه ما هو مكره، ومنه ما هو حرام.

ومقصود من الكلام هنا الكلام عن الجدال الحرام والمكره كما سنبينه إن شاء الله.

قال الْكَرْمَانِيُّ الْجِدَالُ: هُوَ الْحِصَامُ وَمِنْهُ قَبِيحٌ وَحُسْنٌ وَأَحْسَنُ، فَمَا كَانَ لِلْفَرَائِضِ فَهُوَ أَحْسَنُ، وَمَا كَانَ لِلْمُسْتَحْبَاتِ فَهُوَ حَسَنٌ، وَمَا كَانَ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ قَبِيحٌ.^٣

١ - مفردات ألفاظ القرآن (١ / ١٧٥)

٢ - تفسير القرطبي (٤٠٩ / ٢)

٣ - فتح الباري لابن حجر (٤٠٦ / ٢٠)

وقال المهلب: الجدال موضوعه في اللغة المدافعة، فمنه مكروه، ومنه حسن، فما كان منه تثبيتاً للحقائق وتشبيتاً للسين والفرائض، فهو الحسن وما كان منه على معنى الاعتدار والمدافعت للحقائق فهو المذموم.^١

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: في قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام وفاطمة رضي الله عنهمَا: "اَلَا تُصلُونَ" قال: وَيُؤْخَذُ مِنْهُ الْإِشَارَةُ إِلَى مَرَاتِبِ الْجِدَالِ فَإِذَا كَانَ فِيمَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ تَعَيْنَ نَصْرُ الْحَقِّ بِالْحَقِّ، فَإِنْ جَاءَ الَّذِي يُنْكِرُ عَلَيْهِ الْمَأْمُورُ ثُبَّبَ إِلَى التَّفْصِيرِ، وَإِنْ كَانَ فِي مُبَاحٍ إِكْتَفَى فِيهِ بِمُجَرَّدِ الْأَمْرِ وَالْإِشَارَةُ إِلَى تَرْكِ الْأَوْلَى.^٢

أنواع الجِدَالِ:

الْجِدَالُ نَوْعَانِ:

الأول: جِدَالٌ مَمْدُوحٌ:

ومنه الجِدَالُ لِتَشْبِيتِ الْحَقِّ وَدَحْضِ الشُّبُهَاتِ:

من أنواع الجِدَالِ الجائز الجِدَالُ لِتَشْبِيتِ الْحَقِّ وَدَحْضِ الشُّبُهَاتِ وَمِنْهُ جِدَالُ النَّبِيِّ ﷺ لِبَيَانِ سَبِيلِ الْحَقِّ وَكَشْفِ مَا عَنْهُمْ مِنَ الشُّبُهَاتِ.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.^٣

وهذا النوع من الجِدَالِ أحياناً يكون واجباً، وأحياناً يكون مستحبًا، فيكون واجباً إذا أثيرة الشُّبُهَاتُ في وجه الإسلام، وقام بعض الناس بتزيف الحقائق لطمس معالم الإسلام، أو لتشويه صورته، فأقول: هنا تجب المجادلة لتبيين حقائق الإسلام، وكشف زيف خصومه، ومع ذلك فإن المجادلة والحال هكذا يجب أن

١ - شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٧٧ / ١٠)

٢ - فتح الباري لابن حجر (٤٠٦ / ٢٠)

٣ - سورة النحل: الآية / ١٢٥

تكون بالتي هي أحسن كما أمر ربنا تبارك وتعالى، فليس فيها شيء من السب والشتم، بل ليس فيها إلا إظهار الحق وتبيينه للناس.

وقد يكون الجدال مستحبًا لدعوة غير المسلمين للإسلام، وذلك ببيان ما هم عليه من سوء الديانة وفساد المعتقد، وتحريف ما بين أيديهم من الكتاب إذا كانوا أهل كتاب، مع بيان دين الله تعالى وذلك أيضاً لا يكون إلا بالتي هي أحسن كما أمر ربنا تبارك وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُحَاجِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا إِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾.^١

الثاني: الجدال المذموم:

وينقسم إلى أقسام كثيرة فمنها ما هو كفر بالله تعالى، ومنها ما يوجب النار عيادةً بالله تعالى، ومنها ما هو علامة على الضلال، ومنها ما يورث العداوة ويقطع المودة، ومنها ما يولد الكبر في قلب صاحبه.

أقسام الجدال المذموم:

الجدال في الله بغير علمٍ:

أخطر أنواع الجدال على العباد وعلى الدين، الجدال في الله تعالى بغير علم، ورد ما أثبته الله تعالى لنفسه من الصفات، سواءً كان ذلك بتأويل أو تشبيه أو تعطيل، وكذا وصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه، بتجسيم أو تكييف.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنِ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَبَعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾.^٢

ومن الجدال في الله تعالى نسبة الصاحبة والولد له سبحانه.

ومنه نسبة ما ليس من دين الله تعالى إليه، كحريم الحلال وتحليل الحرام، ومنه تحريم البحيرة، والسائلة، والوصيلة والحام.

١ - سورة العنكبوت: الآية / ٤٦

٢ - سورة الحج: الآية / ٣

الجدال في القرآن:

ومن الجدال المذموم، الجدال في القرآن بالطعن في آيات الله تعالى بتبع ما تشابه من آياته ابتغاء الفتنة، وضرب القرآن بعضه ببعض.

قال الله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرِبُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾^١.

قال القرطبي قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، سجل سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكفر، والمراد الجدال بالباطل، من الطعن فيها، والقصد إلى إدحاض الحق، وإطفاء نور الله تعالى. وقد دل على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِسُوا بِهِ الْحَقَّ﴾. فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها، وحل مشكلتها، ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها، ورد أهل الزيف بها وعنها، فأعظم جهاد في سبيل الله.^٢

وقال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا هُمْ مِنْ حَمِيصٍ﴾^٣.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف المراء في القرآن كفر - ثلاثة مراءات - فما عرفتم منه فاعملوا وما جعلتم منه فردوه إلى عالمه».^٤

قال المناوي: أي الشك في كونه كلام الله كفر أو أراد الخوض فيه بأنه محدث أو قديم أو المحادلة في الآى المتشابهة المؤدى إلى الجحود فسماه كفراً باسم ما يخاف عاقبته.^٥

وعن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ حُكْمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخِرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِحُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكَّرُ

١ - سورة غافر: الآية/ ٤

٢ - الجامع لأحكام القرآن (٢٩٢ / ١٥)

٣ - سورة الشورى: الآية/ ٣٥

٤ - رواه أحمد - حديث: ٧٨٠٥، وأبو داود - كتاب السنة، باب النهي عن الجدال في القرآن، حديث: ٤٠٠٨، بسنده صحيح، كتاب العلم، ذكر الزجر عن تتبع المتشابه من القرآن للمرء المسلم، حديث: ٧٤، بسنده صحيح

٥ - التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٢ / ٨٨١)

إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١﴾ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكُ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ فَاحْذَرُوهُمْ».^١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهمما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوا الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْأُمَّةَ قَبْلَكُمْ لَمْ يُلْعِنُوا حَتَّى اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ مِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ».^٢

ومنه ما كان يفعله صَبِيعُ بْنُ عِسْلٍ التَّمِيمِيُّ، الذي كان يتبع ما تَشَابَهَ مِنْ الْقُرْآنِ كأنه يشكك فيه، فعنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ: صَبِيعُ بْنُ عِسْلٍ قَدِيمُ الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ كُتُبٌ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَعَثَ لَهُ، وَقَدْ أَعْدَ لَهُ عَرَاجِينَ النَّحْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جَلَسَ فَقَالَ لَهُ: "مَنْ أَنْتُ؟" قَالَ: أَنَا صَبِيعٌ، فَقَالَ عُمَرُ: وَأَنَا عُمَرٌ عَبْدُ اللَّهِ، ثُمَّ أَهْوَى إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِتِلْكَ الْعَرَاجِينَ حَتَّى شَجَّهُ، فَجَعَلَ الدَّمْ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَاللَّهِ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَحِدُ فِي رَأْسِي".^٣

الْجِدَالُ بِالْبَاطِلِ لِدَحْضِ الْحَقِّ:

ومن الجدال المذموم، الجدال بالباطل لدحض الحق، قال الله تعالى: ﴿وَجَادُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخْذَذُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ﴾.^٤

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الذين كفروا يجادلون بالباطل، أي يخاصمون الرسل بالباطل، كقولهم في الرسول: ساحر، شاعر، كاهن وقولهم: في القرآن:

١ - رواه البخاري- كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب آيات محكمات، حدیث: ٤٢٨٢ ، ومسلم- كتاب العلم، باب النهي عن إتباع متتشابه القرآن، حدیث: ٤٩٢٤

٢ - رواه ابن أبي شيبة- حدیث رقم: ٣٠١٦٦

٣ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٦٠٩)، ورواه الدارمي- باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، حدیث: ١٥٣ ، والبدع لابن وضاح- قصة صبیع العراقي، حدیث: ١٤٨

٤ - سورة غافر: الآية ٥/

أساطير الأولين، سحر، شعر، كهانة. وكسؤالهم عن أصحاب الكهف، وذي القرنين. وسؤالهم عن الروح عناداً وتعنتاً، ليبطلو الحق بجداهم وخصامهم بالباطل.^١

الجدالُ بغيرِ عِلْمٍ:

ومن الجدال المذموم، الجدال بغير علم، قال الله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ حاجِجُتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.^٢

قال ابن كثير رحمه الله: هذا إنكار على من يجاج فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تجاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تجاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا به، فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلاليتها، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.^٣

وقال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَكَانَ الْحُقْقُ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُكَارِونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

قال ابن كثير: أي: يجاجون في وجودها ويدفعون وقوعها، ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي: في جهل بين؛ لأنَّ الذي حلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى والآخرى، كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدِأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

١ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٢٦ / ١٩)

٢ - سورة آل عمران: الآية/ ٦٦

٣ - تفسير ابن كثير (٥٨ / ٢)

٤ - سورة الشورى: الآية/ ١٨

٥ - تفسير ابن كثير (١٩٧ / ٧)

الْجِدَالُ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ظُهُورِهِ:

ومن الجدال المذموم، الجدال في الحق بعد ظهوره، دفعاً للحق وإعراضًا عنه، قال الله تعالى:
 ﴿يُحَاجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾^١.

فَضْلُ تَرْكِ الْجِدَالِ:

ترك الجدال مغالبة للنفس، ومدافعة لشهوة الظهور، وبين الانتصار لنفس وحظوظها والانتصار للحق شعرة دقيقة جدًا، ومع ذلك فيها مدخل عظيم من مداخل الشيطان، يثير من خلاله العادات، ويقطع فيه المودات، وربما حمل كل واحد من المتجادلين على الانتصار لرأيه ولو كان باطلًا، ودفع رأي الخصم ولو كان محقًا فكان علاج ذلك بترك الجدال والمراء حتى لو كان المجادل يرى نفسه محقًا ومن فعل ذلك فقد ضمن له النبي ﷺ بيتاً في رضي الجنة.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ: «أَنَا زَعِيمُ بَيْتٍ فِي رَضِيِّ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحَقَّاً وَبَيْتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبَيْتِي فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ حُلْقَهُ».^٢

تَرْكُ الْجِدَالِ مِنْ كَمَالِ الإِيمَانِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ: «لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ إِلَيْمَانَ كُلَّهُ حَتَّى يَتَرَكَ الْكَذِبَ فِي الْمُرَاحَةِ وَيَتَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا».^٣

١ - سورة الأنفال: الآية /٦

٢ - رواه أبو داود- كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، حدث: ٤١٨٨، والبيهقي في السنن- كتاب الشهادات، باب المراح، حدث: ١٩٦٩٩، بسنده حسن

٣ - رواه أحمد- حدث: ٨٤٤٦، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق- باب في الصدق وما جاء في فضله وذم الكذب، حدث: ١٣٤، بسنده صحيح

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ رَحْمَهُ اللَّهُ: "سِتُّ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ: قِتَالُ أَعْدَاءِ اللَّهِ بِالسَّيْفِ، وَالصِّيَامُ فِي الصَّيْفِ، وَإِسْبَاغُ الْوَضُوءِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِي، وَالتَّبَكِيرُ بِالصَّلَاةِ فِي يَوْمِ الْغَيْمِ، وَتَرْكُ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمُصِيبَةِ".^١

تَرْكُ الْجِدَالِ عَلَامَهُ حُسْنُ الْخُلُقِ:

عَنِ السَّائِبِ بْنِ أَبِي السَّائِبِ صَاحِبِ الْمُؤْمِنَةِ أَنَّهُ كَانَ يُشَارِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ فِي التِّجَارَةِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ جَاءَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرْحَبًا بِأَخِي وَشَرِيكِي كَانَ لَا يُدَارِي وَلَا يُمَارِي يَسَائِبَ قَدْ كُنْتَ تَعْمَلُ أَعْمَالًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا تُقْبَلُ مِنْكَ وَهِيَ الْيَوْمُ تُقْبَلُ مِنْكَ». وَكَانَ ذَا سَلْفٍ وَصِيلَةً.^٢

١ - حلية الأولياء (٦٨ / ٣)

٢ - رواه أحمد - حديث: ١٥٢٣٤ ، والحاكم في المستدرك - كتاب البيوع، حديث: ٢٢٩٨ ، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن - كتاب الشركة، باب الاشتراك في الأموال والمدايا، حديث: ١٠٦٨٤ ، وابن أبي شيبة - كتاب المغازي، حديث فتح مكة، حديث: ٣٦٢٦٦ ، والطبراني في الكبير - حديث: ٦٤٦٩

خَطْرُ الْجِدَالِ عَلَى صَاحِبِهِ:

الْجِدَالُ عَلَمَةٌ عَلَى الصَّلَالِ:

من أمارات الضلال، ومن علامات الزيف، ترك الهدي المتمثل في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ والاشغال بالجدال والذي كان يعرف فيما مضى بعلم الكلام، ومثله اليوم الفلسفة وغيرها من العلوم التي ليس فيها نفع ولا فائدة.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَالَ». ثم قرأ: «مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ حَصِيمُونَ».^١

قال القاضي: المراد التعصب لترويج المذاهب الكاسدة والعقائد الزائفية، لا المناظرة لإظهار الحق واستكشاف الحال واستعلام ما ليس معلوماً عنده أو تعليم غيره ما عنده؛ لأن فرض كفاية خارج عما نطق به الحديث.^٢

وَالْمُرَادُ بِالْجِدَالِ الْخِصَامُ بِالْبَاطِلِ وَضَرْبُ الْحَقِّ بِهِ وَضَرْبُ الْحَقِّ بَعْضَهُ بَعْضٍ بِإِنْدَاءِ التَّعَارُضِ وَالتَّدَافُعِ وَالْتَّنَافِي بَيْنَهُمَا لَا الْمُنَاظَرَةُ لِطَلَبِ التَّوَابَعَ مَعَ تَفْوِيضِ إِلَى اللَّهِ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَةِ الْكُنْهِ.^٣

الْجِدَالُ مَعْصِيَةٌ:

لما كان الجدال المذموم سبباً في الهجر وقطع حبال المودة وإفساد ذات البين وامتلاء القلوب بالضغائن والأحقاد، ودفع الحق وعدم قبوله نهى عنه النبي ﷺ فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَفَى بِكَ إِنَّمَا أَنْ لَا تَرَأَلْ مُخَاصِمًا».^٤

١ - رواه أحمد - حديث: ١٥٢٣٤ ، والحاكم في المستدرك - كتاب البيوع، حديث: ٢٢٩٨ ، والبيهقي في السنن - كتاب الشركة، باب الاشتراك في الأموال والمدايا، حديث: ١٠٦٨٤ ، بسنده حسن

٢ - مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني (٤٣ / ١)

٣ - حاشية السندي على ابن ماجه (٤٠ / ١)

٤ - رواه الترمذى - أَبْوَابُ الْبَرِّ وَالصِّلَّةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمَرَاءِ، حديث: ١٩٦٥ ، والطبرانى في الكبير - حديث رقم: ١١٠٣٢ ، بسنده ضعيف

والنهي يقتضي التحريم وذلك لما يثيره الجدال من العداوات، ولما يوغر الصدور.

الجدال يورث العداوة والبغضاء:

من أكثر مداخل الشيطان التي يجد للناس منها مدخلا إليهم الجدال، وذلك لأن كل واحد من المتجادلين، يريد أن يثبت حجته، ويدحض حجة خصمه، ويظهر ضعفه، وربما حقر رأيه وسفه حلمه، وكيرا من يصاحب ذلك دفع الحق وعدم قبوله، فيكون قد وقع في الكبير باحتقار من أمامه وبطر الحق، فيكون الجدال سببا للقطيعة بينهما مع يجده كل واحد منهما من الضعينة والحقد بسبب الجدال.

وقال مالك: الجدال في الدين ينشئ المرأة، ويذهب نور العلم من القلب ويقصي، ويورث الضيق.^١

قال محمد بن علي بن حسين: الخصومة تحقق الدين وتنتهي الشحناء في صدور الرجال.

دع الجدال ولا تحفل به أبداً
إنه سبب للبغض ما وحدا
الجدال سبب حرمان العلم:

عن يونس، قال: كتب إلى ميمون بن مهران "إياك والخصومة والجدال في الدين، ولا تجادل عالما، ولا جاهلا: أما العالم، فإنه يحزن عنك علمه ولا يتألي ما صنعت، وأما الجاهل، فإنه يخشى بصدرك ولا يطيلك".^٢

الجدال من خوارم المروءة:

قال ذو التون: (ثلاثة من أعلام أعمال الكياسة ترك المراء والجدال في الدين، والإقبال على العمل يسيير العلم، والإشتغال بإصلاح عيوب النفس غافلا عن عيوب الناس).^٣

١ - سير أعلام النبلاء (٧/١٨٤)

٢ - رواه الدارمي - باب من قال العلم الحشية وتقوى الله، حديث: ٣١٠

٣ - رواه البيهقي في شعب الإيمان - فصل في ترك تتبع عورات المسلمين وفي قبول عذرهم سوى ما تقدم في الأبواب قبله، حديث:

الْجِدَالُ يُنَافِي الْأُخْوَةِ الإِيمَانِيَّةِ:

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كفى بك ظلماً ألا تزال مخاصماً، وكفى بك إثماً ألا تزال ممارياً.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: ما أمارى أخي أبداً، لأنني أرى أن إما أن أكذبه وإما أن أغضبه.
قيل لعبد الله بن حسين: ما تقول في المرأة؟ قال: يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن يكون درية للمغالبة والمغالبة أمنن أسباب القطيعة.

وقال مسمر بن كدام الهلالي يوصى ابنه كداماً:^١

* * * * *
إِنِّي مُنْحَتُكْ يَا كَدَامْ نَصِيحَتِي
فَاسْمَعْ لِقُولْ أَبْ عَلَيْكَ شَفِيقْ

* * * * *
أَمَّا المَزَاحَةُ وَالْمَرَأَةُ فَدَعْهُمَا
خَلْقَانْ لَا أَرْضَاهُمَا لِصَدِيقْ

* * * * *
إِنِّي بِلَوْتَهُمَا فَلَمْ أَحْمَدْهُمَا
بِجَارِيِّهِمَا جَارِيِّهِمَا لِرَفِيقْ

* * * * *
وَالْجَهَلُ يِزْرِي بِالْفَتِي فِي قَوْمِهِ
وَعَرْوَقُهُ فِي النَّاسِ أَيْ عَرْوَقْ

عن محمد بن مسلم بن يسار قال: إياكم والمرأة فإنه ساعة جهل العالم وبه يتغى الشيطان زلت، قال محمد: هذا الجدال هذا الجدال.^٢

١ - الآداب الشرعية (٤٧ / ١)

٢ - الطبقات الكبرى لابن سعد (١٨٧ / ٧)

الجدال سبب رفع البركة وذهب الخير:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ ليحيرنا بليلة القدر فتلحى رجالاً من المسلمين فقال: «خرجت لأحيركم بليلة القدر، فتلحى فلاناً وفلاناً، فرفعت وعسى أن يكون حيراً لكم، فالتمسواها في التاسعة، والسبعين، والخامسة».^١

الجدال يفسد العبادة أو يكاد أن يفسدها:

قال الله تعالى: ﴿الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فِيَّ حَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونَ يَا أُولَئِكَ الْأَلْبَاب﴾.^٢

عن ابن عباس رضي الله عنهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ﴾.^٣

قال: «ثاري صاحبك حتى تعصبه».^٤

الجدال سبب الهلاك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «إيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فمحجوها»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثة، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم لوجبتك، ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سوءهم واحتلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا كهيتكم عن شيء فدعوه».^٥

١ - رواه البخاري - كتاب فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر لتألحى الناس، حديث: ٢٠٢٣

٢ - سورة البقرة: الآية / ١٩٧

٣ - سورة البقرة: الآية / ١٩٧

٤ - تفسير ابن كثير (١/٥٤٦)

٥ - رواه مسلم - كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، حديث: ٢٤٥٦

الْجِدَالُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ:

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليُماري به السُّفَهَاءَ، ويصرف به وُجُوهُ النَّاسِ إِلَيْهِ: أَدْخِلَهُ اللَّهُ النَّارَ». ^١
ويقال: لا تمار حليمًا ولا سفيهًا، فإن الحليم يغلبك، والسفهاء يؤذيك.

١ - رواه الترمذى - كتاب العلم، باب ما جاء فىمن يطلب بعلمه الدنيا، حدث: ٢٦٤٥، رواه ابن ماجه - المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، حدث: ٢٥١، والدارمى - باب التوبىخ لمن يطلب العلم لغير الله، حدث: ٣٩٢، بسنده حسن

مِنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ فِي الْجِدَالِ

قال لقمان لابنه: يا بني لا تمارين حكيمًا، ولا تجادلن لجوجًا، ولا تعاشرن ظلومًا، ولا تصاحبن متهمًا.^١

وقال وبرة بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَوْصَانِي ابْنُ عَبَّاسٍ بِكَلِمَاتٍ هُنَّ أَحْسَنُ مِنَ الدُّهْمِ الْمُوْقَفَةِ، قَالَ لِي: "يَا وَبَرَّةُ، لَا تَعْرَضْ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ، وَلَا آمُنُ عَلَيْكَ الْوِزْرَ، وَدُعْ كَثِيرًا مَا يَعْنِيكَ حَتَّى تَرَى لَهُ مَوْضِعًا، فَرُبَّ مُتَكَلِّفٍ بِحَقِّ تَقْيَى قَدْ تَكَلَّمَ فِي الْأَمْرِ بِعِنْيَهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَعَطَبَ وَلَا تُمَارِيَ حَلِيمًا، وَلَا سَفِيهَا، فَإِنَّ الْحَلِيمَ يَقْلِيلُكَ، وَإِنَّ السَّفِيهَ يُرْدِيكَ، وَادْكُرْ أَحَادِيثَ إِذَا تَوَارَى عَنْكَ بِكُلِّ مَا تُحِبُّ أَنْ يَدْكُرَكَ بِهِ إِذَا تَوَارَيْتَ عَنْهُ، وَدَعْهُ مِنْ كُلِّ مَا تُحِبُّ أَنْ يَدَعَكَ مِنْهُ، وَاعْمَلْ رَجُلٌ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَجْزِيٌّ بِالْحُسْنَاتِ مَأْخُوذٌ بِالسَّيْئَاتِ"^٢.

وقال إبراهيم التيمي: إياكم والمخاصمات في الدين، فإنها تحبط الأعمال.

وقال عمر بن عبد العزيز رَحْمَةُ اللهِ: من جعل دينه عرضًا للخصومات أكثر التنقل.

وقال الأوزاعي: إذا أراد الله بقوم شرًا ألمهم الجدل، ومنعهم العمل.

وقال ابن أبي الزناد: ما أقام الجدل شيئاً إلا كسره جدلاً مثله.

وقال الأصمسي: سمعت أعرابياً يقول: من لاحى الرجال وماراهم قلت كرامته، ومن أكثر من شيء عرف به.

وقال عبد الله بن حسين على رض: المراء رائد الغضب، فأخزى الله عقلاً يأتيك به الغضب.

وقال معاذ بن جبل: إذا كان لك أخ في الله فلا تماره، ولا تساره الحديث.

١ - بمحجة المجالس وأنس المجالس (٩٤ / ١)

٢ - رواه البيهقي في الشعب - فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٩١

وقال مصعب الزبيري:

وكان الموت أقرب ما يليني	*****	أقعد بعدها وجفت عظامي
وأجعل دينه غرضاً لدیني	*****	أجادل كلّ معترض خصيم
وليس الرأي كالعلم اليقين	*****	فأترك ما علمت لرأي غيري
تصرف في الشّمال وفي اليمين	*****	وما أنا والخصومة وهي لبس

وقال مالك: «الجدال في الدين ينشئ المراء، ويذهب بنور العلم من القلب ويقسي، ويورث الضغف».

وقال أيضًا: «وليس هذا الجدل من الدين بشيء».

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جديه، قال: جلست من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً ما جلست قبلاً ولا بعده أبغطا عندي، قال: فخرج من وراء حجراته قوم يجادلون بالقرآن، قال: فخرج محمرة وحنتاه كاما يقطران دما فقال: «يا قوم لا يجادلوا بالقرآن، فإنما ضل من كان قبلكم يجادلهم إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضاً، ولكن نزل ليصدق بعضاً، فما كان من تحكمه فاعملوا به، وما كان من متشاكهه فآمنوا به».^١

وقال إسحاق بن عيسى الطباني: كان مالك بن أنس يعيث بالجدال في الدين، ويقول: «كُلُّما جاءنا رجل أخذَ مِنْ رجلي أرادَنا أَنْ نرُدَّ مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».^٢

وقال ابن عون: سمعت محمد بن سيرين ينهى عن الجدال إلا رجلاً إن كلامته يرجح.^٣

١ - بغية الباحث عن زوائد مسنن الحارث (٧٤٠ / ٢)

٢ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٠٧ / ٢)

٣ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٣٠ / ٢)

وَقَالَ السَّبِيلَاوِيَّ: رَأَيْتُ الْأَصْمَعِيَّ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْجُدَالَ زَنَادِقَةً.^١

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَّسٍ: «الْمِرَاءُ فِي الْعِلْمِ يُقْسِيُ الْقَلْبَ، وَيُبُرِّثُ الضِّغْنَ».^٢

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتَ الْمِرَاءَ فَاقْصُرْ».^٣

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ: «الْمِرَاءُ يُفْسِدُ الصَّدَاقَةَ الْقَدِيمَةَ، وَيَحْلِلُ الْعُقْدَةَ الْوَثِيقَةَ، وَأَقْلِمُ مَا فِيهِ أَنْ تَكُونَ الْمُغَالَبَةُ، وَالْمُغَالَبَةُ أَمْثُلُ أَسْبَابِ الْقَطِيعَةِ».^٤

وَقَالَ سُفْيَانُ قَبْلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ: مَا لَكَ لَا تُمَارِي إِذَا جَلَستَ؟ فَقَالَ: «مَا تَصْنَعُ بِأَمْرٍ إِنْ بَالَغْتَ فِيهِ أَئْمَتَ، وَإِنْ قَصَرْتَ فِيهِ حُصِّمْتَ».^٥

١ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٣٠ / ٢)

٢ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٣٠ / ٢)

٣ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٣٠ / ٢)

٤ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٣٠ / ٢)

٥ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٣١ / ٢)

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(السُّخْرِيَّةُ وَالإِسْتِهْزَاءُ)

حدُّ الإِسْتِهْزَاءِ:

الإِسْتِهْزَاءُ لغة: السُّخْرِيَّةُ وَالإِسْتِحْفَافُ وَأَصْلُ الْبَابِ الْحِفَّةُ.

فالإِسْتِهْزَاءُ بِالشَّيْءِ الْإِسْتِهَانَةُ بِهِ، وَالإِسْتِهْزَاءُ بِالشَّخْصِ الْاحْتِقَارُ وَعَدَمُ الْإِهْتِمَامِ بِأَمْرِهِ، وَكَثِيرًا مَا يَصْحَبُ ذَلِكَ السُّخْرِيَّةُ مِنْهُ، وَهِيَ الضَّحْكُ التَّالِيُّ عَنِ الإِسْتِحْفَافِ وَالإِحْتِقَارِ، فَمَنْ حَاكَى امْرَأًا في قَوْلِهِ أَوْ عَمَلِهِ أَوْ زَيْنَهِ أَوْ عَيْرِهَا مُحاكَاةً لِاحْتِقَارٍ فَقَدْ سَخَّرَ مِنْهُ، فَالسُّخْرِيَّةُ تَسْتَلزمُ الإِسْتِهْزَاءَ، وَهِيَ حَاصَّةٌ بِالْأَشْخَاصِ دُونَ الْأَشْيَاءِ.

الفرق بين السُّخْرِيَّةِ وَالإِسْتِهْزَاءِ:

الفرق بين السُّخْرِيَّةِ وَالإِسْتِهْزَاءِ هو أن السُّخْرِيَّةَ تدل على فعل وقع من إنسان، سبب له السُّخْرِيَّةَ من غيره.

والإِسْتِهْزَاءُ لا يلزم تقدم فعل أو قول من الذي يُسْتَهْزَأُ به بل يُسْتَهْزَأُ به ابتدأً، ويقع كل منهما مكان الآخر.

أَسْبَابُ السُّخْرِيَّةِ وَالإِسْتِهْزَاءِ:

قد يسخر إنسان من آخر لفقره، وقد يسخر منه جنسه، وقد يسخر منه للونه، وقد يسخر منه لمكانته، فهل هذه مبررات للسُّخْرِيَّةِ من الْخَلْقِ؟ نقول لا تجوز السُّخْرِيَّة بحال من الأحوال، فإن التفاضل بين الناس لا يكون إلا على أساس التقوى والعمل الصالح، وهذا أمر لا يعلمه إلا الله تعالى، فقد يسخر العبد من غيره ويكون هذا الذي وقعت عليه السُّخْرِيَّة خيراً من ذلك بدرجات عظيمة لا يعلمهها إلا الله تعالى.

ميزان التفاصيل عند الله تعالى:

وكما قلنا فالرفة عند الله تعالى بالتفوي والعمل الصالح وليس بالنسب ولا بالجاه ولا بالمال.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخِرُونَ قَوْمًٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابُّزُوا بِالْأَلْقَابِ إِنَّ الْأَسْمَاءَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.^١

وعن سهل بن حبيب قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا قالوا حريٌ إن خطبَ أن ينكح وإن شفعت وإن قال أن يسمع قال ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين فقال ما تقولون في هذا قالوا حريٌ إن خطبَ أن لا ينكح وإن شفعت لأن لا يسمع وإن قال أن لا يسمع فقال رسول الله ﷺ هذا حيرٌ من ملء الأرض مثل هذا».^٢

وعند ابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدي روى قال: مر على رسول الله ﷺ رجل، فقال النبي ﷺ: «ما تقولون في هذا الرجل؟» قالوا: رأيك في هذا، نقول: هذا من أشراف الناس، هذا حريٌ إن خطبَ، أن يخطبَ، وإن شفعت، أن يشفع، وإن قال، أن يسمع لقوله، سكت النبي ﷺ ومر رجل آخر، فقال النبي ﷺ: «ما تقولون في هذا؟» ، قالوا: نقول، والله يا رسول الله هذا من فقراء المسلمين، هذا حريٌ إن خطبَ، لم ينكح، وإن شفعت، لا يشفع، وإن قال، لا يسمع لقوله، فقال النبي ﷺ: «هذا حيرٌ من ملء الأرض مثل هذا».^٣

لعمْرُكَ مَا إِلْهَانُ إِلَّا بِدِينِكِ فَلَا تَرُكَ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبِ ****

لَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسِ **** وَقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ الشَّقِيقَ أَبَا هَبِ

١ - سورة الحجرات: الآية / ١١

٢ - رواه البخاري - كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، حديث: ٤٨٠٤

٣ - رواه ابن ماجه - كتاب الرهبة، باب فضل الفقراء، حديث: ٤١٢٠

وإن كانت الرفعة والفضل عند الناس بخلاف ذلك قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهمَا: ثلاثة آيات قدر جحدهنَّ الناس، الإذن كله، وقال الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتُقَاتُكُم﴾^١.

قال ويقولون: إنَّ أَكْرَمَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُهُمْ شَأْنًا، قال: قوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾^٢.

السُّخْرِيَّةُ وَالإِسْتِهْزَاءُ مِنْ أَحَصِّ صِفَاتِ الْكُفَّارِ:

قال الله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلُّمَا مَرَ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخِرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخِرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخِرُونَ﴾^٣.

وقال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يُذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَهْزِئُونَ﴾^٤.

أي إذا رأوا حجة من الحجج أو برهان من البراهين التي تدل عليها الآيات القرآنية وفيها دليل وحدانية الله تعالى وتصديق رسول الله قابلو ذلك بالسُّخْرِيَّةِ وَالإِسْتِهْزَاءِ.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيعِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^٥.

وقال الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^٦.

السُّخْرِيَّةُ وَالإِسْتِهْزَاءُ مِنْ أَظْهَرِ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا تَخْرُجُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾^٧.

١ - سورة الحجرات: الآية / ١٣

٢ - سورة النساء: الآية / ٨

٣ - سورة هود: الآية / ٣٨

٤ - سورة الصافات: الآية / ١٢ : ١٤

٥ - سورة الحجر: الآية / ٩ ، ١٠

٦ - سورة يس: الآية / ٣٠

٧ - سورة البقرة: الآية / ١٤

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَوَّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَحْدُثُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .^١

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنُ قُلْ أَدْنُ حَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .^٢

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .^٣

هَىَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالْكَافِرِينَ فِي مَقَالِهِمْ وَفِعَالِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يُعَانِونَ مِنَ الْكَلَامِ مَا فِيهِ تَوْرِيَةٌ لِمَا يَقْصِدُونَهُ مِنَ التَّنْقِيصِ -عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ- فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا: اسْمَعْ لَنَا يَقُولُونَ: رَاعِنَا. يُؤْرُونَ بِالرُّغْوَنَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُخْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيَّا بِالسِّتِّهِمْ وَطَعَنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَكْهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ حَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنْهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ .^٤

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْتَهْزَأَ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: مَنْ أَيِ؟ وَيَقُولُ الرَّجُلُ تَصِلُّ نَاقَتِهِ: أَيْنَ نَاقَتِي؟ " فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءِ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ﴾ ، حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَةِ كُلِّهَا".^٥

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَسْعَمُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هُؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا

١ - سورة التوبه: الآية / ٧٩

٢ - سورة التوبه الآية / ٦١

٣ - سورة البقرة: الآية / ١٠٤

٤ - سورة النساء: الآية / ٤٦ ، تفسير ابن كثير (١ / ٣٧٣)

٥ - رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءِ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ﴾ ، حدث رقم: ٤٦٢٢ ، سورة المائدah: الآية / ١٠١

عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ١.

قال الله تعالى: ﴿وَيَلٌ لِكُلِّ هُمَزةٍ لُمَزَةٍ﴾ ٢.

قال ابن عباس رضي الله عنهم: ﴿هُمَزةٌ لُمَزَةٌ﴾ طعان معياب. وقال الريبع بن أنس: الهمزة، يهمزه في وجه، واللمزة من خلفه. وقال قتادة: يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس، ويطعم عليهم. وقال مجاهد: الهمزة: باليد والعين، واللمزة: باللسان. وهكذا قال ابن زيد. وقال مالك، عن زيد بن أسلم: همسة لحوم الناس.

ثم قال بعضهم: المراد بذلك الأخنس بن شريق. وقيل غيره. وقال مجاهد: هي عامة.

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانَ قَلْبَهُ لَا تَعْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَبَعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَتَبَعُّ اللَّهَ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَبَعُ اللَّهَ عَوْرَتَهُ يَقْضَحُهُ فِي بَيْتِهِ» ٣.

السُّخْرِيَّةُ وَالاسْتِهْرَاءُ سَبَبُ نُسِيَانِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاعْفُرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّى أَسْوَكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَكْبَهُمْ هُمُ الْفَلَائِزُونَ﴾ ٤.

١ - سورة المطففين: الآيات / ٣٦ : ٢٩

٢ - سورة الهمزة الآية / ١

٣ - رواه أحمد - حديث: ١٩٣٥١ ، وأبو داود - كتاب الأدب، باب في العيبة، حديث: ٤٢٥٧

٤ - سورة المؤمنون: الآية / ١٠٩ : ١١١

لقد انشغل الكفار بالسخرية من أهل الإيمان بإشارات أو لغز أو غمز أو اتهام بالرجعية أو الدروشة أو مثل ذلك من ألوان السخرية، لدرجة أنهم نسوا مسألة الإيمان، فما الذي أنساهم ذكر الله؟ لقد أنساهم ذكر الله انشغالهم بالسخرية من أهل الإيمان.^١

السُّخْرِيَّةُ وَالإِسْتِهْزَاءُ قَدْ تَكُونُ كُفُرًا بِاللَّهِ تَعَالَى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَحْنُ ضَحَّاكُمْ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ شَسْتَهُرُّونَ لَا تَعْتَدُرُوا قَدْ كَفَرُوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَكْفُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.^٢

قال القاضي أبو بكر بن العربي: لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جداً أو هزلًا، وهو كييفما كان كفر، فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة. فإن التحقيق أحو العلم والحق، والهزل أحو الباطل والجهل. قال علماؤنا: انظر إلى قوله: "أنتحذنا هزوأ قال أعود بالله أن أكون من الجاهلين".^٣

جزء الاستهزاء والسخرية:

لقد أخبرنا الله عز وجل أن الاستهزاء والسخرية عقاب المعاندين المكذبين المستهزيئين بالرسل والمؤمنين في الدنيا جزاء وفاقا ولا يظلم ربك أحداً، فالجزاء من جنس العمل.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا حَلَوْا إِلَيْ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.^٤

ومعنى قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ﴾ أن الله تعالى يجازيهم على استهزائهم وسخريتهم بالعقاب والعذاب، وقيل: إن الله تعالى يأخذهم من حيث لا يعلمون كما قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدِرُ جُهُنَّمَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقيل: إن الله تعالى يظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلاف ما لهم في الآخرة كما أظهروا للMuslimين خلاف ما أسرعوا به في الدنيا.

١ - تفسير الشعراوي (١٢٩٠ / ١)

٢ - سورة التوبة: الآية/ ٦٥ ، ٦٦

٣ - سورة البقرة: الآية/ ٦٧ ، تفسير القرطبي (١٩٧ / ٨)

٤ - سورة البقرة: الآية/ ١٤ ، ١٥

قال القرطي رحمة الله: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، أي: يتقمّن منهم ويعاقبهم ويُسخر بهم ويجازيهم على استهزائهم فسمى العقوبة باسم الذنب هذا قول الجمهور من العلماء والعرب تستعمل ذلك كثيراً في كلامهم من ذلك قول عمرو بن كلثوم:

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا **** فَنَجْهَلَ فَرْقَ جَهَنَّمَ الْجَاهِلِينَ

وقال قوم: الخداع من الله والاستهزاء هو استدارتهم بدور النعم الدنيوية عليهم فالله سبحانه وتعالي يظهر لهم من الإحسان في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم ويستر عنهم من عذاب الآخرة فيظلون أنه راض عنهم وهو تعالى قد حتم عذابهم فهذا على تأمل البشر كأنه استهزاء ومكر وخداع ودل على هذا التأويل قوله ﴿إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ﴾.^١

وقال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفَلَكَ وَكُلُّمَا مَرَ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنَّمَا تَسْخِرُوْا مِنَنَا فَإِنَّا نَسْخِرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخِرُونَ﴾ * فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ مَنْ يَأْتِيَهُ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ لُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ^٢.

وقال تعالى: ﴿فَالِّيَوْمِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُوْنَ * عَلَى الْأَرَائِكَ يَنْظُرُوْنَ﴾.^٣

١ - تفسير القرطي (١/٢٥٣)، بتصرف

٢ - سورة هود: الآية/٣٨، ٣٩

٣ - سورة المطففين: الآية/٣٤، ٣٥

من آفات اللسان

(المن بالعطية)

تعريف المن:

المن: هو ذكر العطية أو الفعل على صورة يتاذى بها الآخذ والاعتداد به.

قال ابن منظور: المن أن تُنَذَّنَ بما أعطيت وتعتَدَ به.^١

ثواب الصدقة:

قبل أن نتكلم عن حكم المن بالعطية وخطر هذه الصفة القبيحة على صاحبها، نذكر شيئاً من فصل الصدقة ومن عظيم منزلتها إذا خلت من المن والأذى.

المتصدق في ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلة الإمام العادل وشاب نشا في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعوا عليه وتفرقوا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وبهال فقال إني أحافر الله ورجل ثصدق أحفى حتى لا تعلم شمالي ما تُفِقِّيْهُ ورجل ذكر الله حاليا ففاضت عيناه». ^٢

إذا تصدق العبد وعلم الله منه أنه لا يريد بصدقته إلا وجه الله تعالى لا يريد رباء ولا سمعة ولم يعقب صدقته منا ولا أذى كان يوم القيمة في ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله ومن أمارات الإخلاص المبالغة في إخفاء الصدقة.

١ - لسان العرب (٤١٥ / ١٣)

٢ - رواه البخاري - كتاب الرفاق، باب البكاء من خشية الله، حديث: ٦١٢٤، ومسلم - كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة،

حديث: ١٧٧٤

الصَّدَقَةُ فِكَاكُ لِرَقَبَةِ الْعَبْدِ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْحُدَيْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: حَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فِي أَيِّنِي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقُلْنَ وَمَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ثُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَائِكُنَّ قُلْنَ وَمَا نُفْصَانُ دِينِنَا وَعَفْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكَ مِنْ نُفْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَمَمْ تَصُمْ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكَ مِنْ نُفْصَانِ دِينِهَا».^١

فهذا أمر من النبي ﷺ للنساء بالصدقة، حتى تكون صدقاتهن كفارات لما يدرنهن من معاشر توجب لهن النار.

الصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَلَى أَهْلِهَا حَرَرَ الْفُبُورِ، وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ».^٢

الْمُؤْمِنُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ أَوْ قَالَ حَتَّى يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ».^٣

١ - رواه البخاري- كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، حدث: ٣٠٠، ومسلم- كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، حدث: ١٣٩

٢ - رواه الطبراني في الكبير- حدث: ١٤٦٢، والبيهقي في الشعب- التحرير على صدقة التطوع، حدث: ٣١٩٢، بسنده حسن

٣ - رواه أحمد- حدث: ١٧٠٢١، وابن خزيمة- كتاب الزكاة، جماع أبواب صدقة التطوع، باب إظلال الصدقة صاحبها يوم القيمة إلى الفراغ من الحكم بين الناس، حدث: ٢٢٦١، وابن حبان- كتاب الزكاة، باب صدقة التطوع، ذكر البيان بأن ظل كل أمرئ في القيمة يكون صدقته، حدث: ٣٣٦٩ والحاكم في المستدرك- كتاب الزكاة، حدث: ١٤٥٠، والبيهقي في السنن- كتاب الجنائز جماع أبواب صدقة التطوع، باب التحرير على الصدقة وإن قلت، حدث: ٧٢٩٦، والطبراني في الكبير- حدث: ١٤٦٠٥، بسنده صحيح

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَإِنَّمَا يَسْتَطِلُ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ».^١

الصَّدَقَةُ يَضَعِفُ أَجْرُهَا لِصَاحِبِهَا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلٍ تَمَرَّ مَنْ كَسَبَ طَيْبٍ وَلَا يَصْنَعُ إِلَيْهِ اللَّهُ إِلَّا الطَّيْبُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْبُلُهَا بِيمِينِهِ فَيُرِيكُمْ كَمَا يُرِيكُ حَقُولَةً حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أَحْدِدٍ».^٢

حُكْمُ الْمَنِ بِالْعَطِيَّةِ:

المن بالعطية محرم، بل هو كبيرة من الكبائر، يُبطل الشكر، ويُخُجِّل الأجر، ودليل على الدناءة، وسوء الخلق.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّسِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًا وَلَا أَذَى هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَحْمَمْ وَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ حَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالُهُ رِنَاءُ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانِ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابْلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ إِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.^٣

قال الزين بن المنير: وجه الاستدلال من الآية أن الله تعالى شبه مقارنة المن والأذى للصدقة أو إتباعها بذلك بإنفاق الكافر المرأي الذي لا يجد بين يديه شيئاً منه، ومقارنة الرياء من المسلم لصدقته أقبح من مقارنة الإيذاء وأولى أن يشبه بإنفاق الكافر المرأي في إبطال إنفاقه.

وقال القرطيبي: قال جمهور العلماء في هذه الآية: إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمن أو يؤذى بها فإنها لا تقبل، وقيل: بل قد جعل الله للملك عليها أمارة فهو لا يكتبها، وهذا حسن. والعرب تقول لما يمن به: يد سوداء، ولما يعطي عن غير مسألة: يد بيضاء. ولما يعطي عن مسألة: يد خضراء.

١ - تقدم تخرجه.

٢ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، حديث: ١٣٥٥

٣ - سورة البقرة: الآية / ٢٦٢ : ٢٦٤

وقال بعض البلغاء: من مَنْ بِمَعْرُوفِهِ سَقَطَ شَكْرَهُ، وَمَنْ أَعْجَبَ بِعَمَلِهِ حَبَطَ أَجْرَهُ.

وقال بعض الشعراء:

أَبْطَأْ عَلَيْهِ مَكَافَاتِي فِعَادَانِ **** وَصَاحِبُ سَلْفِتِ مِنْهُ إِلَيْ يَدِ

أَبْدَى النَّدَامَةَ فِيمَا كَانَ أَوْلَانِي **** لَمَّا تَيقَنَ أَنَّ الدَّهْرَ حَارَبَنِي

وَقَالَ أَبُو بَكْرَ الْوَرَاقَ فَأَحْسَنَ:

فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمْنٍ **** أَحْسَنَ مِنْ كُلِّ حَسْنٍ

خَالِيَّةً مِنْ الْمَنَنِ **** صَنْيَعَةَ مَرْبُوبَةٍ

وَسَمِعَ ابْنُ سِيرِينَ رَجُلًا يَقُولُ لِرَجُلٍ: وَفَعْلَتِ إِلَيْكَ وَفَعْلْتُ! فَقَالَ لَهُ: اسْكُنْ فَلَا حَيْرَ فِي الْمَعْرُوفِ،
إِذَا أَحْصَيْتَ^١.

وَقَالَ سَفِيَانُ وَالْمَفْضِلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنَاً وَلَا أَذَى﴾، هُوَ أَنْ يَقُولَ أَعْطِيَتِكَ فَمَا شَكَرْتَ.

وَقَالَ الْمُضْحِكُ: أَنْ لَا يَنْفَقَ الرَّجُلُ مَا لَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَنْفَقَهُ ثُمَّ يَتَبَعَهُ مَنَا وَأَذَى.

وَقَالَ الْقَرْطِبِيُّ: مَثَلَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي يَمْنُ وَيُؤْذِي بِصَدَقَتِهِ بِالَّذِي يُنْفِقُ مَا لَهُ رِئَاءُ النَّاسِ لَا لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِالْكَافِرِ الَّذِي يُنْفِقُ لِيُقَالَ جَوَادٌ وَلِيُنْتَيَ عَلَيْهِ بِأَنْواعِ التَّنَاءِ. ثُمَّ مَثَلَ هَذَا الْمُنْفِقَ أَيْضًا بِصَفَوَانِ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَيَظْنُهُ الظَّانُ أَرْضًا مُنْبِتَةً طَيْبَةً، فَإِذَا أَصَابَهُ وَأَبْلَى مِنَ الْمَطَرِ أَدْهَبَ عَنْهُ التُّرَابَ وَبَقَى صَلْدًا، فَكَذَلِكَ هَذَا الْمُرَأَى. فَالْمَنُّ وَالْأَذَى وَالرِّيَاءُ تَكْشِفُ عَنِ النِّسَيَةِ فِي الْآخِرَةِ فَتَبْطُلُ الصَّدَقَةُ كَمَا يَكْشِفُ الْوَابِلُ عَنِ الصَّفَوَانِ، وَهُوَ الْحَجَرُ الْكَبِيرُ الْأَمْلَسُ.^٢

١ - تفسير القرطبي (٣١٢ / ٣)

٢ - تفسير القرطبي (٣١٢ / ٣)

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: وَكَانَ أَبِي يَقُولُ: «إِنْ أُذِنَ لَكَ أَنْ تُعْطِي مِنْ هَذَا شَيْئًا، أَوْ تَقْوِي فَقَوْيَتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَظَنَنتَ أَنَّهُ يَنْقُلُ عَلَيْهِ سَلَامُكَ فَكُفَّ سَلَامَكَ عَنْهُ» قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ السَّلَامِ».

وَقَالَتْ امْرَأَةٌ لِزِيدَ بْنَ أَسْلَمَ: يَا أَبَا أَسَامَةَ، تَدْلُنِي عَلَى رَجُلٍ يَخْرُجُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَقًّا، فَإِنَّمَا لَا يَخْرُجُونَ إِلَّا لِيَأْكُلُوا الْفَوَاكِهِ، عِنْدِي جَعْبَةٌ وَأَسْهُمٌ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا: لَا بَارَكَ اللَّهُ لَكِ فِي جَعْبَتِكَ، وَلَا فِي أَسْهُمِكَ، فَقَدْ آذَيْتِهِمْ قَبْلَ أَنْ تُعْطِيَهُمْ». ^١

الْمَنَانُ لَا يُكَلِّمُهُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ أَبِي ذِرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ». قُلْتُ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُدْحَابُوْا وَحَسِرُوا أَعَادَهَا ثَلَاثَةً. قُلْتُ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَابُّوْا وَحَسِرُوا فَقَالَ «الْمُسِبِلُ وَالْمَنَانُ وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْخَلِفِ الْكَاذِبِ».^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ، وَمُدْمِنُ الْحَمْرِ، وَالْمَنَانُ بِمَا أَعْطَى».^٣

لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَانُ:

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْحَدْرَبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ حَمْسٍ مُدْمِنٍ حَمْرٍ وَلَا مُؤْمِنٍ بِسِحْرٍ وَلَا قَاطِعٍ رَحِمٍ وَلَا كَاهِنٌ وَلَا مَنَانٌ».^٤

وَعَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُدْمِنٍ حَمْرٍ، وَلَا عَاقٌ، وَلَا مَنَانٌ».^٥

١ - تفسير الطبرى (٥١٩ / ٥)، تفسير التعلبي (٢٥٩ / ٢)

٢ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان غلط تحريم إسبال الإزار، حديث: ١٧٩

٣ - رواه أحمد - حديث: ٦١٨٠، والنسائي - كتاب الزكاة، المنان بما أعطى، حديث: ٢٥٢٨، وابن حبان - كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة، ذكر نفي نظر الله تعالى وعلاء في القيامة إلى أقوام من أجل أفعال ارتكبواها، حديث: ٧٤٤٨، بسنده صحيح

٤ - رواه أحمد - حديث: ١٠٨٩٥، بسنده صحيح

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌ، وَلَا مَنَّانٌ، وَلَا مُكَذِّبٌ بِالْقَدَرِ».^١

الْمَنُّ بِالْعَطِيَّةِ يُطِلِّ ثَوَابَهَا:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمُنَّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ فَمَنْهُ كَمِثْلِ صَفْوَانِ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَإِلَيْهِ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ إِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.^٢

الْمَنُّ بِالْعَطِيَّةِ مِنْ مَسَاوِيِ الْأَخْلَاقِ:

قال القرطبي: المن يقع غالباً من البخل والعجب، فالبخيل تعظم في نفسه العطية، وإن كانت حقيقة في نفسها، والعجب يحمله العجب على النظر لنفسه بعين العظمة، وأنه منعم بماله على المغطى، ووجب ذلك كله الجهل، ونسيان نعمة الله فيما أنعم به عليه.

وقال بعض السلف: من منْ بمعرفته سقط شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره.

وصدق القائل:

لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أَعْطَى بِمَنَانٍ

أَفْسَدَتْ بِالْمُنَّ مَا قَدَّمَتْ مِنْ حَسْنٍ

الْمَنُّ بِالْعَطِيَّةِ مِنْ أَسْبَابِ الضَّغِيْنَةِ:

وأنشد الشافعي:

بَأْنَ يَنْهَا عَلَيْكَ مِنْتَة

لَا تَحْمِلْ مِنَ الْآنَامِ

٥ - رواه الطبراني في الكبير حدث: ١٠٩٦٣ ، والخرائطي في مساوى الأخلاق- باب ما جاء فيمن يعطي العطية ويفسح بها من الكراهة، حدث: ٦٧١ ، بسنده حسن

١ - رواه الطيالسي - حدث: ١٢١٢ ، بسنده حسن

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٢٦٤

واصبر فإن الصبر جنة

واختر لنفسك حظها

أشد من وقع الأسنة

من الرجال على القلوب

المَنْ يَكُونُ بِالْعَطِيَّةِ وَبِغَيْرِهَا:

وكما يكون المن بالعطية يكون بغيرها كذلك، قال الله تعالى: ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَأْكُمْ لِإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^١.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةِ بْنِ عَاصِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤْلَفَةِ فُلُوْجُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَانُوكُمْ وَجَدُوكُمْ إِذْمَ يُصْبِحُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبُوكُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَمَّا أَجِدُكُمْ ضُلُّالًا فَهَدَأْكُمُ اللَّهُ يَبِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَالْفَكُمُ اللَّهُ يَبِي، وَعَالَةً فَأَعْنَاكُمُ اللَّهُ يَبِي» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ يُبَحِّبُوْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ، قَالَ: «لَوْ شِئْتُمْ فُلُوْجَكُمْ: جُهْنَمَ كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَّعِيرِ، وَتَدْهِبُونَ بِالنَّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرًا مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيَا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَاعٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرًا، فَاصْبِرُوْ حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».^٢

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ:

فَلَحْيُرُ دَهْرِكَ أَنْ ثُرَى مَسْؤُولاً

لَا تَدْخُلَنَكَ ضَجْرَةً مِنْ سَائِلٍ

فَبَقَاءُ عِزِّكَ أَنْ ثُرَى مَأْمُولاً

لَا تَجْبَهَنَ بِالرَّدِّ وَجْهَ مُؤْمِلٍ

١ - سورة الحجرات: الآية /١٧/

٢ - رواه البخاري - كتاب المغازي، باب عزوة الطائف، حدث: ٤٣٠ ، ومسلم - كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة فلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، حدث: ١٠٦١

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الْحَلِيفُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى)

تَعْرِيفُ الْحَلِيفِ:

الْحَلِيفُ لِغَةً: هُوَ الْقَسْمُ.

قالُ الْخَلِيلُ: الْحَلْفُ وَالْحَلِيفُ لِغَانِ فِي الْقَسْمِ.^١

وَيُطَلَّقُ الْحَلِيفُ عَلَى الْيَمِينِ وَالْإِيَالِاءِ وَالْقَسْمِ وَهِيَ الْفَاظُ مُتَقَارِبةٌ.

وَالْفَرقُ بَيْنَ الْقَسْمِ وَالْحَلِيفِ: أَنَّ الْقَسْمَ أَبْلَغُ مِنَ الْحَلْفِ لِأَنَّ مَعْنَى قَوْلِنَا أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَنَّهُ صَارَ ذَاهِبًا بِاللَّهِ، وَالْقَسْمُ النَّصِيبُ وَالْمَرَادُ أَنَّ الْذِي أَقْسَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ قَدْ أَحْرَزَهُ وَدَفَعَ عَنْهُ الْخَصْمُ بِاللَّهِ، وَالْحَلْفُ مِنْ قَوْلِكَ سَيِّفُ حَلِيفٍ أَيْ قَاطِعٍ مَاضٍ إِذَا قَلْتَ حَلْفًا بِاللَّهِ فَكَانَكَ قَلْتَ قَطْعًا مَخَاصِمًا بِاللَّهِ فَالْأَوَّلُ أَبْلَغُ لِأَنَّهُ يَضْمُنُ مَعْنَى الْآخِرِ مَعَ دَفْعِ الْخَصْمِ فِيهِ مَعْنَى وَقَوْلِنَا حَلْفٌ يَفِيدُ مَعْنَى وَاحِدًا وَهُوَ قَطْعًا مَخَاصِمًا فَقَطْ وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ أَحْرَزَ الشَّيْءَ بِاسْتِحْقَاقِهِ فِي الظَّاهِرِ فَلَا خَصُومَةَ بَيْنِهِ وَبَيْنِ أَحَدٍ فِيهِ وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ دَفَعَ الْخَصُومَةَ فِي الشَّيْءِ فَقَدْ أَحْرَزَهُ، وَالْيَمِينُ اسْمُ الْقَسْمِ مُسْتَعَارٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَقَاسَمُوا عَلَى شَيْءٍ تَصَافَقُوا بِأَيْمَانِهِمْ ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى سُمِيَ الْقَسْمُ بِيَمِينًا.^٢

وَالْأَيْمَانُ جَمْعُ يَمِينٍ وَهِيَ لُغَةُ الْيَدِ الْيُمْنَى وَأُطْلِقَتْ عَلَى الْحَلِيفِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَحَالَّفُوا أَحَدُ كُلِّ يَمِينٍ صَاحِبِهِ وَقَيْلَ لِأَنَّهَا تَحْفَظُ الشَّيْءَ عَلَى الْحَالِيفِ كَمَا تَحْفَظُهُ الْيَدُ.

وَالْحَلِيفُ اصْطِلَاحًا هُوَ: تَحْقِيقُ أَمْرٍ غَيْرِ ثَابِتٍ، مَاضِيًا كَانَ أَوْ مُسْتَقْبَلًا، نَفِيًّا أَوْ إِثْبَاتًا، مُمْكِنًا أَوْ مُمْتَنِعًا، مَعَ الْعِلْمِ بِالْحَالِ، أَوْ مَعَ الْجَهْلِ بِهِ.

١ - كتاب العين (٣ / ٢٣١)

٢ - الفروق اللغوية (١ / ٤٢٩)

الْيَمِينُ أَقْسَامٌ ثَلَاثَةُ:

الْأَوَّلُ: الْيَمِينُ الْغَمُوسُ:

وَهِيَ أَنْ يَحْلِفُ عَلَى أَمْرٍ مَاضٍ كَادِبًا عَالِمًا.

وَسَمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَكْثَرَ تَعْمِسُ صَاحِبَهَا فِي الْإِثْمِ أَوْ فِي النَّارِ وَهِيَ مِنَ الْكَبَائِرِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَخَذُوا أَيْمَانَكُمْ دَحَّلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِّلُ قَدْمٌ بَعْدَ ثُبُوكُمْ وَتَذُوْقُوا السُّوءَ إِمَّا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^١.

وَمَعْنَى دَحَّلًا أَيْ مَكْرُّرًا وَخِيَانَةً.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكَبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ»^٢.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْكَبَائِرُ قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ الْيَمِينُ الْغَمُوسُ قُلْتُ وَمَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ قَالَ الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ»^٣.

وَاخْلَتَفَ الْعُلَمَاءُ هُلْ فِيهَا كَفَارَةً أَمْ لَا؟

عَلَى قَوْلِيْنِ:

أَوَّلُهُمَا: فِيهَا كَفَارَةٌ لِقُولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ إِمَّا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾، الْآيَةُ [الْمَائِدَةَ: ٨٩]؛ وَلِأَنَّهُ حَلَفَ بِاللَّهِ وَهُوَ مُحْتَارٌ كَاذِبٌ فَصَارَ كَمَا لَوْ حَلَفَ عَلَى مُسْتَقْبَلٍ وَالْإِثْمُ لَا يَمْنَعُ وُجُوهَكُمْ كَمَا فِي الظِّهَارِ وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَالْأَوْزَاعِيِّ.

١ - سورة النحل: الآية ٩٢

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْأَيْمَانِ وَالنِّذْوَرِ، بَابُ الْيَمِينِ الْغَمُوسِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٦٣٠٩

٣ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ اسْتِنَابَةِ الْمُرْتَدِينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقَاتِلِهِمْ، بَابُ إِثْمٍ مِنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٦٥٣٨

ثَالِثُهُمَا: يَمِينٌ لِيَسْ فِيهَا كَفَارَةً. وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكُ، وَسُفْيَانُ التَّوْرِيُّ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، وَاسْتَدَلُوا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ إِمَّا عَقْدُمُ الْأَيْمَانَ﴾.^١

وَعَقْدُ الْيَمِينِ مَا اتَّزَمَ فِعْلًا مُسْتَقْبَلًا يَرَدَّدُ بَيْنَ حِنْثٍ وَبِرٍّ، فَحَرَجَتِ الْيَمِينُ الْعَمُوسُ مِنَ الْأَيْمَانِ الْمَعْفُودَةِ، فَلَمْ يَلْزِمْ إِيمَانَ كَفَارَةً.

الثَّالِثُ: الْيَمِينُ الْمُنْعَقِدَةُ:

وَهِيَ الْيَمِينُ الَّتِي قَصَدَ عَقْدَهَا عَلَى أَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ مُمْكِنٍ.

الثَّالِثُ: الْيَمِينُ الْلَّغُوُ:

وَهِيَ الْيَمِينُ الَّتِي تَجْرِي عَلَى لِسَانِ الْحَالِفِ بِغَيْرِ قَصْدِ الْحَلْفِ كَقُولَهُ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ: (لَا وَاللَّهُ، وَلِيَ وَاللَّهُ).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغُوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ إِمَّا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيلٌ﴾.^٢

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَافٍ مَهِينٍ﴾.^٣

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحْمَةُ اللَّهِ: وَذَلِكَ أَنَّ الْكَاذِبَ لِضَعْفِهِ وَمَهَانَتِهِ إِنَّمَا يَتَقَى بِأَيْمَانِهِ الْكَاذِبَةِ الَّتِي يَجْتَرِئُ بِهَا عَلَى أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاسْتَعْمَلُهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ فِي غَيْرِ مُحْلِهَا.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَقُولُ وَأَبِي وَأَبِي فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَخْلُفُوا بِآيَاتِكُمْ» قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهِ ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا.

١ - سورة المائدة: الآية / ٨٩

٢ - سورة البقرة: الآية / ٢٢٥

٣ - سورة القلم: الآية / ١٠

٤ - تفسير ابن كثير (١٩٠ / ٨)

٥ - رواه البيهقي في السنن - كتاب الأيمان، باب كراهيۃ الحلف بغير الله عز وجل، حديث رقم: ١٨٤٥٠

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ وَلَا بِالْأَنْدَادِ وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ».^١

وعَنْ أَبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَّفَ بِاللَّهِ فَلَيَصُدِّقُ، وَمَنْ حُلِّفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلَيَرِضَ، وَمَنْ لَمْ يَرِضَ فَلَيَسَ مِنَ اللَّهِ».^٢

كَرَاهِيَّةُ كَثْرَةِ الْحَلْفِ:

قالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَافٍ مَهِينٍ».^٣

وهذه الآية الكريمة فيها ذم لكثرة الحلف، لأنها تشعر بأن العبد إذا كان كثير الحلف فليس لله تعالى في قلبه من الورق ما يمنعه عن الاجتراء على القسم بالله تعالى على الكبير والصغر والمظيم والحقير.

قال أبو حيان: لأن الحلف مجترئ على الله، غير معظم له، فلا يكون برأً متقياً، ولا يثق به الناس، فلا يدخلونه في وساطتهم وإصلاح بذات بينهم.^٤

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَيْرٌ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلْوُنُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوُهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوُهُمْ ثُمَّ يَجِيئُهُمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةً أَحَدِهِمْ يَكِينُهُ وَيَكِينُهُ شَهَادَةً».^٥

قال البيهقي: ويحتمل أن يكون المراد به في حديث ابن مسعود وعمران الرجل يشهد بما لا يعلم يكون شاهد زور، وقد قيل: المراد به كراهة الحلف في الشهادة والإكثار منه.

قال ابن حجر: قال ابن الجوزي: الْمُرَادُ أَهُمْ لَا يَتَوَرَّعُونَ وَيَسْتَهِينُونَ بِأَمْرِ الشَّهَادَةِ وَالْيَمِينِ.^٦

١ - رواه أبو داود (٢١٧ / ٣)

٢ - رواه ابن ماجه - كتاب الكفارات، باب من حلف له بالله فليرض، حديث: ٢٠٩٨، بسنده صحيح

٣ - سورة القلم: الآية / ١٠

٤ - تفسير البحر المحيط (١٨٩ / ٢)

٥ - رواه البخاري - كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، حديث: ٢٥٣٠، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلوهم ثم الذين يلهمون، حديث: ٤٧٠٤

٦ - فتح الباري لابن حجر (١٦١ / ٨)

قال القاضي عياض: وقيل معناه هنا يختلفون كذبا ولا يستختلفون.^١

الْحَلِيفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَحْقَةٌ لِلرِّبْحِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْحَلِيفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَحْقَةٌ لِلرِّبْحِ».^٢

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلا أقام سلعة وهو في السوق فخلف بالله لقد أعطي لها ما لم يعط ليوقيع فيها رجلا من المسلمين فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُكُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَآئِمَانِهِمْ ثُمَّا قَلِيلًا﴾ الآية.^٣

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "أيمان اللغو ما كان في المرأة وأهمل ومزاح الحديث الذي لا يعتقد عليه القلب، وإنما الكفار في كل يمين حلقتها على جدي من الأمر في غضب، أو غيره: لتفعلن، أو لترتكبن، فدلل عقد الأيمان التي فرض الله فيها الكفار".^٤

قال البخاري رحمه الله: باب: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغُوِ فِي آيَاتِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فُلُوْبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾. ثم روى بسنده عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغُوِ فِي آيَاتِكُمْ﴾، قالت: أنزلت في قوله لا والله، بل والله.^٥

خَطْرُ الْحَلِيفِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: لَأَنْ أَخْلِفَ بِاللَّهِ كَادِبًا أَخْبُ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَخْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا.^٦

١ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢٥٩ / ٢)

٢ - رواه البخاري - كتاب البيوع، باب يتحقق الله الربا ويりي الصدقات والله لا يحب كل، حدث: ١٩٩٧، ومسلم - كتاب المسافة، باب النهي عن الحلف في البيع حدث: ٣٠٩٩

٣ - رواه البخاري - كتاب البيوع، باب ما يكره من الحلف في البيع، حدث: ١٩٩٨

٤ - رواه البيهقي في السنن الكبرى - حدث رقم: ١٩٩٣٥

٥ - رواه البخاري - كتاب الأيمان والنذور، باب لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم، حدث: ٦٢٩٧

٦ - رواه الطبراني في الكبير - حدث: ٨٧٦٨، وعبد الرزاق في مصنفه - كتاب الأيمان والنذور، باب الأيمان، حدث: ١٥٤٠٢، وابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب الأيمان والنذور والكافرات، الرجل يخلف بغير الله أو بأبيه، حدث: ١٣٨٤١، بسنده صحيح

الحلف بغير الله تعالى شرك:

عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ سَعَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا يَخْلُفُ لَا وَالْكَعْبَةِ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ». ^١

مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ:

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الصَّحَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَفَتِلِهِ وَمَنْ قَدَّفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَفَنِلِهِ». ^٢

الحلف بغير الله تعالى منهى عنه:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْحَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَسِيرُ فِي رُكْبٍ يَخْلُفُ بِأَيِّهِ فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَا كُمْ أَنْ تَخْلُفُوا بِآبائِكُمْ مَنْ كَانَ حَالَفًا فَلَيَخْلُفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْنُمْ». قَالَ عُمَرُ فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ إِلَّا مُنْدُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا. ^٣

حكم الحلف بالأمانة:

الحلف بالأمانة ليس من دين الله تعالى، بل هو منهي عنه، وذلك لأن الحلف يجوز أن يكون بغير الله تعالى.

فَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيُسِنَ مِنَّا». ^٤

١ - رواه أحمد - حديث: ٥٩٠٥، وأبو داود - كتاب الأيمان والندور، باب في كراهة الحلف بالأباء، حديث: ٢٨٤٥، والترمذى - أبواب الندور والأيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء أن من حلف بغير الله فقد أشرك، حديث: ١٤٩٦، بسنده صحيح

٢ - رواه البخارى - كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعنة، حديث: ٥٧٠٧

٣ - رواه البخارى - كتاب الأيمان والندور، باب لا تخلفوا بآبائكم، حديث رقم: ٦٢٨٢، ورواه مسلم، كتاب الأيمان باب النهى عن الحلف بغير الله تعالى، حديث رقم: ٣١٨٩

٤ - رواه أبو داود - كتاب الأيمان والندور، في باب كراهة الحلف بالأمانة، حديث رقم: ٢٨٤٧

مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ فَرَأَىٰ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا:

الواجب على من حَلَفَ عَلَى مَا يَعْلَمُ فَرَأَى غَيْرَهَا حَيْرًا مِّنْهَا، أن يكفر عن ميمنه ويأتي الذي هو خير، بعض الناس قد يحلف لا يكلم أحدًا، أو لا يدخل له بيته، فليس من البر اللجاجة في الخصم، ولا قطعة الأرحام.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبْرُوْ وَتَنْقُوْ وَتُصْبِلُحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ .^١

قال العالمة الشنقيطي رحمة الله: (أي لا تحلفوا بالله عن فعل الخير، فإذا قيل لكم: اتقوا وبروا، وأصلحوا بين الناس قلتم: حلفنا بالله لا نفعل ذلك، فتجعلوا الحلف بالله سبباً لامتناع من فعل الخير).
انتهٰي^٢

وَعَنْ أَيِّ هُرِيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَيُؤْتِي
الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَلَا يَكُونُ عَنْ يَمِينِهِ». ٣

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ عَنْ جِهَتِهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَخْلِفُ عَلَىٰ يَمِينٍ فَأَرَىٰ غَيْرَهَا حَيْثُمَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحْكَمَتْ لَهَا».^٤

1

١ - سورة البقرة: الآية / ٢٢٤

٢ - أضواء البيان (٤٨٧ / ٥)

^٣ - رواه مسلم - كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها، حديث رقم: ٣١٩٨

٤ - رواه البخاري- كتاب فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين، حديث: ٢٩٨١، ومسلم- كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها، حديث: ٣١٩٦

مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ

(لُزُومُ الْعَبْدِ بَيْتَهُ)

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسْعُكَ بَيْتُكَ وَابْنُكَ عَلَى حَطِيقَتِكَ». ^١

فائدة لزوم العبد بيته:

لزوم البيت أمان من الفتن:

والفتن نوعان الذنوب والمعاصي، والفتن التي توج موج البحر.

ومن الفتن الذنوب والمعاصي وقد دل على ذلك ما رواه حذيفة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «تُعرَضُ الْفِتْنَ عَلَى الْقُلُوبِ عَرْضَ الْحَصِيرِ فَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بِيَضَاءٍ وَأَيُّ قَلْبٍ أَبْشَرَ إِلَيْهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءً حَتَّى تَصِيرَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ أَبْيَضُ مِثْلُ الصَّفَا لَا يَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالآخْرُ أَسْوَدُ مُرْبَدُ كَالْكُورُ مُجْحِيَا وَأَمَالَ كَفَهُ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ». ^٢

والفتن نوعان: الذنوب والمعاصي، والفتن التي توج موج البحر فعن حذيفة، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أيةكم يحفظ قول رسول الله صلوات الله عليه وسلم في الفتنة؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ كما قال، قال: هات، إِنَّكَ جَرِيءً، قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، ثُكْفِرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهِيُّ عَنِ الْمُنْكَرِ»، قال: ليس هذِه، ولكن التي توج كموج البحر، قال: يا أمير المؤمنين، لا بأس عليك منها، إن بيتك وبيتها باباً مغلقاً، قال: يفتح الباب أو يكسر؟ قال: لا، بل يُكسر،

١ - رواه أحمد، والترمذى بسنده صحيح وقد تقدم

٢ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، حديث: ٢٣٣

قال: ذاك أحرى أن لا يُعقل، قلنا: علِمَ عمرُ الباب؟ قال: نعم، كما أن دون غدِ الليلة، إني حدثته حدِيثاً ليس بالغالط، فهبنا أن نسألُه، وأمرنا مسروقاً فسأله فقال: من الباب؟، قال: عمرٌ.

لزوم البيت أمانٌ من كثيرٍ من الذنوب والمعاصي:

من فوائد لزوم المسلم بيته أن في لزوم البيت أمان من كثير من الذنوب والمعاصي، فمن ذلك النظر إلى الحرام، لاسيما في كثير من المجتمعات التي يكثر فيها الاختلاط، وإلف المعاصي، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك الوقوع في الغيبة والنميمة والبهتان لاسيما في كثير من المجالس التي تخلوا من ذكر الله تعالى.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إيّاكُمْ واجلوسُ في الطُّرُقَاتِ». قالوا يا رسول الله ما لنا بُدُّ من مجالسنا نتَحدَّثُ فيها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا أبَيْتُم إلَّا المَجْلِسَ فاعطُوهُ الطَّرِيقَ حَفَّةً» قالوا: وما حَفَّةً قال «عَصُّ الْبَصَرَ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ».

لزوم البيت أمانٌ من الفتن التي تُوجِّه كموج البحر:

ومن فوائد لزوم المسلم بيته أن في لزوم البيت أمان من الفتن التي تُوجِّه كموج البحر، التي يصبح فيها العبد مؤمناً ويمسي كافراً عياذاً بالله أو يمسى مؤمناً ويصبح كافراً.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطْعِ اللَّيلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبْيَعُ دِينَهُ بِعَرَضِ مِنَ الدُّنْيَا».

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف أنت يا أبا ذر ومؤمناً يُصيِّبُ الناسَ حَتَّى يُقَوِّمَ الْبَيْتُ بِالْوَصِيفِ؟» - يعني القبر - قلت: ما حَارَ الله لي ورسوله - أَوْ قال: الله ورسوله أعلم - قال: «تصَرَّر» قال: «كيف أنت، وجُوغاً يُصيِّبُ النَّاسَ، حَتَّى تَأْتِي مَسْجِدَكَ فَلَا تَسْتَطِعُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِكَ، وَلَا

١ - رواه البخاري - كتاب الفتنة، باب الفتنة التي تُوجِّه كموج البحر، حديث: ٦٧٠١، ومسلم - كتاب الفتنة التي تُوجِّه كموج البحر، حديث: ٧٠٩٦

٢ - رواه البخاري - كتاب الاستئذان، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا﴾، حديث: ٥٨٨٤، ومسلم - كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، حديث: ٤٠٥٤

٣ - رواه مسلم - كتاب الأيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل ظاهر الفتنة، حديث: ١٨٦

شَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - أَوْ مَا حَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ - قَالَ: «عَيْنِكَ بِالْعَفَةِ» ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ أَنْتَ، وَقَنْلًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى تُعْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ بِالدَّمِ؟» قُلْتُ: مَا حَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: «الْحَقُّ مِنْ أَنْتَ مِنْهُ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا آخُذُ بِسَيْفِي، فَأَضْرِبَ بِهِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، قَالَ: «شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذَا، وَلَكِنِ ادْخُلْ بَيْتَكَ»، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ دُخِلَ بَيْتِي؟ قَالَ: «إِنْ حَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعاعُ السَّيْفِ، فَالْقِلِّ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ، فَيُبُوءُ بِإِثْمِكَ، فَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ». ^١

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ بَيْنَمَا تَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَحَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هَكَّا». وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ قَالَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ كَيْفَ أَفْعَلْ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: «الْزَمْ بَيْتَكَ وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَيْنِكَ بِأَمْرِ خَاصَّةٍ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ». ^٢

استحباب صلاة النوافل في البيوت:

من فوائد لزوم المسلم بيته ما يحصل في البيت من البركة والخير بسبب الصلاة، وتلاوة القرآن، وتنمية الروابط الاجتماعية بين أفراد الأسرة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «اجْعِلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ وَلَا تَتَخَذُوهَا قُبُورًا». ^٣

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه أَخْذَ حُجْرَةً فِي الْمَسْجِدِ مِنْ حَصِيرٍ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه فِيهَا لَيَالِي، حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ، ثُمَّ فَقَدُوا صَوْتَهُ لَيْلَةً فَظَنُوا أَنَّهُ قَدْ نَامَ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَتَنَحَّى لِيَخْرُجَ إِلَيْهِمْ

١ - رواه أحمد - حديث: ٢٠٩١٩، وأبو داود - كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة، حديث: ٣٧٣٥، وابن ماجه - كتاب الفتنة، باب التشتت في الفتنة، حديث: ٣٩٥٦، وابن حبان - ذكر البيان بأن على المرأة عند وقوع الفتنة العزلة والسكنون، حديث: ٦٠٤٥ بسنده صحيح

٢ - رواه أحمد - حديث: ٦٨٢٧، ورواه أبو داود - كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، حديث: ٣٨٠١، بسنده صحيح

٣ - رواه البخاري - كتاب الصلاة، أبواب استقبال القبلة، باب كراهة الصلاة في المقابر، حديث: ٤٢٤، ومسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، حديث: ١٣٣٦

فَقَالَ: «مَا زَالَ بِكُمُ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ صَنِيعِكُمْ، حَتَّىٰ حَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمْ، وَلَوْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ مَا قُمْتُ بِهِ فَصَلَوَا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةَ الْمَرءِ فِي بَيْتِهِ، إِلَّا الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ».^١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرُءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَدْخُلُ بَيْتًا يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ».^٢

وَعَنْ عَاصِمَ بْنِ عَمْرِو الْجَلَبِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَأَلُوا عُمَرَ بْنَ الْحَطَّابِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا أَتَيْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ عَنْ صَلَاةِ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ تَطْوِعاً وَعَنِ الْعُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ وَعَنِ الرَّجُلِ مَا يَصْلُحُ لَهُ مِنْ امْرَأَتِهِ إِذَا كَانَتْ حَائِضًا فَقَالَ أَسْحَارُ أَنْتُمْ لَقَدْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدُ مُنْذُ سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ تَطْوِعاً نُورٌ فَمَنْ شَاءَ نَوَّرَ بَيْتَهُ» وَقَالَ فِي الْعُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ: «يَعْسِلُ فَرْجَهُ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ثُمَّ يُفِيضُ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثًا». وَقَالَ فِي الْحَائِضِ «لَهُ مَا فَوْقَ الْإِزارِ».^٣

حسن تربية الأولاد:

من فوائد ملازمة البيت إلا ما لابد منه كالصلة المفروضة، وكسب المعاش، وحضور الجمع والجماعات والعيدان، وعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وصلة الأرحام، وحضور مجالس العلم، وغيرها مما يحتاجه العبد في حياته، ومنها تعاهد الأهل والأولاد بال التربية، وما يؤسف له أن كثيراً من الناس يتربكون أولادهم بلا تربية ولا تأديب، ومنهم من يسلم أولاده إلى الخدم ليتولوا تربيتهم، ومنهم من يسلّم لهم لوسائل الإعلام، يأخذون منها دينهم ويستقون منها عقيدتهم، ومنهم من يسلم أولادهم لقرائهم يتعلمون منهم ويتخلقون بأخلاقهم، فإذا ما وجد انحرافاً في سلوك أولاده، واعوجاجاً في أخلاقهم، تملّكه العجب، ولم يعلم أنه إنما أتي من قبل فعله السيئ وعمله القبيح، لأنّه من أحوال المقاهي مثلاً، أو لأنه لا يرى أولاده إلا نادراً، ولا يعرف عنهم أكثر مما يعرفه الغريب، وأنا أذكر هنا نقاطاً تعين في تربية الأولاد هي

١ - رواه البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتتكلف ما لا يعنيه، حديث: ٦٨٨١، ومسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، حديث: ١٣٤١

٢ - رواه الحاكم - كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضل سورة البقرة، حديث: ٢٠٠٥، والطبراني في الكبير - حديث: ٨٥٢٢

٣ - رواه أحمد - حديث: ٨٧

عبارة عن منهج الإسلام في تربية الأولاد، ومع ذلك فهي لا تضمن هدايتهم وصلاحهم وإنما هدايتهم وصلاحهم من الله تعالى.

لذلك قيل:

ليـس اليـتـيمـ من اـنتـهـيـ أـبـواـهـ * * * * *
إـنـ اليـتـيمـ هو الـذـي تـلـقـىـ لـهـ * * * * *
مـشـغـولـاـ

* * * * *

مسئولية الآباء نحو أبنائهم

الأبناء أمانة استودعها الله تعالى الآباء والأمهات، يجب عليهم حفظها من أسباب التلف، وسبل الهلاك، ويجب عليهم تعهدها بالرعاية، كما يتعهد النبات ويحفظ من سائر الآفات.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُوْنَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِنُوْنَ﴾^١.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن الله سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَإِلَمَّا مُرِعِيْتُمْ رَاعِيْهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيْةٌ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».^٢

وما يؤسف له أن كثيراً من الناس لا يعرف قدر هذه المسؤولية، ولا عظم هذه الأمانة، فيفرط فيها أياها تفريط، ويضيعها من حيث يحسب أنه يحفظها.

ولا شك أن للتغريب في تربية الأولاد عاقبة وخيمة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا العقوبة أثر من آثار هذا التغريب، وفي الآخرة حرمان الجنة أثر التغريب في تربيتهم؛ لأنهم أمانة في عنق الأبوين.

فعن الحسن قال: عاد عبيد الله بن زياد معمقل بن يسار المريني رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه فقال معمقل إني حديثك حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت أن لي حياةً ما حدثتك إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد يسْتَرْعِيْهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».^٣

١ - سورة التحرير: الآية /٦

٢ - رواه البخاري - كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، حديث: ٨٦٧، ومسلم - كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، حديث: ٣٤٩٦

٣ - رواه البخاري - كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، حديث: ٦٧٥١، ومسلم - كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعايته النار، حديث: ٢٢٩

متى تبدأ تربية الأولاد؟

قد يعجب كثيرون من الناس عندما يعلمون أن تربية الأبناء تبدأ قبل إنجابهم؛ بل تبدأ من لحظة اختيار الزوجة التي ستكون أما لهؤلاء الأولاد.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: «تُنكحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَا لَهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَاهِرًا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ».^١

وإرشاد النبي ﷺ لذات الدين لأنها ستكون أما للأولاد، ومربيه ومعلمة لهم، فإذا كانت عارية من الأخلاق، فقيرة في دينها، كان أولادها كذلك؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَحَبِّرُوا لِنُطْفَكُمْ، وَأَنْكِحُوهُمُ الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوهُمْ إِلَيْهِمْ».^٢

١ - رواه البخاري - كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، حديث: ٤٨٠٣، ومسلم - كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، حديث: ٢٧٣٩

٢ - رواه ابن ماجه - كتاب النكاح، باب الأكفاء، حديث: ١٩٦٤، والبيهقي في السنن - كتاب النكاح، جماع أبواب اجتماع الولاية، باب اعتبار الكفاءة، حديث: ١٢٨٥٥، بسنده صحيح

مقومات التربية السليمة:

السعى في إصلاح العبد لنفسه والمداومة على التقوى:

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَخُشَّ الَّذِينَ لَوْ تَرْكُوا مِنْ حَلْفِهِمْ ذُرَيْةً ضَعَافًا حَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَقْفُوا اللَّهُ وَلَيَقُولُوا قَوْلًا﴾

سدِيداً^١.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِعَالَمِينَ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشْدَدَهُمَا وَيَسْتَحْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلُتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلٌ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^٢.

فقد يحفظ الله ذرية العبد بسبب صلاحه بعد موته كما في الآية السابقة فقد كانت علة بناء الحضر للجدار هي ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فقد حفظهما الله تعالى بصلاح أبيهما.

قال سعيد بن المسيب لابنه: لآزيدن في صلاتي من أجلك، رجاءً أن أحفظ فيك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾^٣.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه.

وقال ابن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولديه والدؤرات التي حوله فما يزالون في حفظ من الله وستره^٤.

١ - سورة النساء: الآية/٩

٢ - سورة الكهف: الآية/٨٢

٣ - سورة الكهف: الآية/٨٢

٤ - جامع العلوم والحكم (٤٦٧ / ١)

غرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم:

إن غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأولاد يجب أن يكون على رأس الأولويات بالنسبة للأباء، ولم لا؟ وذلك من مقاصد الشريعة الغراء، فهي رأس الأمر، والغاية منبعثة الرسل وإنزال الكتب، ولأجلها قامت سوق الجنة والنار.

ولو كان العبد في غاية الاجتهاد في العبادة، صواماً قواماً ولكنه فاسد الاعتقاد، فليس لعبادته وزن يذكر، ولا ينتفع منها بقليل ولا كثير، ودليل ذلك ما ورد عن يحيى بن يعمر قال: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ مَعْبُدُ الْجُنُونِ بِالْبَصَرَةِ قَالَ: فَإِنْطَلَقْنَا حُجَّاجًا أَنَا وَحُمَيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمَيْرِيُّ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَافَقْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ قَبْلَنَا نَاسًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَنْقَرِفُونَ عَلَيْهِمْ وَيَقُولُونَ: لَا قَدْرٌ وَإِنَّا أَمْرُ أُنْفٍ قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَأَنَّهُمْ مِنِّي بَرَاءُ، وَالَّذِي يَخْلُفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أَحْدِ ذَهَبَا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبْلَ اللَّهِ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ حَيْرَهُ وَشَرِهُ.^١

ومما يدل على أنَّ غرس العقيدة من الأولويات في هذا الدين ما رواه عبد الله بن عباس^{رض} قال: لَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلَ نَحْوَ الْيَمَنِ قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدِمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلَيْكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُهُمْ أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ حَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلِيَتَهُمْ فَإِذَا صَلَوُا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيَّهُمْ فَتَرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَفْرَوْا بِذَلِكَ فَحُذِّرُ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ».^٢

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرِكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.^٣

١ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، حديث: ٣٤

٢ - رواه البخاري - كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمنه، حديث: ٦٩٦٠، ومسلم - كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، حديث: ٥٣

٣ - سورة لقمان: الآية / ١٣

وقال تعالى حكاية عن لقمان عليه السلام: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّمَا إِنْ تَلْكُ مِنْ قَالَ حَبَّةٌ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَحْرَاءٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَسِيرٌ﴾^١.

وعن ابن عباس قال كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا عُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُ كَلِمَاتٍ احْفَظُ اللَّهَ يَحْفَظُكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدُهُ بِخَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعْنَتَ فَاسْتَعْنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعْتُ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضْرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضْرُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَهَتِ الصُّحْفُ».^٢

تعويدهم على العبادة منذ الصغر:

إن النشأة في ظل الطاعة وفي كنف العبادة لها أبلغ الأثر على الإنسان طول عمره، إذ أن ذلك يجعله يألف هذه العبادة ويألف أهلها، وتلين بها جوارحه، وتعتاد عليها نفسه وأعضائه، وكم رأينا من ينفر من الصيام بحججة أنه ما اعتاد عليه، أو يخجل من دخول المساجد لأنه ما تعود على الصلاة صغيراً، أو يخشى من نظر الناس إليه إذا رأوه في الصف بين المسلمين، ومن تخجل من لبس الحجاب لأنها ما اعتادت على لبسه قبل البلوغ، فيكون ذلك من أعظم الصوارف عن الطاعة.

قال الله تعالى على لسان لقمان الحكيم: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^٣.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جديه قال: قال رسول الله ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ».^٤

وعن الربيع بنت معوذ بن عفراة قال: أرسل رسول الله ﷺ غدراً عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: «من كان أصبح صائمًا فليتم صومه ومن كان أصبح مفطراً فليتم بقيته يومه فكنا بعد ذلك

١ - سورة لقمان: الآية / ١٦

٢ - رواه أحمد - حديث: ٢٥٩٢ ، والترمذى - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، حديث: ٢٥٠٠

٣ - سورة لقمان: الآية / ١٧

٤ - رواه أبو داود - كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاحة، حديث: ٤٢٣ ، بسنده صحيح

نَصُومُهُ وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّعَارَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَنَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَنَصْنَعُ لَهُمُ الْلَّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ فَنَذْهَبُ بِهِ مَعَنَا فَإِذَا سَأَلْنَا الطَّعَامَ أَعْطَيْنَاهُمُ الْلَّعْبَةَ ثُلُبِهِمْ حَتَّى يُتَمُّمُوا صَوْمَهُمْ».^١

وما أجمل النشأة على الطاعة، وما أروع النمو في كنف المداية، فعن أبي هريرة رض عن النبي صل قال: «سبعة يظلمون الله في ظلله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل، وشاب نشاً بعيادة الله، ورجل فلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقوا عليه، ورجل دعنته امرأ ذات منصب وجمال فقال إني أحاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله حاليا ففاضت عيناه». ^٢.

غرس الآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة في نفوسهم:

الاستئذان:

ومن ذلك الاستئذان، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلْمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.^٣

وما يؤسف له أن كثيراً من الناس قد وقع منهم تفريط ظاهر في هذه الآداب، حتى أصبحت مستغربة عند كثير منهم، مستهجنة أحياناً إذا دعا إليها داع، أو سعى في إحياء ميتها ساع؛ فعن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: "ترك الناس ثلاثة آيات فلم يعملاها بـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلْمَ مِنْكُمْ﴾". إلى آخر الآية.^٤

١ - رواه مسلم - كتاب الصيام، باب من أكل في عاشوراء فليكتف بقية يومه، حديث: ١٩٨٤

٢ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، حديث: ١٣٦٨، ورواه مسلم - كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث: ١٧٧٤

٣ - سورة النور: الآية / ٥٨

٤ - سورة النور: الآية / ٥٨

وآلية التي في سورة النساء: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْفُرْقَانِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾.^١

وآلية التي في الحجرات: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءُكُمْ﴾.^٢

عن عطاء بن يسار، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا»، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي حَادِمُهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، أَحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُزِيَّةً؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا».^٣

آداب الطعام:

ومن ذلك آداب الطعام كالتسمية والأكل باليمين؛ فَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ؓ قَالَ كُنْتُ عُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عُلَامُ سَمِّ اللَّهِ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ بِمَا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ».^٤

عدم خلف الوعد:

ومن ذلك خلف الوعد فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ دَعَتِنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدًا فِي بَيْتِنَا فَقَالَتْ هَا تَعَالَ أُعْطِيَكَ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا أَرْدَتِ أَنْ تُعْطِيهِ». قَالَتْ أُعْطِيهِ تَمَرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكِ لَوْلَمْ تُعْطِيَهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةً».^٥

١ - سورة النساء: الآية / ٨

٢ - سورة الحجرات: الآية / ١٣، تفسير ابن أبي حاتم (٨ / ٢٦٣٢)

٣ - رواه مالك - كتاب الاستئذان، باب الاستئذان، حديث: ١٧٤٥، والبيهقي في السنن الكبرى - كتاب النكاح - باب استئذان الملوك والطفل في العورات الثلاث، حديث: ١٢٦٨٠

٤ - رواه البخاري - كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، حديث: ٥٠٦٧، ورواه مسلم - كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، حديث: ٣٨٦٠

٥ - رواه أبو داود - كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، حديث: ٤٣٦٠، بسنده حسن لغيرة

غرسُ علوِ الْهِمَةِ في نُفُوسِهِمْ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرْقُهَا وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ حَدِيثُنِي مَا هِيَ» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَكْثَرُهُمُ النَّخْلَةُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَاسْتَحْيَيْتُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا إِلَيْهَا فَعَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «هِيَ النَّخْلَةُ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَيِّ بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي فَقَالَ لَأَنَّ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَّا وَكَذَّا.^١

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرغب ولده في إجابة النبي صلوات الله عليه وسلم ولا يسفه رأيه ولا يستصغر عقله شحذاً لعزيمته وإعلاء همتها، بخلاف من يقول لولده اسكت فأنت لا تفهم ولا تتكلم فأنت لا تدرى فتخمد جذوة النبوغ في نفسه وينطفئ نور الذكاء في عقله، وكلما أراد الإقدام على أمر له فيه خير تذكر كلام أبيه فأحجم فيظل صغير وقد بلغ من السن عتيًا، منزويًا لا يشارك في عظيم أو حقر، هياباً لا يعرف للإقدام سبيلاً، جباناً لا تعرف الشجاعة إلى قلبه طریقاً.

ذكر ابن سعد عن المدائني قال: نظر أبو سفيان رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه وهو غلام، فقال: إنَّ ابني هذا لعظيم الرأس، وإنَّه لخليقٌ أن يسود قومه. فقالت هند: قومهُ فقط؟ ثكلته إنْ لم يسُدْ العربَ قاطبةً.^٢

المساواة بينهم في المعاملة والعدل في الأعطيات:

عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَعَثُ النَّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ أَعْطَيْتُ أَبِي عَطِيَّةَ فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشَهِّدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَى رَوَاحَةَ عَطِيَّةَ، فَأَمَرَنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَعْطَيْتُ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟» قَالَ لَا قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ قَالَ فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّةَ».^٣

١ - رواه البخاري - كتاب العلم، باب قول المحدث: حدثنا، حدث: ٦١، ومسلم - كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب مثل المؤمن مثل النخلة، حدث: ٥١٣٤

٢ - الإصابة في تمييز الصحابة (٦ / ١٥٣)

٣ - رواه البخاري - كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الإشهاد في الهبة، حدث: ٢٤٦٨، ومسلم - كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، حدث: ٣١٤١

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَتُقْبِلُونَ الصِّبَيَانَ فَمَا تُقْبِلُهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ».^١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلَيِّ، وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ، جَالِسًا فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحُمُ لَا يُرْحَمُ».^٢

وقال الزبير بن بكار في كتاب النسب حدثني عمي مصعب عن جدي عبد الله بن مصعب أن العوام لما مات كان نوفل بن خويلد يلي ابن أخيه الزبير وكانت صفية رضي الله عنها تضربه وهو صغير وتغاظ عليه فعاتبها نوفل وقال ما هكذا يضرب الولد إنك لتضربينه ضرب مبغضة فرجزت به صفية ...
من قال إني أبغضه فقد كذب *** وإنما أضربه لكي يلب *** ويهرم الجيش ويأتي بالسلب

١ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث: ٥٦٥٩

٢ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث: ٥٦٥٨

الآثار المترتبة على تخلی الآباء عن مسؤوليتهم في تربية الأولاد

الآثار المترتبة على تخلی الآباء عن مسؤوليتهم في تربية أولادهم كثيرة جداً أذكر منها أثرين هما:

حرمان الجنة:

عَنْ مَعْقِلَ بْنِ يَسَارٍ الْمُزَيِّنِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».^١

قال القرطبي رحمة الله: هو لفظ عام في كل من كلف حفظ غيره؛ كما قال رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ راعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَإِلَامُ الْذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». وهكذا الرجل في أهل بيته، والولد والعبد.

والرعاية: الحفظ والصيانة، والغش: ضد النصيحة.^٢

حقوق الأبناء:

أتى رجل إلى عمر بن الخطاب عليه يشكو إليه حقوق ولده فأحضر أمير المؤمنين الغلام وأبنته، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حق على أبيه؟ قال: بلـى، قال: فما حقه على أبيه؟ قال: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب. قال الغلام: يا أمير المؤمنين، إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك، استولدي من أمة زنجية كانت بمحوسى، وقد سماي جعلاً، ولم يعلمـني من الكتاب حرفاً واحداً، فالتفت أمير المؤمنين عمر عليه إلى الرجل وقال له: جئت إلى تشكـو حقوقـ ولـدـكـ وقد عـقـفتـهـ قبلـ أنـ يـعـقـلـكـ، وأـسـأـتـ إـلـيـهـ قـبـلـ أـنـ يـسـيءـ إـلـيـكـ!

١ - رواه البخاري - كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، حديث: ٦٧٥١، ومسلم - كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالى الغاش لرعايته النار، حديث: ٢٢٩

٢ - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١١٨ / ٢)

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ أَخْلَقِي: أَبِي تُحَلَّا، غُلَامًا لَهُ، قَالَ: فَقَالَتْ لَهُ: أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ اُبْتِرَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَشْهَدُهُ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَشْهَدَهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي تَحَلَّتُ ابْنِي النُّعْمَانَ تُحَلَّا وَإِنَّ عَمْرَةَ سَأَلَنِي أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: فَقَالَ: «أَلَكَ وَلَدٌ سِوَاهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَكُلُّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَ النُّعْمَانَ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: فَقَالَ: بَعْضُهُ هُؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ، «هَذَا جُورٌ». وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «هَذَا تَلْجِئَةٌ فَأَشْهَدُ عَلَى هَذَا غَيْرِي» قَالَ مُغَيْرَةً: فِي حَدِيثِهِ «أَلَيْسَ يَسْرُوكَ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي الْبَرِّ وَاللُّطْفِ سَوَاءً؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَشْهَدُ عَلَى هَذَا غَيْرِي» وَذَكَرَ مُجَالِدًا فِي حَدِيثِهِ «إِنَّهُمْ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تَعْدِلَ بَيْنَهُمْ كَمَا أَنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ أَنْ يَرُوكَ». ^١

١ - رواه البخاري - كتاب الهيئة وفضيلتها والتحريض عليها، باب الهيئة للولد، وإذا أعطى بعض ولديه شيئاً لم يجز، حتى يعدل بينهم ويعطي الآخرين مثله، ولا يشهد عليه حديث: ٢٥٨٦، ومسلم - كتاب الأميات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهيئة، حديث: ١٦٢٣، ورواه أبو داود - كتاب النبي، باب في الرجل يفضل بعض ولديه في النحل، حديث: ٣٥٤٢، واللفظ له

من أَسْبَابِ النَّجَاةِ

(وَابْكِ عَلَى خَطِئَتِكَ)

من أَسْبَابِ النَّجَاةِ التَّوْبَةُ النَّصْوَحُ لِلَّهِ تَعَالَى.

تعريف التوبة:

التَّوْبَةُ فِي الْلُّغَةِ هِي الرُّجُوعُ.

وَالْتَّوْبَةُ فِي الشَّرِيعَةِ هِي النَّدَمُ عَلَى الْفَعْلِ الْمَاضِيِّ، وَالْإِقْلَاعُ عَنْهُ فِي الْحَاضِرِ، وَالْعَزْمُ عَلَى دُمُودِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَاذِمُهُ ذَنْبٌ:

قالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فُلُونَ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.^١

فَضْلُ التَّوْبَةِ:

الْتَّوْبَةُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ وَدَيْدَهُمُ:

قالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَعْفُرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَمْ يُصْرِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.^٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَعْفُرُ لَهُمْ».^٣

١ - سورة الزمر: الآية / ٥٣

٢ - سورة آل عمران: الآية / ١٣٥

٣ - رواه مسلم - كتاب التوبة، باب سقوط الذنب بالاستغفار توبة، حدیث: ٤٣٥

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ حَطَّاءٌ وَحَيْرٌ الْحَطَّائِينَ التَّوَابُونَ».^١

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً».^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةً».^٣

وَعَنِ الْأَعْرَمْيَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً».^٤

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعْدُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةً: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ».^٥

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحْمَةُ اللَّهُ: وَمِنْزِلُ التَّوْبَةِ أُولُ الْمَنَازِلُ وَأَوْسُطُهَا وَآخِرُهَا فَلَا يَفَارِقُهُ الْعَبْدُ السَّالِكُ وَلَا يَزَالُ فِيهِ إِلَى الْمَمَاتِ وَإِنْ ارْتَحَلَ إِلَى مِنْزِلٍ آخَرَ ارْتَحَلَ بِهِ وَاسْتَصْبَحَ بِهِ وَنَزَلَ بِهِ فَالْتَّوْبَةُ هِيَ بِدَائِرَةِ الْعَبْدِ وَنَهايَتُهُ وَحاجَتِهِ إِلَيْهَا فِي النَّهَايَةِ ضَرُورِيَّةٌ كَمَا أَنَّ حاجَتَهُ إِلَيْهَا فِي الْبَدَائِيرِ كَذَلِكَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتُوَبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: ٣١]، وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي سُورَةِ مَدْنِيَّةٍ خَاطَبَ اللَّهُ بِهَا أَهْلَ الْإِيمَانِ وَخَيَارَ خَلْقِهِ أَنْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ بَعْدِ إِيمَانِهِمْ وَصَبْرِهِمْ وَهَجْرِهِمْ وَجَهَادِهِمْ ثُمَّ عَلَقَ الْفَلَاحُ بِالْتَّوْبَةِ تَعْلِيقًا.

١ - رواه أحمد - حديث: ١٢٨٢٠ ، والترمذى - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب، حديث: ٢٤٨٣ ،

بسند حسن

٢ - رواه البخارى - كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، حديث: ٥٩٥٧

٣ - رواه مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث: ٤٩٧٨

٤ - رواه مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث: ٤٩٧٧

٥ - رواه أحمد - حديث: ٤٥٨٦ ، والترمذى - أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول إذا قام من مجلسه، حديث:

٣٤٣٩ وابن ماجه - كتاب الأدب، باب الاستغفار، حديث: ٣٨١٢ ، بسند صحيح

المسبب بسببه وأتى بأداة لعل المشعرة بالترجي، إيداناً بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائدون، جعلنا الله منهم.^١

الله عز وجل يحب التوبة ويحب التوابين:

من عظيم فضل التوبة، أنها توصل العبد إلى أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها بشر من البشر، بل ويسمو إليها الخلق كلهم، ألا وهي تحقيق حبة الله تعالى، فإذا أذنب العبد ذنبًا ثم تاب منه صادقًا، وأسرع إلى الله تعالى مقبلاً، وفر من ذنبه إلى الله تعالى خائفًا، قبل الله تعالى توبته، وأسبغ عليه من رحمته، وشمله بعفوه ومغفرته، وأحبه لتوبته.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.^٢

يجعل الله للتائب رصيداً من الحسنات بقدر ما كان عنده من سيئات:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَّا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحُقْقِ وَلَا يَرْثُنَّوْنَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعِفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًاً * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَالًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.^٣

وعن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ حُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِعَارَ دُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعَرَضُ عَلَيْهِ صِعَارُ دُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ دُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانًا كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّي، قَدْ عَمِلْتُ أَشْياءً لَا أَرَاهَا هَا هُنَا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَاحِلَ حَتَّى بَدَأَتْ نَوَاجِدُهُ.^٤

١ - مدارج السالكين (١٧ / ١)

٢ - سورة البقرة: الآية / ٢٢٢

٣ - سورة الفرقان: الآيات / ٦٨ - ٧٠

٤ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث: ٣١٤

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: جاء رجلاً إلى النبي ﷺ شيخ كبير يدعى عصاً له، فقال: يا رسول الله، إن لي عذراً وفجراً، فهل يغفر لي؟ قال: «ألسنت تشهد أن لا إله إلا الله؟» قال: بلـ، وأشهد أنك رسول الله، قال: «قد غفر لك عذرائك وفجراتك».

وعن عبد الرحمن بن جبير، عن أبي طويل شطيب الممدود رضي الله عنه، أنه أتى رسول الله صلوات الله عليه وسلم فقال: أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها، فلم يترك منها شيئاً، وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا حاجة إلا أنها، فهل له من توبة؟ قال: «فهل أسلمت؟» قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنك رسول الله، قال: «نعم، تفعل الخيرات، وتترك السيئات، فيجعلهن الله لك حيرات كلّهنّ»، قال: وعذرائي وفجري؟ قال: «نعم». قال: الله أكبر، فما زال يكبر حتى توارى.

التوبة من أعظم أسباب المغفرة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الدُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَيْسُوا إِلَيْ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلٍ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾.^٣

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَكْهَارُ يَوْمًا لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَمْ لَنَا نُورًا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.^٤

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قول الله عز وجل: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ قال: هو الرجل يعمل الذنب ثم لا يعود إليه.

١ - رواه أحمد - حديث: ١٩٤٣٢

٢ - رواه الطبراني في الكبير - حديث: ٧٢٣٥

٣ - سورة الزمر: الآية / ٥٣ ، ٥٤

٤ - سورة التحريم: الآية / ٨

٥ - رواه الحاكم في المستدرك - كتاب التفسير، تفسير سورة التحريم، حديث: ٣٧٦٥، والبيهقي في السنن - كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف، حديث: ١٩١٣٨، بسنده صحيح

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ قال: يتوب من الذنب ثم لا يعود.^١

وقال الشعبي: التائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.^٢

الله يفرح بتوبة المؤمن:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «الله أشد فرحًا بتوبة عبدِه حين يتوب إليه من أحديكم كان على راحلته بأرض فلاد، فانفلت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو كما قائم عند فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح».^٣

الندم توبة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلوات الله عليه وسلم يقول: «الندم توبة».^٤

التوبة تحب ما قبلها:

قال الله تعالى: ﴿فَحَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ حَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيَّاً * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾.^٥

١ - رواه البيهقي في السنن - كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف، حدث: ١٩١٣٩، بسنده صحيح

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٢٢٢، وانظر شرح السنة للإمام البغوي (٨١ / ٥)

٣ - رواه مسلم - كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بما، حدث: ٥٠٣٩

٤ - رواه أحمد - حدث: ٣٨٨٨، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حدث: ٤٢٥٠، وابن حبان - كتاب الرقائق، باب التوبة، حدث: ٦١٣، والحاكم - كتاب التوبة والإنابة، حدث: ٧٦٧٩، والبيهقي - كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف، حدث: ١٩١٣١، بسنده صحيح

٥ - سورة مرثيم: الآية/ ٥٩، ٦٠

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَّا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحُقْقِ وَلَا يَرْثُنَوْنَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعِفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّتاً هُمْ حَسَنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ .^١

عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عِنْكَهُ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَّا آخَرَ إِلَى قَوْلِهِ مُهَانًا فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ وَمَا يُعْنِي عَنَا الإِسْلَامُ وَقَدْ عَدَلْنَا بِاللَّهِ وَقَدْ قَتَلْنَا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ وَأَتَيْنَا الْفَوَاحِشَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

قال فأمّا من دخل في الإسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له.^٢

التَّوْبَةُ صَفْلُ الْقَلْبِ وَتَطْهِيرُ الْنَّفْسِ :

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ زَادَ رَازَدَ حَتَّى يَعْلُو قَلْبُهُ ذَاكَ الرَّبِيعُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» .^٣

عن أبي هريرة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عِنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَعْفُرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبٌّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَعْفُرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبٌّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي

١ - سورة الفرقان: الآيات / ٦٨ - ٧٠

٢ - رواه مسلم - كتاب التفسير، حديث: ٥٤٦٧

٣ - رواه أحمد - حديث: ٧٧٦٨، والترمذى - أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة ويل للمطففين، حديث: ٣٣٣٨، والنمسائى - سورة المطففين، قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ حديث: ١١٢١٢، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، حديث: ٤٢٤٢، بسنده صحيح

ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ "، قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي التَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: «اعْمَلْ مَا شِئْتَ».^١

شُرُوطُ التَّوْبَةِ:

قال ابن القيم رحمة الله: وشرائط التوبة ثلاثة الندم، والإقلام، والاعتذار، فحقيقة التوبة هي الندم على ما سلف منه في الماضي والإقلام عنه في الحال والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل، والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت يندم ويقلع ويعزم فحينئذ يرجع إلى العبودية التي خلق لها وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة.^٢

قال النووي رحمة الله: للتوبة ثلاثة شروط:

- أن يقلع عن المعصية.
- وأن يندم على فعلها.
- وأن يعزם عزما جازما ألا يعود إلى مثلها أبداً.

فإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع.

- وهو رد الظلمة إلى صاحبها، أو تحصيل البراءة منه.

والتبعة أهم قواعد الإسلام، وهي أول مقامات سالكي طريق الآخرة.^٣

١ - رواه البخاري - كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾، حديث: ٧٥٠٧، ومسلم - كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، حديث: ٢٧٥٨

٢ - مدارج السالكين (١٨٢ / ١)

٣ - شرح النووي على مسلم (٢٥ / ١٧)

(وسائل الثبات على التوبة)

الأولى: المبادرة بالتوبة:

من وسائل الثبات على التوبة، المبادرة بالتوبة وعدم التسويف، فإن التسويف من أسباب طمع الشيطان في ابن آدم وجرأته عليه، فإذا رأى منه استهانة بالتوبة والمبادرة إليها، سلك إليه كل سبيل لصده عنها، ومنعه منها.

قال تعالى: ﴿وَسَارُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^١.

وقال تعالى: ﴿سَابَقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعْرُضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^٢.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال فتَنَا كقطع الليل المظلم يُصبح الرجل مؤمناً ويُسيء كافراً أو يُمسِي مُؤمناً ويُصبح كافراً يَبْيَعُ دِينَه بِعَرَضِ مِنَ الدُّنْيَا».^٣

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال سِتًا طلوع الشمسِ مِنْ مَغْرِبِها أو الدُّخَانَ أو الدَّجَاجَ أو الدَّاهَةَ أو حَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أو أَمْرَ الْعَامَةِ».^٤

قال ابن القيم رحمة الله: إذا أراد الله بعده خيراً، فتح له أبواب التوبة والندم والذل والانكسار والافتقار والاستعانت به، ودوم التضرع والدعاء، والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات.^٥

الثانية: الإقلاع عن الذنب:

فإن التوبة مع الإقامة على الذنب نوع من الإستهزاء لا يتصور من عاقل.

١ - سورة آل عمران: الآية / ١٣٣

٢ - سورة الحمد: الآية / ٢٢

٣ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، حديث: ١٩٤

٤ - رواه مسلم - كتاب الفتنة وأشرطة الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، حديث: ٥٣٥٢

٥ - الوابل الصيب (١١ / ١)

الثالثة: الندم على المعصية:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ بْنِ مُفَرِّنٍ قَالَ دَخَلْتُ مَعَ أَبِيهِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»؟ قَالَ: نَعَمْ.^١

الرابعة: العزم على عدم الرجوع للذنب:

وذلك بقطع العلاقة التي بينه وبين ما يقرره من المعصية؛ حتى لا يقع فيها مرة أخرى، وسواء أكانت هذه العلاقة أصحاب سوء، أو رسائل أو صور أو أرقام هواتف، أو آلات طرب وهو، أو غيرها من وسائل المعاشي، ويعلم أن هذا الذي يؤزه إلى المعصية أزاً، ويدفعه إليها دفعاً، ويرغبه فيه، سيكون من أشد الناس له عداوة يوم القيمة، ويتبرأ منه، بل ويتلاعن كما قال الله تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.^٢

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُفُّرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَيَأْلَعُنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَا أَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرٍ﴾.^٣

ويستحب له كذلك أن يغير من هيئته التي كان عليها قبل التوبة مثل قص الشعر إن كان موفراً وتبدل الثياب إن كانت له ثياب يشتهر بها؛ ودل على ذلك ما رواه عنئيم بن كليب عن أبيه عن جده أنه جاء النبي ﷺ ف قال قد أسلمت ف قال: «ألق عنك شعر الكفر» يقول أخلق وقال النبي ﷺ قال الآخر: «ألق عنك شعر الكفر واحتن». ^٤

١ - رواه أحمد - حديث: ٣٤٦٢، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حدديث: ٤٢٥٠، والحاكم - كتاب التوبة والإتابة، حدديث: ٧٦٨٠، والبيهقي في السنن - كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف، حدديث: ١٩١٣١، بسنده صحيح

٢ - سورة الزخرف: الآية/ ٦٧

٣ - سورة العنكبوت: الآية/ ٢٥

٤ - رواه أحمد - حديث: ١٥١٦٠، وأبو داود - كتاب الطهارة، باب في الرجل يسلم فيؤمر بالغسل - حدديث: ٣٠٥، والطبراني في الكبير، حدديث: ١٨٨٠١، والبيهقي في السنن - كتاب الطهارة، جماع أبواب ما يوجب الغسل، باب الكافر يسلم فيغسل، حدديث: ٧٦٥، بسنده حسن

فقد قال العالم من قتل مائة نفسٍ: «وَلَا تَرْجِعُ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ».^١

عن النعمان بن بشير، قال: سئل عمر عن التوبة النصوح، فقال: التوبة النصوح أن يتوب العبد من العمل السيئ، ثم لا يعود إليه أبداً.^٢

الخامسة: ملازمة أهل الطاعة:

البحث عن رقة صالحة تعينه على طاعة الله تعالى، وتعهده إذا اعتبر الفتور، أو أصابه الملل، حتى لا يرجع للمعاصي مرة أخرى من أعظم أسباب الشبات على التوبة، والمداومة على الطاعة، ولكن يجب أن يتتوفر في هذه الرقة أمران الأول سلامة الاعتقاد، والبعد عن البدع، والسبيل إلى معرفة ذلك بقياس ما هم عليه من أقوال وأفعال وأحوال على ما كان عليه سلف هذه الأمة.

وهذا ما أرشد إليه العالم قاتل المئة نفس لما أراد التوبة قال له: «انطلق إلى أرضي كذا وكذا فإن بها ناساً يعبدون الله فاعبده معهم».^٣

السادسة: محاسبة النفس:

من تمام التوبة المداومة على محاسبة النفس على كل حركة وسكنة، والوقوف لها بالمرصاد حتى لا ترجع إلى المعصية مرة أخرى.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في خطبته: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وزرّنوا للعرض الأكبر، يوم تعرضون لا تخفي منكم خافية).^٤

١ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٣٠١، ومسلم كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث رقم: ٥٠٧٤

٢ - مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الزهد، ما ذكر في زهد الأنبياء وكلامهم عليهم السلام، كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث: ٣٣٨٢٣

٣ - تقدم تخرجه

٤ - رواه الترمذى - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب حديث: ٢٤٤١، بسنده ضعيف، وابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب الزهد، ما ذكر في زهد الأنبياء وكلامهم عليهم السلام، كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث: ٣٣٧٩١، وابن المبارك في الزهد - باب المحرر من الخطايا والذنوب، حديث: ٣٠٧، وأحمد بن حنبل في الزهد - زهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث: ٦٣٩

قال الفضيل بن عياض لرجل: (كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يُوشِّكُ أَنْ تَبْلُغَ، فقال الرجل: إِنَّا لِهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فقال الفضيل: أَتَعْرِفُ تَفْسِيرَهُ تَقُولُ: أَنَا اللَّهُ عَبْدُ وَإِلَيْهِ رَاجِعٌ، فَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ اللَّهُ عَبْدٌ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ رَاجِعٌ، فَلَيَعْلَمَ أَنَّهُ مُوقَفٌ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ مُوقَفٌ، فَلَيَعْلَمَ أَنَّهُ مَسْؤُلٌ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَسْؤُلٌ، فَلَيَعْدَ لِلسُّؤَالِ جَوَابًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: فَمَا الْحِيلَةُ؟ قَالَ: يَسِيرَةٌ، قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: تُحْسِنُ فِيمَا بَقِيَ يُغْفَرُ لَكَ مَا مَضَى إِنْ أَسَأْتَ فِيمَا بَقِيَ، أَخِذْتَ بِمَا مَضَى وَبِمَا بَقِيَ).

السابعة: إشغال النفس بما فيه نفعها:

من أسباب الثبات على التوبة أن يشغل العبد نفسه بشيء من طاعة الله تعالى مثل: أن يجعل لنفسه ورداً ثابتاً من كتاب الله حفظاً وتلاوةً وقراءةً تفسيراً، وحفظ أحاديث النبي ﷺ والمداومة على طلب العلم، فإن نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^١.

أي لا تنسوا ذكر الله تعالى: فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم، فإن الجزاء من جنس العمل.^٢

١ - سورة الحشر: الآية / ١٩

٢ - تفسير ابن كثير (٨ / ٧٧)

عواائق التوبة

التسويف:

من أخطر معوقات التوبة التسويف وعدم المبادرة بالتوبة وذلك يجعل العبد بين حطبين عظيمين الأول: ترافق الران على القلب حتى يسود ويؤل أمره إلى الموت موت القلب فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، فتتمكن المعصية من قلبه ثمكنا لا يستطيع معه الإفلات عن الذنب، فيفعل الذنب لا بداع الشهوة، ولكن لأنه أصبح له عادةً، وهذه أخطر حالة يمكن أن يصل إليها العبد؛ لأنه يتذر عليه الرجوع عن الذنب والحالة هكذا.

فعن خديفة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير فأي قلب أنكرها نكبت فيه نكتة بيضاء وأي قلب أبشر بها نكبت فيه نكتة سوداء حتى تصير القلوب على قلبيين أبيض مثل الصيف لا يضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مربد كالكوز مجحينا وأمال كفة لا يعرف معروفاً ولا ينكر مثلك إلا ما أشرب من هواه». ^١

مداهنة المرض:

ثانيهما: أن يبادره المرض فيضعفه بنيانه، ويزلزل أركانه ويوهن قواه، ويكون تركه للذنب عجزاً عن ممارسته، وربما ظل يشتهيه بقلبه، ويتسر على فوته، ويتلذذ بما سلف من مزاولته، فيا ثم بنيته، ويؤاخذ على سوء طويته، فيجتمع له نوعان من العذاب، عذاب دنيوي، وهو الحرمان من مواقعة الذنب، وعذاب آخر دنيوي بسبب الحرص على فعله مع العجز.

وقد قال العلماء: ما مثال المسوّف بالتوبة إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة فرأها قوية لا تنفلع إلا بشقة شديدة فقال: أواخرها سن ثم أعود إليها وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازدادت قوّة لرسوخها وثباتها وكلما طال عمره ازداد ضعفه لكبر سنها فإذا عجز عن قلعها مع قوتها وضعفها فكيف يقوى عليها مع قوتها وضعفه.

١ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، حديث: ٢٣٣

ترك التوبة مخافة الرجوع للذنب مرة أخرى، وهذه شبهة يقع فيها كثير من الناس، فكثير من الناس يخاف من التوبة لاحتمال رجوعه إلى الذنب مرة أخرى، فنقول مثل هذا: ليس من مقصود الشرع أن يكون الناس كالملائكة لا يعصون الله طرفة عين، لأن هذا تكليف بما ليس في المقدور، وهذه ليست دعوة للإسراف على النفس بالذنب والمعاصي، بل نقول يجب على العبد بعد عن الذنب والانتهاء عن المعاصي، فإذا زل لكونه بشراً ولكونه ليس معصوماً فليبادر بالتوبة إلى الله تعالى والندم على ما بدر منه والإقلال عن الذنب والعزم على عدم العود، فعن أبي هريرة رض قال سمعت النبي صل قال: «إن عبداً أصاب ذنباً فقال رب أذنت فاغفر لي فقال رب أعلم عبدتي أن له رب يغفر الذنب ويأخذ به غفرة لعبدتي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً فقال رب أذنت آخر فاغفرة فقال أعلم عبدتي أن له رب يغفر الذنب ويأخذ به غفرة لعبدتي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنت ذنباً قال رب أصبت آخر فاغفرة لي فقال أعلم عبدتي أن له رب يغفر الذنب ويأخذ به غفرة لعبدتي ثالثاً فليعمل ما شاء».

وربما أتت المنية وهو مازال يسوف التوبة، ويفني النفس بطول العمر، ويأمل آمالاً لو امتد حبلها لبلغت من السنين المئين أو الآلاف.

ومن يعتبر بحاله، ويتعظ المرء بما له أبو بصير أعشى بن قيس الشاعر المشهور.

قال ابن هشام: حرج أعشى بن قيس إلى رسول الله صل يريد الإسلام، فقال يمدح النبي صل:

وآلیتْ لَا آوی لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ **** وَلَا مِنْ حَفَّى حَتَّى تُلَاقِي مُحَمَّداً

مَتَّ مَا تُنَاخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ **** تُرَاحِي وَتَلَقَّى مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى

نَيِّيْ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَدِكْرُهُ **** أَغَارَ لَعْمَرِي فِي الْبِلَادِ وَأَجْدَاهَا

لَهُ صَدَقَاتُ مَا تُغْبُّ وَنَائِلُهُ غَدَا **** فَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعُهُ غَدَا

أَجْدَكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاهَةُ مُحَمَّدٍ **** نَيِّيْ إِلَهِ حَيْثُ أَوْصَى وَأَشْهَدَا

١ - رواه البخاري - كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: «يريدون أن يدلوا كلام الله»، حدث: ٧٠٩١، ومسلم - كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنب وإن تكررت الذنب والتوبة، حدث: ٥٠٦٠

* * * * *	إِذَا أَئْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِرَادٍ مِنَ التُّقَىِ
* * * * *	نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِيلِهِ
* * * * *	فَإِيَّاكَ وَالْمَيَّاتِ لَا تَقْرَبَنَّهَا
* * * * *	وَذَا النُّصْبِ الْمَنْصُوبَ لَا تَنْسُكَنَّهُ
* * * * *	وَلَا تَقْرِبْ جَارَةً كَانَ سِرُّهَا
* * * * *	وَذَا الرَّحْمِ الْقُرْبَى فَلَا تَغْطَعَنَّهُ
* * * * *	وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّةِ وَالضُّحَىِ
* * * * *	وَلَا تَسْخَنَّ مِنْ بَائِسٍ ذِي ضَرَارَةٍ

فَلَمَّا كَانَ بَكَةً - أَوْ قَرِيبَ مِنْهَا - اعْتَرَضَهُ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرْيَشٍ فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ جَاءَ يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُسْلِمَهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا بَصِيرٍ إِنَّهُ يُحِرِّمُ الزِّنَةَ فَقَالَ: الْأَعْشَى وَاللَّهِ إِنْ ذَلِكَ لَأَمْرٌ مَا لِي فِيهِ مِنْ أَرْبَبٍ. فَقَالَ: يَا أَبَا بَصِيرٍ إِنَّهُ يُحِرِّمُ الْحُمْرَ.

فَقَالَ الْأَعْشَى:

أَمَّا هَذِهِ فَوَاللَّهِ إِنِّي فِي نَفْسِي مِنْهَا الْعَلَالَاتِ وَلَكِنِّي مُنْصَرِفٌ فَأَتَرَوْيَ مِنْهَا عَامِي هَذَا، ثُمَّ آتَهُ فَأَسْلِمُهُ فَانْصَرَفَ فَمَا تَفَرَّقَ فِي عَامِهِ ذَلِكَ وَمَا يَعْدُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ۱۰.

ترك التوبة خوفاً من ملز الناس.

فمن الناس من يظن أن الاستقامة ضعفاً، والتزام الجادة وهنأ، والتقييد بأحكام الشرع سببه عدم القدرة على مواجهة المعصية، فيفعل الذنب حتى لا يساء به الظن بزعمه.

ترك التوبة مخافةً سقوط المنزلة وذهب الجاه والشهرة.

ومن ذلك ما وقع من أبي نواس الشاعر الماجن لما نصحه أبو العتاهية الشاعر الوعاظ لامه على تهتكه في المعاصي، فأنسد أبو نواس:

أتراي	يا	عتاهي	*****	تارِكاً	تلك	الملاهي
أتراي	مسداً	بالنسك	*****	عند	ال القوم	جاهي

التمادي في الذنب اعتماداً على سعة رحمة الله.

فمن الناس من يصر على المعصية ويتمادي في الغي، ويصرف على نفسه فإذا عوتب أو زجر عما هو فيه قال: إن الله غفور رحيم على حد قول القائل:

وَكَثِيرٌ مَا اسْتَطَعْتُ مِنَ الْخَطَايَا **** إذا كَانَ الْقَدُومُ عَلَى كَرِيمٍ

ويستدل بقول الله تعالى: ﴿نَّيْعَمْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ .^١

الاغترار بإمهال الله للمسيئين.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْحَنْفِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَحَدَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَحْدُ رَبِّكَ إِذَا أَحْدَ الْفُرَسِ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَحَدَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾» .^٢

الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي.

وهذا حال الكفار والفساق الذين لا يحبون اللوم على المعصية، ويستحلون الذنب، فجمعوا إلى معصيتهم التي اقترفوها معصية استحلال الذنب وهذا أقبح أثراً من الذنب، وأعظم خطاً على العبد.

١ - سورة الحجر: الآية / ٤٩

٢ - رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَحْدُ رَبِّكَ إِذَا أَحْدَ الْفُرَسِ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾، حديث: ٤٤١٧، ومسلم - كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، حديث: ٤٧٨٦

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آباؤُنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾^١.

من فصوص النائين

توبه ماعز بن مالك

عن بريدة قال جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله طهريني. فقال «ويحل ارجع فاستغفر لله وتب إليه» قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهريني. فقال رسول الله ﷺ «ويحل ارجع فاستغفر لله وتب إليه» قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهريني فقال النبي ﷺ مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ «فيما أطهرك» فقال من الذي. فسأل رسول الله ﷺ: «أبِي جنون» فأخبر أنه ليس بجنون فقال: «أشرب حمرا» فقام رجل فاستنگه فلم يجد منه ريح حمر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أزنيت» فقال: نعم. فأمر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين قائلن يقول: لقد هلك لقد أحاطت به خطيبته وقاتل يقول: ما توبه أفضل من توبه ماعز، أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده ثم قال اقتلني بالحجارة قال: فلثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال: «استغفروا لمامعز بن مالك»، قال فقالوا: عفر الله لمامعز بن مالك قال: فقال رسول الله ﷺ: «لقد تاب توبة لف قسمت بين أمّة لوسعتهم».^١

توبه العامدية رضي الله عنها:

عن بريدة ﷺ قال جاءت العامدية فقالت يا رسول الله إتي قد زيت فطهريني. وإن ردها فلما كان الغد قال يا رسول الله لم تردني لعلك أن ترديني كما ردت ماعزا فوالله إتي لجلى. قال: «إما لا فادهى حتى تلدي». فلما ولدت أنته بالصبي في خرقه قال هذا قد ولدته. قال: «ادهى فأرضعيه حتى تفطميه» فلما فطمته أنته بالصبي في يده كسره جنباً فقالت هذا يا نبي الله قد فطمنته وقد أكل الطعام. فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدريها وأمر الناس فرجموها فيقيل حالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجهه حالد فسبها فسمع النبي الله ﷺ سبة إياها فقال: «مهلاً

١ - رواه مسلم - كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزن، حدث: ٣٢٩٣

يَا حَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقْدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَعْفِرَ لَهُ». ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنتْ.^١

تَوْبَةُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه قَالَ : «كَانَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدَلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ اللَّهُ فَقَاتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ لَا فَقَاتَلَهُ فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدَلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَأَتَاهُ فَقَاتَلَ قَتَلَ مِائَةً نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَاتَلَ نَعْمَ وَمَنْ يَحْوِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلَقَ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا أَتَى نِصْفَ الطَّرِيقِ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَأَخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَاتَلَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِيًّا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَاتَلَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ حَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ» قَالَ قَتَادَةُ فَقَالَ الْحَسْنُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَاءَ بِصَدْرِهِ.^٢

تَوْبَةُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه:

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: لَمْ أَخْلَفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه فِي غَزْوَةِ غَزَّا هَا قَطُّ إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ عَيْرَ أَنِّي تَخَلَّفْتُ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَايِرِ اللَّهَ أَحَدًا حِينَ تَخَلَّفَ عَنْهَا إِنَّمَا حَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه يُرِيدُ عِيرَ قُرْيَشَ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ وَلَقَدْ شَهَدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه لِيَلَّةَ الْعَقَبَةِ وَمَا أُحِبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ وَإِنْ كَانَتْ بَدْرُ أَدْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا كَانَ مِنْ خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ وَاللَّهُ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهَا رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا تِلْكَ الْغَزْوَةَ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه يُرِيدُ غَزْوَةً يَعْزُزُهَا إِلَّا وَرَى بِعِيْرِهَا

١ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنق، حدث: ٣٢٩٤

٢ - رَوَاهُ البُخَارِيُّ - كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حدث رقم: ٣٣٠١، ومسلم - كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتلهم، حدث رقم: ٥٠٧٤

حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْعَرْوَةُ غَرَّاً لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرِّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَارًا وَعَدُوا كَثِيرًا فَجَلَّ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَاهُبُوا أَهْبَةً عَدُوِّهِمْ وَأَحْبَرُهُمْ بِوْجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُهُ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ لَا يَجْمِعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ يُرِيدُ الدِّيَانَ قَالَ كَعْبٌ : فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْىٌ مِنَ اللَّهِ وَغَرَّاً رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْعَرْوَةُ حِينَ طَابَتِ التِّسَارُ وَالظِّلَالُ فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَطَفِقْتُ أَعْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ وَمَأْفَضِ شَيْئًا وَأَقُولُ فِي نَفْسِي إِنِّي قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرْدَتُهُ فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اسْتَحِرَ بِالنَّاسِ الْجَدُّ فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَمَأْفَضِ مِنْ جَهَارِي شَيْئًا فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقْتُهُمْ فَعَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ فَرَجَعْتُ وَمَأْفَضِ شَيْئًا ثُمَّ عَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَمَأْفَضِ شَيْئًا فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَرْوُ وَهَمَّتْ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُذْرِكُهُمْ وَلَيْتَنِي فَطُفْتُ فَلَمْ يُقْدِرْ لِي ذَلِكَ فَكُنْتُ إِذَا حَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ حُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنَنِي إِنِّي لَا أَرِي إِلَّا رَجُلًا مَعْمُوسًا مِنَ النَّفَاقِ أَوْ رَجُلًا مِنْ عَدَرِ اللَّهِ مِنَ الْضُّعْفَاءِ فَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ قَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ يَتَبُوكُ : «مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟». فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبْسَةُ بُرْدَاهُ يَنْتَرُ فِي عِطْفِيَهِ . فَقَالَ لَهُ مُعاذُ بْنُ جَبَلٍ : بِنَسِمَا قُلْتَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا إِلَّا خَيْرًا فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا بَلَغْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي هُمْيَ وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ إِمَّا ذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخْطِهِ غَدًا وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي مِنْ أَهْلِي فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظْلَأَ قَادِمًا زَاحَ عَنِ الْبَاطِلِ وَعَرَفْتُ إِنِّي لَا أَخْرُجُ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ فَاجْمَعْتُ صِدْقَهُ وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَخْلُقُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَانِيَنَ رَجُلًا فَقَبِيلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايِعُهُمْ وَاسْتَعْفَرُهُمْ وَيَكِيلُ سَرَائِرُهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمَتْ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسَّمُ الْمُعْضَبِ ثُمَّ قَالَ : «تَعَالَ». فَجِئْتُ أَمْشِى حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ : «مَا حَلَّكَ أَمَّا تَكُنْ ابْتَعْتَ ظَهِيرَكَ؟» فَقُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخْطِهِ يُعْذِرْ وَلَقَدْ أُعْطِيَتُ جَدَلًا وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُ الْيَوْمَ حَدِيثًا كَادِبًا تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَىَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَىَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو عَفْوَ اللَّهِ لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ وَاللَّهِ مَا

كُنْتُ فَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَحَلَّفْتُ عَنْكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ قُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيلَكَ» فَقُمْتُ وَسَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَهَا عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِمَّا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخْلَفُونَ قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤْتَبُونِي حَتَّى أَرْدَثْتَ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي ثُمَّ قُلْتُ: هَلْ لَقِيَهَا مَعِيْ أَحَدُ؟ قَالُوا: نَعَمْ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَمَا قُلْتَ وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَمَا قِيلَ لَكَ. فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنِ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيِّ وَهَلَالُ بْنِ أُمَيَّةِ الْوَاقِفِيِّ فَدَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهَدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةً فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي وَنَحْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الشَّلَاثَةِ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَحَلَّفَ عَنْهُ فَاجْتَبَنَا النَّاسُ وَتَعَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتُ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ حَمْسِينَ لَيْلَةً فَأَمَّا صَاحِبَيَّ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمَ وَأَجْلَدُهُمْ وَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشَهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطْوُفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَكْلِمُنِي أَحَدٌ وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَكَ شَفَتِيِّ بِرِدِ السَّلَامِ عَلَى أَمْ لَا ثُمَّ أَصَلَّى فَأُسَارِقُهُ النَّظَرُ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ فَإِذَا التَّفَتُ تَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِي حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ جُفُوةِ الْمُسْلِمِينَ تَسَوَّرَتْ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا رَدَ عَلَى السَّلَامِ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبا قَتَادَةَ أَنْشُدْكَ اللَّهُ هَلْ تَعْلَمُنِي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ فَسَكَتَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ قَالَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ التَّالِيَةَ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمْ فَقَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّتْ حَتَّى تَسَوَّرَتْ الْجِدَارُ قَالَ فَبَيْنَا أَنَّ أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطَيْ مِنْ أَنْبَاطِ الشَّامِ مِنْ قَدِيمِ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ مَنْ يَدْلُلُ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فَطَفِيقَ النَّاسُ يُشَيِّرُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ عَسَانَ وَكُنْتُ كَاتِبًا فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَمَمْ يَجْعَلُكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانِ وَلَا مَاضِيَّهُ فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِيكَ فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهِ التَّنُورَ فَسَجَرْتُهُ إِلَيْهَا حَتَّى إِذَا مَضَتْ لَنَا أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَنِلَ امْرَأَتَكَ. فَقُلْتُ: أُطْلَقُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ إِلَيْهَا؟ فَقَالَ: لَا بَلِ اعْتَزِلُهَا فَلَا تَقْرَبَنَّهَا وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبِيِّ بَعْثَلِ ذَلِكَ فَقُلْتُ لَامْرَأَتِي: الْحَقِّي بِأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرِ. قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ هِلَالُ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْءٌ ضَائِعٌ لَيْسَتْ لَهُ حَادِمٌ فَهَلْ تَنْكِرُهُ أَنْ أَحْذُمُهُ قَالَ:

«لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنِكِ» قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهُ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ وَإِنَّهُ مَا زَالَ يَبْكِي مُذْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِي هَذَا فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَاتِكَ كَمَا أَذْنَ لِهَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ تَخْدُمُهُ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنِّي اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمْلَتْ لَنَا حَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينِ هَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ حَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتِي مِنْ بُيوْتَنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ مِنْنَا قَدْ ضَافَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ إِمَّا رَحْبَتْ سِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلٍ سَلْعٍ يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ الْفَرَجُ وَأَذْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونِي وَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَى فَرَسًا وَسَعَى سَاعَ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ إِلَيَّ مِنَ الْفَرَسِ فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَعَتْ صَوْتُهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ ثُوَبِيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بُشْرَاهُ وَوَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ عَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعْرَتْ ثُوَبِيْنِ فَلَيْسُتُهُمَا وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَلَقَّنِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَتِّنُونِي بِالتَّوْبَةِ يَقُولُونَ لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَقَامَ إِلَى طَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوُلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي مَا قَامَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ وَلَا أَنْسَاهَا لِطْلَحَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُذْ وَلَدْتَكَ أُمْكَ». قُلْتُ: أَمْنِ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بُشِّرَ بِشَارَةً يَبْرُقُ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَهُ قِطْعَةً قَمَرٍ وَكَذِلِكَ يُعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَخْلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» فَقُلْتُ: فَإِنِّي أَمْسِكْ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا بَجَانِي بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أَحْدِثَ إِلَّا صِدْقًا مَا يَقِيتُ فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُذْ حَدَّثَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا ابْتَلَانِي مَا تَعَمَّدْتُ مُذْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا وَلَيْتَ لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَنْزِعُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ كِنْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى التَّلَاثَةِ الَّذِينَ حَلَّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ إِمَّا رَحْبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ

وَظَنُوا أَنْ لَا مُلْجَأٌ مِّنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١﴾ فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىٰ مِنْ نِعْمَةٍ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبَتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوهُ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ شَرَّ مَا قَالَ لَا حَدِّ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَغْرِضُوا عَنْهُمْ إِلَيْهِمْ رِجْسٌ وَمَا وَاهِمْ جَهَنَّمُ جَزَاءٌ إِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتُرْضِوْعَنْهُمْ فَإِنْ تُرْضِوْعَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضِي عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ قَالَ كَعْبٌ : وَكُنَّا تَخَلَّفَنَا أَيُّهَا الشَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبْلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَيَّنُوهُمْ وَاسْتَعْفَرُ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّىٰ قَضَى اللَّهُ فِيهِ فِيدَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿وَعَلَى الْثَّلَاثَةِ الَّذِينَ حَلَفُوا﴾ وَلَيْسَ الدَّيْدَرُ ذَكَرَ اللَّهُ تَخَلَّفَنَا عَنِ الْغَزْوِ وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّا نَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا مِنْ حَلْفَ وَاعْتَدَرَ فَقَبِيلَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ۚ﴾ ۱.

توبه أبي محجن ﷺ :

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : أَتَيْ سَعْدٌ بْنَيْ مُحْجَنٍ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَقَدْ شَرِبَ الْحَمْرَ، فَأَمْرَرَ بِهِ إِلَى الْقَيْدِ، قَالَ : وَكَانَ بِسَعْدٍ حِرَاجَةٌ، فَلَمْ يَخْرُجْ يَوْمَئِذٍ إِلَى النَّاسِ، قَالَ : وَصَعِدُوا بِهِ فَوْقَ الْعُدَيْبِ لِيُنْظَرُ إِلَى النَّاسِ، قَالَ : وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْخَيْلِ خَالِدَ بْنَ عُرْفَةَ، فَلَمَّا تَقَى النَّاسُ، قَالَ أَبُو مُحْجَنٍ :

كَفَى حُزْنًا أَنْ ثُرْدَى الْخَيْلِ بِالْقَنَا **** وَأَثْرَكَ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا

فَقَالَ لِابنَةِ حَصَفَةَ، امْرَأَةِ سَعْدٍ : أَطْلَقِينِي وَلَكِ عَلَيَّ إِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ أَنْ أَرْجِعَ حَتَّىٰ أَضْعَ رِجْلِي فِي الْقَيْدِ، وَإِنْ قُتِلْتُ اسْتَرْحَتُمْ، فَعَلَّتُهُ حِينَ التَّقَى النَّاسُ، فَوَثَبَ عَلَى فَرَسِ لِسَعْدٍ يُقَالُ لَهُ : الْبُلْقَاءُ، ثُمَّ أَخَذَ رُمْحًا، ثُمَّ حَرَّجَ، فَجَعَلَ لَا يَمْكِلُ عَلَى نَاحِيَةٍ مِّنَ الْعَدُوِّ إِلَّا هَزَمَهُمْ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ : هَذَا مَلَكُ، لِمَا يَرُونَهُ يَصْنُعُ، وَجَعَلَ سَعْدٌ يَقُولُ : الصَّبَرُ صَبَرُ الْبُلْقَاءِ، وَالظَّعْنُ طَعْنُ أَبِي مُحْجَنٍ، وَأَبُو مُحْجَنٍ فِي الْقَيْدِ، فَلَمَّا هُزِمَ الْعَدُوُّ، رَجَعَ أَبُو مُحْجَنٍ حَتَّىٰ وَضَعَ رِجْلِيَّهُ فِي الْقَيْدِ، فَأَحْبَرَتْ بِنْتُ حَصَفَةَ سَعْدًا بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، قَالَ : فَقَالَ سَعْدٌ : وَاللَّهِ لَا أَضْرِبُ الْيَوْمَ رَجْلًا أَبْلَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى يَدِيهِ مَا أَبْلَاهُمْ، قَالَ : فَخَلَى

۱ - رَوَاهُ البُخَارِيُّ - كتاب المغازي، باب حدیث کعب بن مالک، حدیث: ۴۱۶۵، ومسلم - كتاب التوبه، باب حدیث توبه کعب

بن مالک وصاحبیه، حدیث: ۵۰۸۰

سَيِّلَةُ، فَقَالَ أَبُو مُحْجَنٍ: قَدْ كُنْتُ أَشْرَبُهَا حَيْثُ كَانَ يُقَامُ عَلَيَّ الْحُدُودُ، فَأَظْهَرُهُ مِنْهَا، فَأَمَّا إِذْ هَرَجْتُنِي فَلَا وَاللَّهِ لَا أَشْرَبُهَا أَبَدًا.^١

توبه الكفل:

عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه حَدِيثًا لَوْلَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّاتَيْنِ حَتَّى عَدَ سَبْعَ مِرَارٍ وَلَكِنْ قَدْ سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: «كَانَ الْكِفْلُ مِنْ تَبَيِّنِ إِسْرَائِيلَ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبِ عَمِيلَهُ فَاتَّهَ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأْهَا فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ فَقَالَ مَا يُبَكِّيكِ أَكْرَهْتُكِ قَالَتْ لَا وَلَكِنْ هَذَا عَمَلٌ لَمْ أَعْمَلْهُ قَطُّ وَإِنَّمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ الْحَاجَةُ قَالَ فَتَفَعَّلَتْ هَذَا وَلَمْ تَفْعَلِيهِ قَطُّ قَالَ ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ اذْهِبِي فَالْدَنَانِيرُ لَكِ ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ لَا يَعْصِي اللَّهُ الْكِفْلُ أَبَدًا فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكِفْلِ».٢.

توبه عبد الله بن مسلمة القعنبي رحمة الله:

كان عبد الله بن مسلمة القعنبي شاباً كثیر المجنون كثیر الشراب، روی بعض الفضایع عن بعض ولد القعنبي بالبصرة قال: كان أباً يشرب النبيذ، ويصبح الأحداث، فدعاهم يوماً وقعد على الباب ينتظرونهم، فمر شعبه على حماره، والناس حلفه يهرعون، فقال: من هذا؟ فقيل: شعبه فقال: وأيش شعبه؟ قالوا: محدث. فقام إليه عليه إزار أحمر، فقال: له حدثني. فقال له: ما أنت من أصحاب الحديث فأحدثك. فأشهر سكينة وقال له: حدثني أو أجرحوك. فقال له شعبه: حدثني منصور عن ربعي عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «إذا لم تستحي فاصنع ما شئت».٣

١ - رواه سعيد بن منصور - كتاب الجهاد، باب كراهة إقامة الحدود في أرض العدو - حديث: ٢٣٢١، وابن أبي شيبة - كتاب التاريخ، في أمر القادسية وجلواء، حديث: ٣٣٠٨٤، وعبد الرزاق - كتاب الأشارة، باب من حد من أصحاب النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ، حديث:

١٦٤٩١

٢ - رواه أحمد - حديث: ٤٦٠٨، والترمذى - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب حديث: ٢٤٨٠، وأبو يعلى - حديث: ٥٥٩٣، وابن حبان - كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، حديث: ٣٨٨، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث: ٦٨٢٨، بسنده ضعيف

٣ - رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث: ٣٣١٤

فرمي سكينة ورَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَقَامَ إِلَى حَمِيعِ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الشَّرَابِ فَهَرَاقَهُ وَقَالَ لِأَمِهِ السَّاعَةِ أَصْحَابِي يَحْيَوْنَ فَأَدْخِلْهُمْ وَقُدْمِي الطَّعَامَ إِلَيْهِمْ فَإِذَا أَكَلُوا فَخَرَبُوهُمْ بِمَا عَمِلْتُ بِالشَّرَابِ حَتَّى يَنْصُرُوهُمْ فَمَضَى مِنْ وَقْتِهِ إِلَى الْمَدِيْنَةِ فَلَزِمَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ فَأَكَثَرَ عَنْهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَقَدْ مَاتَ شُعْبَةُ فَمَا سَمِعَ مِنْ شُعْبَةَ غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ.^١

ولازم مالك بن أنس ثلاثين سنة يسمع منه ويتعلم، فأكثر السمع عنده حتى صار أثبت رواة الموطأ، قال ابن أبي حاتم: قلت لأبي: القعنئي أحب إليك في "الموطأ" أو إسماعيل بن أبي أويس؟ قال: بل القعنئي، لم أر أخشى منه، ثم رجع إلى البصرة وقد مات شعبة مما سمع من شعبة غير هذا الحديث.^٢

توبة الفضيل بن عياض

عن الفضل بن موسى: كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، في بينما هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تالياً يتلو: ﴿أَمَّا يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾^٣.

فلما سمعها قال: بلني يا رب قد آن، فرجع فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سائل، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا، قال: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين هاهنا يخافونني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.^٤

١ - معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي (ص: ١٤٤)

٢ - سير أعلام النبلاء (١٠ / ٢٥٩)

٣ - سورة الحديد: الآية/ ١٦

٤ - تحذيب الكمال (٢٣ / ٢٨٦)، وتحذيب التهذيب (٨ / ٢٦٥)، وسير أعلام النبلاء (٨ / ٤٢٣)

تَوْبَةُ أَبِي العَتَاهِيَةِ:

قال أبو سلمة الغنوبي: قلت لأبي العتاهية: ما الذي صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد؟

قال: إِذَا وَاللهُ أَخْبَرَكَ إِنِّي لَمَا قُلْتَ:

أَهَدْتُ لِي الصَّدَ وَالْمَلَالَاتِ	*****	الله يَبْيَنُ وَبَيْنَ مَوْلَاتِي
فَكَانَ هَجْرَانِهَا مَكَافَاتِي	*****	مَنْحَتْهَا مَهْجَتِي وَخَالِصَتِي
أَحَدُوْثَةٌ فِي جَمِيعِ جَارَاتِي	*****	هِيمَنَنِي حَبَّهَا وَصَرِيرِي

رأيت في المنام في تلك الليلة كان آتياً أتاني فقال: ما أصبت أحداً تدخله بينك وبين عتبة، يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى، فانتبهت مذعوراً، وتبت إلى الله تعالى من ساعتي من قول الغزل.^١

١ - تاريخ بغداد (٦ / ٢٥٨)

أثر ترك التوبة

تارك التوبة ظالم لنفسه، لأنه منعها مما فطرها الله تعالى عليه من الرجوع له والإناية إليه، وهو ظالم لها كذلك لأنه حملها على لذة عاجلة ربما حرمتها اللذة الدائمة في الدنيا، وأوجبت لها عذاباً دائمًا في الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخِرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا حَسْرًا مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنْ حَسْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابِزُوا بِالْأَلْقَابِ إِنَّ الْإِسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.^١

اللهم إنا نسألك التوفيق لتبوية نصوح تغفر لنا بها ما تقدم من ذنبينا، وتستر بها ما بدا من عيوبنا، وترضى بها عنا، فإنك أكرم مسئول، وخير مأمول.

والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله على نبيه محمد وآلـه وصحبه وسلم.

١ - سورة الحجرات: الآية ١١

المحتويات

٢.....	المقدمة
٣.....	من أسباب النجاة
٣.....	ترجمة عقبة بن عامر <small>رحمه الله</small> :
٥.....	(حفظ اللسان)
٧.....	حفظ اللسان من أعظم أسباب النجاة:
٨.....	حفظ اللسان وصية النبي ﷺ لأصحابه:
٩.....	صاحب اللسان البديع من أبغض الناس لقلب النبي ﷺ ومن أبعدهم عن مجلسه:
١٠	استقامة اللسان استقامة للجوارح:
١٢	اللسان من أعظم أسباب دخول الجنة:
١٢	اللسان سبب حبوط الأعمال:
١٣	اللسان من أعظم أسباب دخول النار:
١٤	جنائية اللسان على صاحبه:
١٩	(القول على الله تعالى بغير علم)
١٩	القول على الله تعالى بغير علم من أعظم مقاصد الشيطان:
٢٠	القول على الله تعالى بغير علم أعظم المحرمات على الإطلاق:
٢١	من قال على الله تعالى بغير علم لا يفلح أبداً:
٢١	من قال على الله تعالى بغير علم فلا أظلم منه:
٢٢	صور القول على الله تعالى بغير علم
٢٣	من صور القول على الله تعالى بغير علم (الفتوى بغير علم):
٢٤	أثر الإفتاء بغير علم:
٢٥	من صور القول على الله تعالى بغير علم: (تحريف كلام الله تعالى):
٢٦	الأول: نسبة كلام لم يقله الله تعالى إليه:

الثاني: لِيُ اللسانِ بالكلام لإيهام السامع أنه كلام الله وهو ليس من كلام الله تعالى:.....	٢٦
الثالث تأويل كلام الله تعالى وصرفه عن حقيقته بغير دليل:.....	٢٦
مِنْ صُورُ القولِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ: (تفسير القرآن بالرأي والهوى):.....	٢٦
مِنْ صُورُ القولِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ: (ادعاء النبوة):.....	٢٩
****مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ	٣٠
(الْكَذِبُ):.....	٣١
حُدُ الْكَذِبِ:.....	٣١
أَنْوَاعُ الْكَذِبِ:.....	٣١
الْكَذِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى:.....	٣١
الْكَذِبُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ:.....	٣١
الْكَذِبُ عَلَى النَّاسِ:.....	٣٢
أَثْرُ الْكَذِبَ:.....	٣٢
الْكَذِبُ سَبَبُ مُخْفِي الْبَرَكَةِ:.....	٣٢
الْكَذِبُ رِيَةُ:.....	٣٣
الْكَذِبُ مُسْتَقْبُحٌ عِنْدَ كُلِّ ذِي عِقْلٍ:.....	٣٣
الْكَذِبُ قَرِيبُ الْفُجُورِ:.....	٣٤
تَرْكُ الْكَذِبِ مِنْ أَسْبَابِ الْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ:.....	٣٤
الْكَذَّابُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْهُدَايَةِ:.....	٣٥
الْكَذِبُ عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ النَّفَاقِ:.....	٣٦
النَّفَاقُ أَثْرٌ مِنْ آثارِ الْكَذِبِ:.....	٣٦
الْكَذِبُ يُنَافِي إِيمَانَ:.....	٣٧
الْكَذِبُ أَقْرَبُ طَرِيقٍ إِلَى النَّارِ:.....	٣٧
تَعَمَّدُ الْكَذِبِ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْبَرْزَخِ:.....	٣٧

٣٩	ما يُرَحَّصُ فِيهِ مِنَ الْكَذِبِ:
٤١	الْمَعَارِيضُ مَنْدُوحةٌ عَنِ الْكَذِبِ:
٤٢	حُكْمُ التَّعْرِيضِ فِي الْكَلَامِ:
٤٢	أَمْثَلَةٌ عَلَى التَّعْرِيضِ:
٤٣	حَطْرُ الْإِسْتِهَانَةِ بِالْكَذِبِ:
٤٥	**** من آفَاتِ الْلِسَانِ
٤٦	(الْغِيَةُ)
٤٦	حد الغيبة:
٤٧	حُكْمُ الْغِيَةِ:
٤٧	الْغِيَةُ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبَرِ:
٤٨	الَّذِينَ يَعْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ رَائِحَتُهُمْ كَرَائِحَةُ الْجِيفَةِ الْمُبْتَنَةِ:
٤٩	الْغِيَةُ تُحِيطُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحةَ:
٤٩	الْكَلِمَةُ مِنَ الْغِيَةِ لَوْ مُزَجَّثٌ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَعَيْرَتُهُ:
٥٠	الْغِيَةُ أَرْبَا الرِبَا:
٥٠	ذُمُّ السَّلَفِ لِلْغِيَةِ وَمَنْ يَقْعُدُ فِيهَا:
٥١	أَجْرُ مَنْ ذَبَّ عَنْ حَمِّ أَخِيهِ فِي الْغِيَةِ:
٥١	مِنْ صُورِ الْغِيَةِ:
٥٢	الحالات التي تحوز فيها الغيبة:
٥٢	الأولى التَّظْلُمُ:
٥٣	الثانية الْإِسْتِفْتَاءُ:
٥٣	الثالثة التَّحْذِيرُ:
٥٣	الرابعة المُجاهرةُ بِالْفَسْقِ:
٥٤	الخامسَةُ التَّعْرِيفُ:

السَّادِسَةُ طَلَبُ الْإِعَانَةِ عَلَى إِرَالَةِ مُنْكَرٍ:.....	٥٤
الغيبة تدل على نقص في المغتاب وقلة مرؤته:.....	٥٥
مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ	٥٦
(النَّمِيمَةُ)	٥٦
تعريف النَّمِيمَةِ:.....	٥٦
حَطْرُ النَّمِيمَةِ:.....	٥٧
النَّمَامُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ:.....	٥٧
النَّمَامُ شَرُّ النَّاسِ:.....	٥٧
النَّمِيمَةُ تَعْمَلُ عَمَلَ السِّحْرِ بَلْ أَشَدُ:.....	٥٧
النَّمَامُ كَذَابٌ مُفْتَرٌ:	٥٩
النَّمِيمَةُ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ وَسَبِبَتْ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبِيرِ:.....	٦١
بالنَّمِيمَةِ تَسْفَكُ الدَّمَاءَ:	٦١
النَّمِيمَةُ تُورِثُ الصَّاغَانَ وَالْأَحْقَادَ:	٦٢
بِمَ تَكُونُ النَّمِيمَةُ؟	٦٥
مَا يَحِبُّ عَلَى مَنْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ نَمِيمَةٌ:.....	٦٥
مَتَى يَجُوزُ نَفْلُ الْكَلَامِ؟.....	٦٥
قَالُوا عَنِ النَّمِيمَةِ:	٦٦
**** مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ	٦٦
(شَهَادَةُ الزُّورِ)	٦٧
مَعْنَى الزُّورِ:	٦٧
تَحْرِيمُ كَتْمَانِ الشَّهَادَةِ وَوُجُوبُ أَدَائِهَا:	٦٧
أَتْنِي اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِتَرْكِ شَهَادَةِ الزُّورِ:.....	٦٨
اِنْتِشَارُ شَهَادَةِ الزُّورِ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ:.....	٦٨

..... شهادة الزور تحيط الأعمال الصالحة: ٦٩
..... شهادة الزور من أكبر الكبائر: ٧٠
..... شهادة الزور تعدل الإشراك بالله: ٧٠
..... شهادة الزور من موجبات النار: ٧٠
..... شهادة الزور من أسباب سخط الله تعالى: ٧٠
..... ما يترتب على شهادة الزور من الجرائم: ٧١
..... حكم الحاكم لا يحل حراما ولا يحرم حلالا: ٧١
..... عقوبة شاهد الزور: ٧٢
..... من آفات اللسان: ٧٣
..... (التالي على الله تعالى): ٧٣
..... حد الإيلاء: ٧٣
..... أنواع التالي: ٧٤
..... التالي على الله أن لا يفعل المعروف: ٧٤
..... الإيلاء من النساء: ٧٦
..... من عباد الله من لو أقسم على الله لآية: ٧٧
..... *** من آفات اللسان: ٧٧
..... (الثرة): ٧٨
..... حد الثرة: ٧٨
..... الشّرّاؤن أبغض الناس لقلب النبي ﷺ وأبعدهم من مجلسه يوم القيمة: ٧٨
..... الثرة من أسباب قسوة القلب: ٧٩
..... الثرة من صفات المُنافقين: ٧٩
..... الثرة ذليل سوء الحلق: ٨٠
..... الشّرّاؤن شرّاً الناس: ٨١

الثَّرَثَرَةُ مِنْ أَسْبَابِ الْحَسْرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:	٨١
الثَّرَثَرَةُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ:	٨٢
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ الثَّرَثَرَةَ:	٨٣
فَضْلُ الصَّمْتِ وَمَنْزِلَتُهُ	٨٦
فِي الصَّمْتِ نَجَاةٌ:	٨٦
الصَّمْتُ هُدَى النَّبِيِّ ﷺ:	٨٦
*****(مِنْ آفَاتِ الْإِسْلَامِ (قَدْفُ الْمُحْصَنَاتِ)	٩٢
حُدُّ الْقَدْفِ:	٩٣
أَنْواعُ الْقَدْفِ:	٩٤
الْقَدْفُ نُوعًا:	٩٤
حُكْمُ التَّصْرِيحِ بِالْقَدْفِ:	٩٤
حُكْمُ التَّعْرِيْضِ بِالرِّزْنَةِ فِي الْقَدْفِ:	٩٤
حُكْمُ قَدْفِ الْمَلُوكِ وَالْخَدِيمِ:	٩٦
حُكْمُ التَّائِبِ بَعْدَ الْقَدْفِ:	٩٦
قَدْفُ الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الْدُّنُوبِ الْمُوْبَقَاتِ:	٩٧
قَدْفُ الْمُحْصَنَاتِ حُرْمَمٌ فِي سَائِرِ الشَّرَائِعِ:	٩٧
قَدْفُ الْمُحْصَنَةِ يَهْدِمُ عَمَلَ مِائَةِ سَنَةٍ:	٩٨
قَدْفُ الْمُحْصَنَةِ أَفْبَخُ مِنَ الرِّبَا وَمِنَ الزِّنَاءِ:	٩٩
قَدْفُ الْمُحْصَنَاتِ يُوجِبُ الطردَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ:	٩٩
قَدْفُ الْمُحْصَنَاتِ يَصِلُّ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ إِلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ تَعَالَى:	٩٩
مِنْ آفَاتِ الْإِسْلَامِ	١٠٠
(الْيَمِينُ الْعَمُوسُ)	١٠٠

100	وجوب حفظ اليمين:
100	اليمين ثلاثة أقسام:
100	الأول اليمين اللغو:
101	والثاني اليمين المتعقدة:
101	والثالث اليمين العمous:
102	كراهية كثرة الحلف:
103	اليمين العمous سبب الفرق:
103	اليمين العمous سبب العقم:
103	اليمين العمous سبب ظلمة القلب:
103	اليمين العمous لا كفاراة لها:
104	اليمين العمous إحدى الكبائر:
104	اليمين العمous سبب إعراض الله تعالى عن العبد يوم القيمة:
105	اليمين العمous سبب حرمان الجنة:
105	اليمين العمous سبب سخط الله تعالى على العبد:
107	من آفات اللسان
107	(السب واللعنة)
107	لا يكون اللعنون شفعاء ولا شهادة يوم القيمة:
107	سباب المسلمين فسقون:
108	لعنة المؤمن كقتيله:
109	من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه:
110	المستبان شيطانان يتهاتران ويتکاذبان:
110	المستبان ما قالا فعلى البادي منهما:
111	اللعنة لا يذهب سدى:

١١١	حُكْمُ سَبِ الدَّهْرِ:
١١١	حُكْمُ سَبِ الرِّيحِ:
١١٢	حُكْمُ لَعْنِ الْحَيَّانِ:
١١٤	حُكْمُ لَعْنِ الْمُعَيْنِ:
١١٥	لَا تَسْبِئَ أَحَدًا وَلَوْ كَانَ ظَالِمًا:
١١٥	**** منْ آفَاتِ اللِّسَانِ
١١٦	(مجاوزةُ الْحَدِّ فِي الْمَدْحِ)
١١٦	الفرق بين الحمد والمدح:
١١٧	الفرق بين الإطراء والمدح:
١١٧	حكم المدح في الشرع:
١١٩	تعريف الإطراء:
١١٩	حكم الإطراء:
١١٩	مثال الإطراء في حق النبي ﷺ:
١٢٠	خطر مجاوزةُ الْحَدِّ فِي الْمَدْحِ:
١٢٠	المدحُ بالبَاطِلِ مِنْ تَزْينِ الشَّيْطَانِ:
١٢٠	الإِطْرَاءُ فِيهِ تَشْبُهٌ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى:
١٢١	الإطراء فيه هلاك للمادح والمدوح:
١٢٢	مَا هُوَ وَاجْبُنَا نَحْوُ الْمَدَاحِينَ:
١٢٤	الآفات المترتبة على المدح:
١٢٧	ما هو الواجب عليك إذا احتجت أن تمدح إنساناً؟
١٢٧	**** منْ آفَاتِ اللِّسَانِ
١٢٨	(الْجِدَالِ)
١٢٨	تَعْرِيفُ الْجِدَالِ:

١٢٨	حُكْمُ الْجِدَالِ:
١٢٩	أَنْوَاعُ الْجِدَالِ:
١٢٩	الْجِدَالُ نَوْعًا:
١٢٩	الْأُولُ: جِدَالٌ مَدْعُوهٌ:
١٣٠	الثَّانِي: الْجِدَالُ الْمَدْمُومُ:
١٣٠	أَفْسَادُ الْجِدَالِ الْمَدْمُومِ:
١٣٠	الْجِدَالُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ:
١٣١	الْجِدَالُ فِي الْقُرْآنِ:
١٣٢	الْجِدَالُ بِالْبَاطِلِ لِدَخْضِ الْحَقِّ:
١٣٣	الْجِدَالُ بِغَيْرِ عِلْمٍ:
١٣٤	الْجِدَالُ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ظُهُورِهِ:
١٣٤	فَضْلُ تَرْكِ الْجِدَالِ:
١٣٤	تَرْكُ الْجِدَالِ مِنْ كَمَالِ الإِيمَانِ:
١٣٥	تَرْكُ الْجِدَالِ عَلَامَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ:
١٣٦	خَطَرُ الْجِدَالِ عَلَى صَاحِبِهِ:
١٣٦	الْجِدَالُ عَلَامَةٌ عَلَى الضَّلَالِ:
١٣٦	الْجِدَالُ مَعْصِيَةٌ:
١٣٧	الْجِدَالُ يُورِثُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَعْضَاءُ:
١٣٧	الْجِدَالُ سَبَبُ حِرْمَانِ الْعِلْمِ:
١٣٧	الْجِدَالُ مِنْ حَوَارِمِ الْمُرْوَةِ:
١٣٨	الْجِدَالُ يُنَافِي الْأُخْوَةَ الإِيمَانِيَّةَ:
١٣٩	الْجِدَالُ سَبَبُ رفعِ الْبَرَكَةِ وَذَهَابِ الْخَيْرِ:
١٣٩	الْجِدَالُ يُفْسِدُ الْعِبَادَةَ أَوْ يَكَادُ أَنْ يُفْسِدَهَا:

١٣٩	الْجِدَالُ سَبَبُ الْهَلَاكِ:
١٤٠	الْجِدَالُ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ:
١٤١	مِنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ فِي الْجِدَالِ
١٤٣	***مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ
١٤٤	(السُّحْرِيَّةُ وَالاسْتِهْزَاءُ)
١٤٤	حُدُّ الْاسْتِهْزَاءِ:
١٤٤	الفرق بَيْنَ السُّحْرِيَّةِ وَالاسْتِهْزَاءِ:
١٤٤	أَسْبَابُ السُّحْرِيَّةِ وَالاسْتِهْزَاءِ:
١٤٥	مِيزَانُ التَّفَاضُلِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى:
١٤٦	السُّحْرِيَّةُ وَالاسْتِهْزَاءُ مِنْ أَخْصَّ صِفَاتِ الْكُفَّارِ:
١٤٦	السُّحْرِيَّةُ وَالاسْتِهْزَاءُ مِنْ أَظْهَرِ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ:
١٤٨	السُّحْرِيَّةُ وَالاسْتِهْزَاءُ سَبَبُ نِسِيانِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى:
١٤٩	السُّحْرِيَّةُ وَالاسْتِهْزَاءُ قَدْ تَكُونُ كُفُراً بِاللَّهِ تَعَالَى:
١٤٩	جَرَاءُ الْاسْتِهْزَاءِ وَالسُّحْرِيَّةِ:
١٥١	مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ
١٥١	(الْمَنُّ بِالْعَطِيَّةِ)
١٥١	تَعرِيفُ الْمَنِّ:
١٥١	ثَوَابُ الصَّدَقَةِ:
١٥١	المتصدقُ فِي ظِلِّ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمًا لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:
١٥٢	الصَّدَقَةُ فِيكُوكُ لِرَبِّ الْعَبْدِ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:
١٥٢	الصَّدَقَةُ مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ:
١٥٢	الْمُؤْمِنُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:
١٥٣	الصَّدَقَةُ يَنَضَاعِفُ أَجْرُهَا لِصَاحِبِهَا:

١٥٣	حُكْمُ الْمَنِ بِالْعَطِيَّةِ:.....
١٥٥	الْمَنَانُ لَا يُكَلِّمُهُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:.....
١٥٥	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَانُ:.....
١٥٦	الْمَنُ بِالْعَطِيَّةِ يُبَطِّلُ ثَوَابَهَا:.....
١٥٦	الْمَنُ بِالْعَطِيَّةِ مِنْ مَسَاوِيِ الْأَخْلَاقِ:.....
١٥٦	الْمَنُ بِالْعَطِيَّةِ مِنْ أَسْبَابِ الضَّغْيَنَةِ:.....
١٥٧	الْمَنُ يَكُونُ بِالْعَطِيَّةِ وَبِغَيْرِهَا:.....
١٥٨	مِنْ آفَاتِ الْسَّيْانِ ****
١٥٩	(الْحَلِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى)
١٥٩	تَعْرِيفُ الْحَلِيفِ:.....
١٦٠	الْيَمِينُ أَقْسَامٌ ثَلَاثَةُ:.....
١٦٠	الْأَوَّلُ: الْيَمِينُ الْعُمُوسُ:.....
١٦١	الثَّانِي: الْيَمِينُ الْمُبْعَدَةُ:.....
١٦١	الثَّالِثُ: الْيَمِينُ الْلَّغْوُ:.....
١٦٢	كَرَاهِيَّةُ كَثْرَةِ الْحَلِيفِ:.....
١٦٣	الْحَلِيفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَحْقَةٌ لِلرِّبْحِ:.....
١٦٣	خَطْرُ الْحَلِيفِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى:.....
١٦٤	الْحَلِيفُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى شَرُكُ:.....
١٦٤	مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ:
١٦٤	الْحَلِيفُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى مَنْهَىٰ عَنْهُ:
١٦٤	حُكْمُ الْحَلِيفِ بِالْأَمَانَةِ:.....
١٦٥	مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا:
١٦٥	مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ ****

١٦٦	(لُرُومُ الْعَبْدِ بَيْتَهُ)
١٦٦	فَائِدَةُ لُرُومِ الْعَبْدِ بَيْتَهُ:
١٦٦	لُرُومُ الْبَيْتِ أَمَانٌ مِنَ الْفِتْنِ:
١٦٧	لُرُومُ الْبَيْتِ أَمَانٌ مِنْ كثِيرٍ مِنَ الْذُنُوبِ وَالْمَعَاصِي:
١٦٧	لُرُومُ الْبَيْتِ أَمَانٌ مِنَ الْفِتْنِ الَّتِي تَمُوجُ كَمْوَجَ الْبَحْرِ:
١٦٨	اسْتِحْبَابُ صَلَةِ النَّوَافِلِ فِي الْبَيْوتِ:
١٦٩	حُسْنُ تَرْبِيةِ الْأَوْلَادِ:
١٧١	مَسْؤُلِيَّةُ الْآبَاءِ نَحْوَ أَبْنَائِهِمْ
١٧٢	مَتَى تَبْدأُ تَرْبِيةَ الْأَوْلَادِ؟
١٧٢	**** *مَقْوِمَاتُ التَّرْبِيةِ السَّلِيمَةِ:
١٧٣	السعي في إصلاح العبد لنفسه والمداومة على التقوى:
١٧٤	غرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم:
١٧٥	تعويدهم على العبادة منذ الصغر:
١٧٦	غرس الآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة في نفوسهم:
١٧٦	الإِسْبِيَّدَانُ:
١٧٧	آداب الطعام:
١٧٧	عدم خلف الوعد:
١٧٨	غَرْسُ عُلُوِ الْهِمَةِ فِي نُفُوسِهِمْ:
١٧٨	المساوةُ بَيْنَهُمْ فِي الْمُعَالَمَةِ وَالْعَدْلِ فِي الْأَعْطِيَاتِ:
١٨٠	الآثار المترتبة على تخلي الآباء عن مسؤوليتهم في تربية الأولاد
١٨٠	حرمان الجنة:
١٨٠	عقوبة الأبناء:
١٨١	**** *مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ

١٨٢	(وَابْكِ عَلَى حَطِيئَتِكَ)
١٨٢	تعريف التوبة:
١٨٢	اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لا يتعاظمه ذنبٌ:
١٨٢	فَضْلُ التَّوْبَةِ:
١٨٢	التَّوْبَةُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ وَدَيَدُهُمْ:
١٨٤	الله عز وجل يحب التوبة ويحب التوابين:
١٨٤	يجعل الله للقائل رصيدها من الحسنات بقدر ما كان عنده من سيئات:
١٨٥	التوبة من أعظم أسباب المغفرة:
١٨٦	الله يفرح بِتَوْبَةِ الْمُؤْمِنِ:
١٨٦	النَّدْمُ تَوْبَةً:
١٨٦	التَّوْبَةُ تُحِبُّ مَا قَبْلَهَا:
١٨٧	التَّوْبَةُ صَفْلٌ لِلْقَلْبِ وَتَطْهِيرٌ لِلنَّفْسِ:
١٨٨	شُرُوطُ التَّوْبَةِ:
١٨٨	*****(وسائل الثبات على التوبة)
١٨٩	الأولى: المبادرة بالتبعة:
١٨٩	الثانية: الإقلاع عن الذنب:
١٩٠	الثالثة: الندم على المعصية:
١٩٠	الرابعة: العزم على عدم الرجوع للذنب:
١٩١	الخامسة: ملازمنة أهل الطاعة:
١٩١	السادسة: محاسبة النفس:
١٩٢	السابعة: إشغال النفس بما فيه نفعها:
١٩٢	*****(عوائق التوبة)
١٩٣	التسويف:

١٩٣	مداهنة المرض:.....
١٩٥	ترك التوبة خوفاً من لز الناس.....
١٩٦	ترك التوبة مخافةً سقوط المنزلة وذهب الجاه والشهرة.....
١٩٦	التمادي في الذنوب اعتماداً على سعة رحمة الله.....
١٩٦	الاغترار بإمهال الله للمسيئين.....
١٩٦	الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي.....
١٩٧	**** من قصص التائبين
١٩٨	توبه العامدية رضي الله عنها:
١٩٩	توبه رجلي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ:.....
١٩٩	توبه كعب بن مالك <small>رضي الله عنه</small> :
٢٠٣	توبه أبي محجن <small>رضي الله عنه</small> :
٢٠٤	توبه الكفل:.....
٢٠٤	توبه عبد الله بن مسلمة القعنى رحمه الله:.....
٢٠٥	توبه الفضيل بن عياض:.....
٢٠٦	توبه أبي العاتية:.....
٢٠٦	آخر ترك التوبة.....